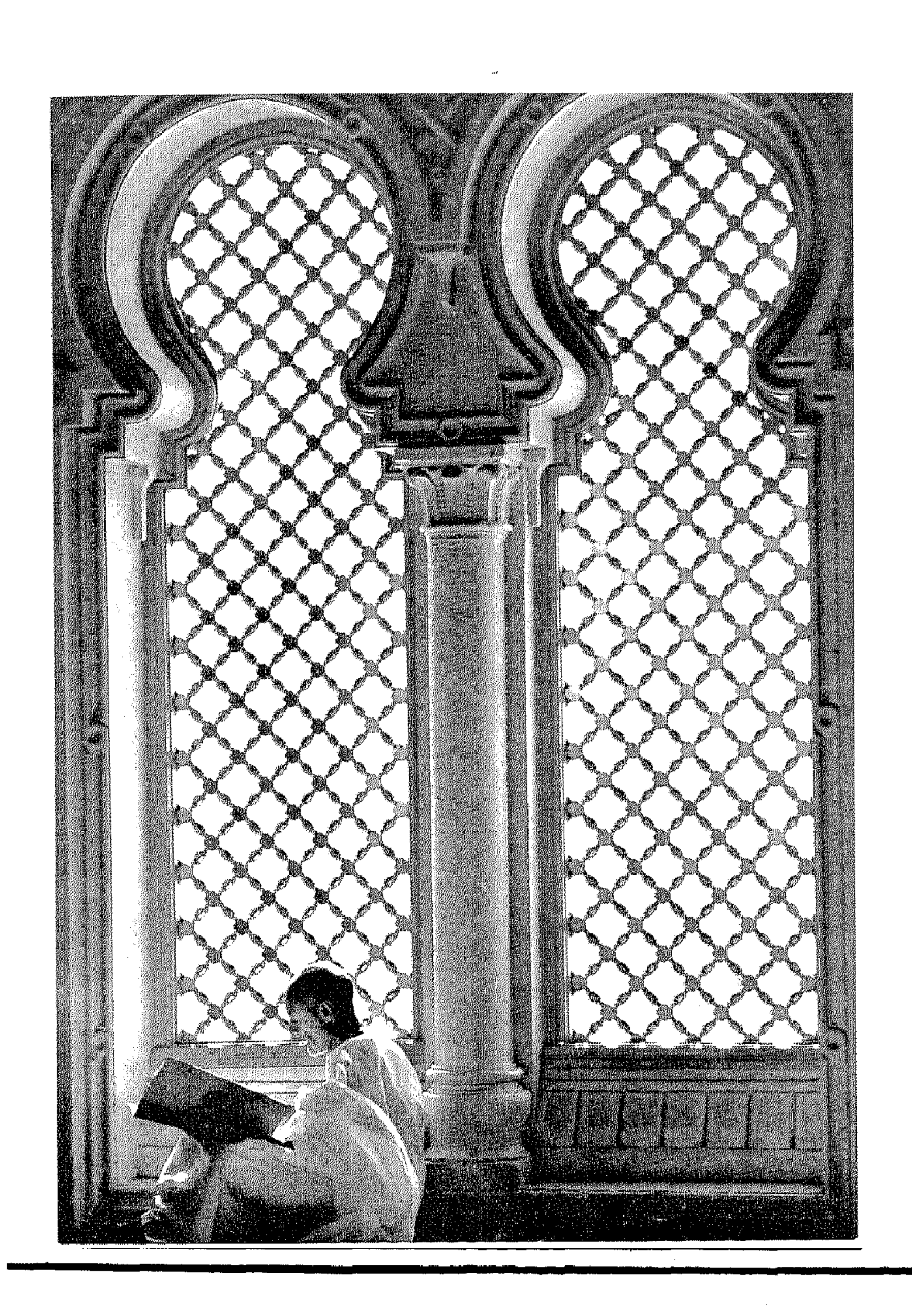

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي
السنة الثانية - العدد الواحد والعشرون - تموز (يوليو) ١٩٨٠ الموافق شعبان ١٤٠٠هـ.
المدنيات القديمة
معركة الفالوجة
قائد يعتمد علم التنجيم في معاركه
سيرة السلطان عبد الحميد

الماضي الذي سيأتي في عددنا المقبل

تراثيات

مكة المكرمة



تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

السنة الثانية - العدد الواحد والعشرون - تموز (يوليو) ١٩٨٠ الموافق شعبان ١٤٠٠هـ.

تصدر عن دار النشر العربية في منتصف كل شهر

رئيس التحرير: فاروق البربير

المستشار: د. أنيس صايغ — المدير المسؤول: محمد مشموشي

الإنتاج: مطبعة المتوسط ش.م.ل. ● التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

ثمن النسخة

لبنان:	٤ ل.ل.	سوريا:	٦ ل.س
العراق:	٧٠٠ فلس	ليبيا:	٨٠٠ درهم
السعودية:	٧ ريال	الكويت:	٥٠٠ فلس
الاردن:	٥٠٠ فلس	أبوظبي:	٨ درهم
دبي:	٨ درهم	قطر:	٧ ريال
البحرين:	٧٠٠ فلس	المغرب:	٥ درهم
مسقط:	٨٠٠ بيزة	بريطانيا:	جنيه استرليني

الإشتراكات

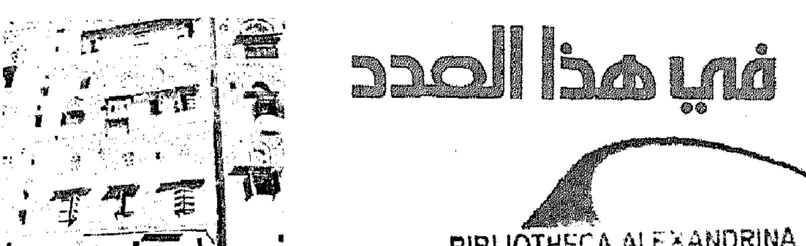
في لبنان	٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية	١٥٠ ل.ل
في الدول العربية	٧٥ ل.ل
في أفريقيا وأوروبا	١٠٠ ل.ل
دول العالم الأخرى	١٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي	٢٠٠ ل.ل

ص.ب: ٥٩٠٥ - بيروت، لبنان • بناية أبو هليل - شقة ١١ • شارع السادات - تلفون: ٨٠٠٧٨٣

HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST. ABOU HLEIL
BLG. P.O.B. 5905
TEL. 800783
BEIRUT, LEBANON

VOL. 2, NO. 21, JULY 1980
ANNUAL SUBSCRIPTION
$75 (INCLUDING $25 FOR
ADDITIONAL AIR MAIL CHARGES)
MAIL ALL COMUNICATIONS,
INCLUDING SUBSCRIPTIONS TO:
"HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD"



في هذا العدد



صنعاء
(راجع المقال ص ٤٤)

عنجر
(راجع المقال ص ٤٨)

الموضوع — الصفحة

● المقالات الواردة توزّع حسب التبويب الفني للمجلة . ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب . مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب . تراعى في الألقاب الصفات العلمية فقط .

● المقالات والدراسات تُرسَل باسم رئيس

التحرير على عنوان المجلة : ص . ب ٥٩٠٥ في بيروت .

● المقالات والدراسات التي تُنشَر لا تعبِّر بالضرورة عن آراء المجلة .

● المواد الواردة إلى المجلة لا تُردّ إذا لم تنشر .



الاستراتيجية الصهيونية

كمال الدين رفعت

في تموز/ يوليو/ من كل سنة نستعيد ذكرى ثورة جمال عبد الناصر، والمواضيع التي تحدثتها او اثارتها، وفي طليعتها قضية فلسطين التي وقف لها عبد الناصر، كأهم قضية عربية، جل جهاده، وقد رافقه في هذه المواقف وزامله في المعارك الكبرى. كثير من الابطال القياديين ومنهم كمال الدين رفعت، وفي هذه الدراسة يحلل رفعت، تلك القضية العربية الكبرى في كل ابعادها، بعد هزيمة حزيران/ يونيو/ ١٩٦٧، مستعرضا حيثيات تاريخية ونقاطاً جدية بالبحث والنظر، يهم كل عربي وكل قارئ ان يطلع عليها.

○ كمال الدين رفعت ١٩٢١-١٩٧٧، عسكري وسياسي مصري بارز، خريج الاكاديمية الحربية بمصر، احد الضباط الاحرار شارك مشاركة فعالة في ثورة ١٩٥٢ ،نائب وزير دولة ١٩٥٨، وزير العمل ١٩٦١ و ١٩٦٧. نائب رئيس الوزراء وعضو الامانة العامة للاتحاد الاشتراكي ١٩٦٤، سفير مصر بلندن ٧١-٧٤، كان بعد وفاة الرئيس عبد الناصر، من ابرز قادة الاتجاه العربي الاشتراكي بمصر. واسس في أخر ايامه دارا لنشر الفكر الناصري ○



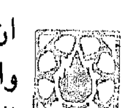
إن هزيمة يونيو ١٩٦٧ العسكرية كانت من اعنف الضربات التي وجهت الى امتنا العربية في تاريخها المعاصر. ولم يكن انتصار اسرائيل في هذه المعركة مفاجأة للعرب واصدقائهم بل كان مفاجأة لاسرائيل نفسها التي لم تكن لتتوقع ان تحصل على هذا النصر العسكري السريع في معركة غادرة خاطفة دامت ستة ايام وعرفت فيما بعد بحرب الايام الستة.

ولقد جاءت هذه الهزيمة في لحظة بالغة الحرج وفي وقت كانت الامة العربية والجمهورية العربية المتحدة بالذات. قد بدأت تخطو خطوات فعالة في إرساء دعائم حياة جديدة على الارض العربية. الامر الذي هو اعماق الوطن العربي ودفع به في مسار المراجعة الذاتية ليقوم بدراسة شاملة لعناصر القوة والضعف. ولما يواجهه من مشاكل على المستوى المحلي والدولي. ومن هو العدو الذي نواجهه والمطلوب تسوية حسابنا معه تسوية نهائية حاسمة.

ولدراسة العدو اهميتها البالغة بالنسبة لمعركة المصير التي نخوضها في مواجهته ومواجهة القوى الامبريالية التي تسانده وتدعمه. وانه لمن المسلم به ان هذه الدراسة اذا ما القت الضوء الكاشف على وسائل العدو وعناصر قوته وضعفه، كانت من اهم العوامل المحققة للنصر. وقديما قيل ان فهم العدو نصف المعركة.

(كمال الدين رفعت)

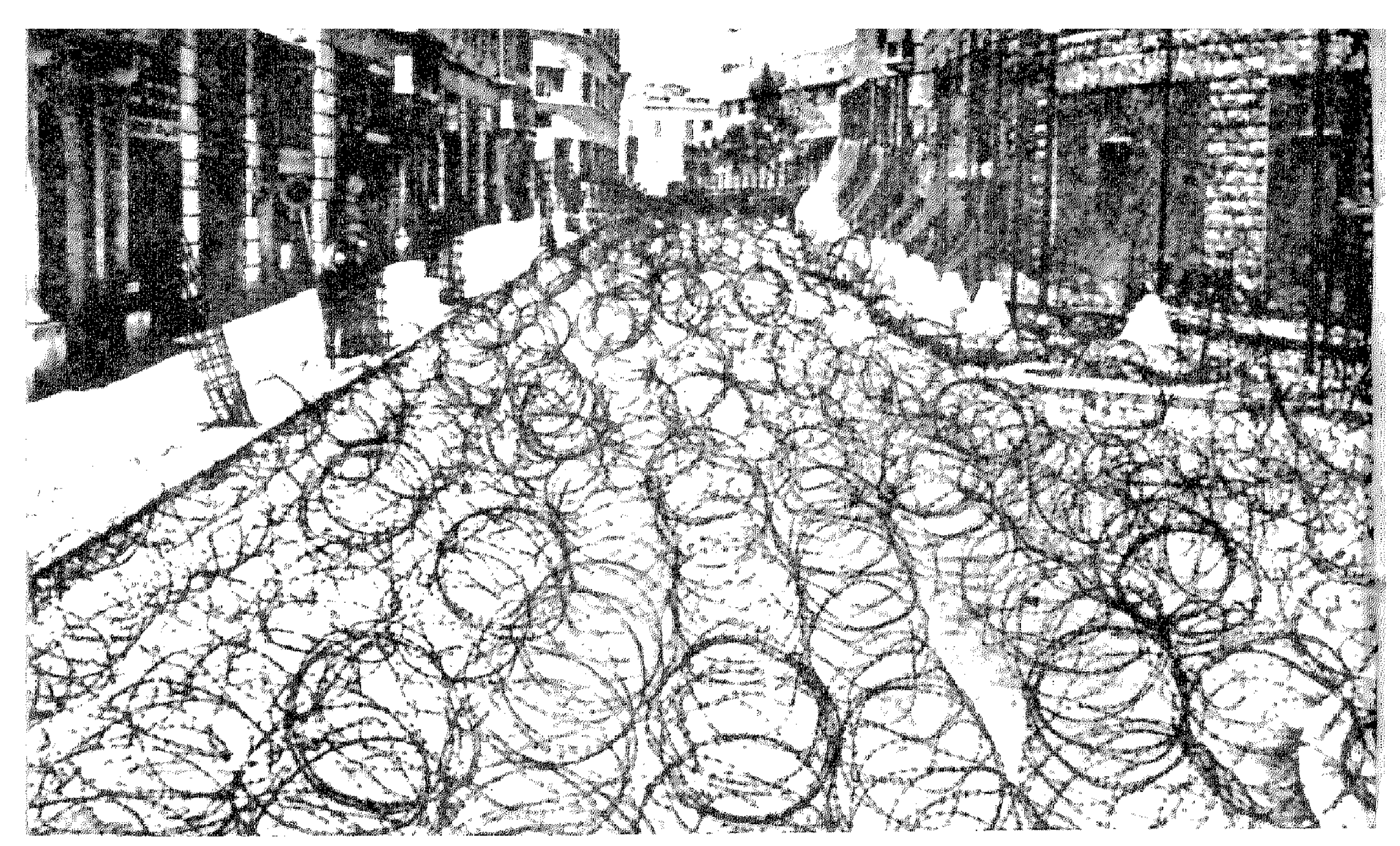
الاستراتيجية الصهيونية



ان البحث عن جذور الفكر الصهيوني والاطار الفكري والتخطيطي للاعمال العدوانية الاسرائيلية يردنا الى اصول هذه الفكرة وركائزها ومفاهيمها واهدافها. وهنا لا بد من التفريق بين مرحلتين: مرحلة ما قبل سنة ١٨٩٧ حيث كانت الصهيونية في طور التكوين الفكري ومرحلة ما بعد سنة ١٨٩٧ عندما اتخذت الحركة الصهيونية شكلها التنظيمي، واصبح للفكرة اداة تعمل بشكل دائب لتحقيق غايات هذه الحركة كما رسمها المؤتمر الصهيوني الاول الذي عقد في مدينة «بال» السويسرية في ذلك العام. والذي انبثقت عنه «المنظمة الصهيونية العالمية». كما صدر عنه برنامج عمل يعتبر التخطيط الاستراتيجي للحركة الصهيونية فحدد اهدافها الثابتة وخطوطها الاستراتيجية والتكتيكية وادواتها ووسائل تحقيقها البشرية والمادية.

ومن الامور التي توضح دقة هذا التخطيط ان «هرتزل» مؤسس الحركة الصهيونية حدد خمسين عاما لقيام «دولة اليهود» وقد تحقق هذا بالفعل في الفترة ما بين انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول عام ١٨٩٧ وقيام اسرائيل حسب قرار التقسيم عام ١٩٤٧.

وهذا يتطلب منا دراسة النهج الذي سارت به استراتيجية الحركة الصهيونية والاساليب التي اتبعتها. لانه من الواضح ان التغيير الذي اصاب الحركة وسياستها في اعقاب تطورات عام ١٩٤٨ الحاسمة لم يستتبع تبدلا جوهريا في النهج الصهيوني ولم يأت بأي



شوارع القدس سنة ١٩٤٧ .. إلى متى ؟

تجديد في طريقة العمل . فقد نتج عن تطورات عام ١٩٤٨ انقلابان جذريان في الصهيونية دون ان يكون هناك تغيير موازٍ في نهجها .

اما الانقلاب الاول : فهو تحول الحركة الصهيونية العالمية الى دولة قائمة تتبعها وتدين لها بالولاء جماهير من رعايا دول اخرى .

اما الانقلاب الثاني : فقد تناول جوهر وظيفتها وسياستها ، فقد كانت الوظيفة الرئيسية للحركة الصهيونية قبل عام ١٩٤٨ هي السعي لقلب الاوضاع الراهنة في فلسطين . اما بعد عام ١٩٤٨ وقيام اسرائيل فقد اصبحت وظيفة الحركة الصهيونية هي المحافظة على الوضع الجديد والتشبث به والدفاع عنه .

العوامل المحددة لامتداد رقعة اسرائيل

ويتضح من قراءة محاضر المؤتمرات الصهيونية ومقرراتها وخططها ومن نشاط قادة الحركة الصهيونية وافكارهم ومذكراتهم واعمالهم من « هرتزل » و « وايزمان » و « بن جوريون » واخيرا « ليفي اشكول » و « وموشى ديان » ان العوامل الآتية كانت تتحكم في تفكيرهم فيما يتعلق بمساحة الارض الموعودة ، وفيما يتعلق بحدود اسرائيل وامتدادها الجغرافي :

١ - ان اقامة دولة اسرائيل هي الحل المنشود للمشكلة اليهودية في العالم .

٢ - ان الدولة اليهودية في اسرائيل هي تعبير عن القومية اليهودية وتجسيد لها ، ولما كان كل يهودي ينتمي اليها بحكم يهوديته فلا بد لها ان تكون بالقدر الذي يحوي جميع ابناء الامة اليهودية .

٣ - ان فلسطين هي ارض دولة اسرائيل التاريخية الدينية . وان فلسطين هي ملك لليهود بحكم النشأة التاريخية للامة اليهودية هناك وبحكم ارتباط الدين اليهودي بالارض المقدسة .

٤ - ان فلسطين هي ارض اليهود الموعودة في الكتب المقدسة لدى اليهود والمسيحيين ويجب ان تشمل جميع الاماكن التي تحرك فيها اليهود والاماكن التي اقامت فيها القبائل العبرية في الماضي .

٥ - ان دولة اسرائيل في فلسطين يجب ان تتمتع بمقومات الدولة القادرة على تحقيق

الاكتفاء الذاتي الاقتصادي والقوة العسكرية . ويجب ان تمتد بحيث تشمل مصادر القوة ، والارض الواسعة ، والمياه الضرورية للزراعة والصناعة ، والمراكز الاستراتيجية التي تضمن السيطرة الدفاعية والهجومية على الأراضي المجاورة .

٦ – ان دولة اسرائيل يجب ان تكون قادرة على إسداء خدمات للدولة الامبريالية التي ترعى قيامها كنوع من المكافأة مقابل الخدمات المبذولة لتمكين اليهود من اقامة دولتهم . وقد تم ذلك بالنسبة لبريطانيا في اعقاب الحرب العالمية الاولى حتى اشتراكها في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ . ثم تبدل الوضع بعد ذلك لمصلحة الولايات المتحدة الاميركية خدمة للمصالح الاميركية في منطقة الشرق الاوسط .

٧ – كما ان هناك عاملا هاما . وهو تأثر قادة الصهيونية العالمية بالنزوع نحو الآراء والمخططات الاستعمارية ، ذلك النزوع الذي كان يسيطر على تفكير السياسيين وبناة الامبراطوريات في اوروبا وقت قيام الحركة الصهيونية .

دوافع المطامع الصهيونية التوسعية :

ويمكن رد دوافع المطامع الصهيونية التوسعية الى عاملين رئيسيين هما :

١ – ضغط الفكرة اي العامل العقائدي :

ان الدوافع العقائدية للتوسع الصهيوني تنبع من صميم العقيدة الصهيونية ، ومن صلب الحل الصهيوني « للمشكلة اليهودية » وترتبط ارتباطا وثيقا بأسباب اختيار فلسطين ومطالبتهم بها على اساس انها « الوطن القومي التاريخي للشعب اليهودي » ، وقد ربط ذلك كله الحركة الصهيونية بمطلبين اساسيين لم تتخل عنهما هذه الحركة في يوم من الايام ولن تتخلى عنهما بأي حال من الاحوال :

(أ) الحصول على ما يسمى « بأرض فلسطين » .

(ب) اعادة « الشعب اليهودي » الى ارضه التاريخية لان الحياة في « المنفى » اي خارج فلسطين مخالفة للدين اليهودي وللحياة القومية الطبيعية للشعب اليهودي .

ان الدافع العقائدي للتوسع والعدوان عامل محرك وهام في تاريخ الصهيونية ، ولا يجب الاستهانة بأهمية هذا العامل وخطورة دوره . فالاعمال الصهيونية من اساسها قائمة على عامل الفكرة وارادة تحقيقها . ولا يمكن فهم اعمال الصهيونية واسرائيل فهما صحيحا كاملا ولا يمكن ادراك نواياها وخططها السياسية والعسكرية والنفسية خارج الاطار العقائدي فالفكرة المحركة التي اوجدت اسرائيل وبررت جهود الصهيونية العالمية التي بذلتها من اجل ايجادها والمحافظة عليها هي نفس الفكرة المحركة دوما ، والمحرضة ابدا على التوسع والعدوان .

٢ – الحاح الواقع اي الضرورات الاقتصادية والعسكرية :

(أ) الناحية الاقتصادية :

من يمعن النظر في جغرافية الارض المحتلة وحاجات اسرائيل الزراعية ومشاريعها لجلب اعداد اضافية من اليهود ، واثر تكثيف السكان في بقعة صغيرة من الأرض على الاعتبارات العسكرية والاستراتيجية يدرك انه لا يوجد امام اسرائيل سوى طريقين لا ثالث لهما لحل هذه المشكلة :

١ – التوسع المباشر عن طريق احتلال اراضي عربية خصبة بعد طرد سكانها منها .

٢ – تعمير النقب بواسطة جر مياه الانهار العربية التي تنبع وتجري وربما حتى التي تصب في الاراضي العربية المجاورة ، على ان يترك موضوع التوسع الكبير عن طريق الاحتلال والضم الى ظروف اكثر ملاءمة في المستقبل القريب او المتوسط .

ولكن المياه ليست العامل الاقتصادي الضاغط الوحيد للعدوان والتوسع ، فالتجارة الاسرائيلية وكسر طوق الحصار الاقتصادي العربي عامل آخر لا يقل اهمية عن عامل السيطرة على مصادر المياه . وفي ذلك يقول بن جوريون عام ١٩٥١ ... سوف نبني ميناء ايلات وسوف نؤمن حرية المرور الى المحيط الهندي

الصهيونية . والاسلوب المرحلي يعني ان الصهيونية حددت للوصول الى غرضها النهائي عدة اهداف مرحلية، يرتبط تحقيق كل هدف منها بامكانيات وقدرات الحركة الصهيونية في كل مرحلة .

وباستعراض هذه المراحل نلاحظ الآتي :

عام ١٨٩٧ : عقد المؤتمر الاول والذي تحدد فيه برنامج العمل

عام ١٩٠٧ : ظهور فكرة « الصهيونية التوفيقية » التي ربطت بين العمل الدبلوماسي والاستعمار الاستيطاني وهي الفكرة التي تبناها « وايزمان » . كما انه تم في هذا العام الالتقاء بين الحركة الصهيونية العالمية وحركة الاستعمار العالمي « تقرير كامبل بنرمان » .

عام ١٩١٧ : صدور وعد بلفور .

عام ١٩٢٧ : اعتراف سلطات الانتداب البريطاني بمشروعية المنظمات والاجهزة اليهودية في فلسطين .

عام ١٩٣٧ : صدور الكتاب الأبيض البريطاني الذي اقترح تقسيم فلسطين الى دولة عربية واخرى يهودية .

عام ١٩٤٧ : صدور قرار التقسيم من الامم المتحدة، وقيام اسرائيل في مايو سنة ١٩٤٨ .

عام ١٩٥٧ : المكاسب التي حصلت عليها اسرائيل نتيجة للعدوان الثلاثي بمرور السفن الاسرائيلية في خليج العقبة .

عام ١٩٦٧ : العدوان الاستعماري الصهيوني على البلاد العربية .

مبادئ فكرة المرحلية

تقوم فكرة المرحلية في نظرية العمل الصهيوني على تفاعل اربعة مبادئ هي :

اولا : « الواقعية » التي تعمق الحد الاقصى لما تطالب به الحركة الصهيونية في كل ظرف، طبقا لاوضاعه وامكانياته . فالتقدير الواقعي للموقف الموضوعي - لا الاهداف والرغبات او الصهيونية - هو الذي يقرر نوع الطلب ومداه وهو الذي يقيم العرض فيحكم بقبوله او بالسعي لتعديله او رفضه .



بلفور عام ١٩١٧ .

.لك بقوة البحرية الاسرائيلية وسلاح الطيران لجيش .

(ب) الناحية العسكرية :

ليس غريبا ان تولى الصهيونية الناحية مسكرية اهتماما كبيرا ورئيسيا نظرا لان سرائيل دولة غاصبة معتدية، ونظرا لتصميم شعب الفلسطيني والامة العربية بأسرها على حق العدوان الصهيوني واستعادة الحق عربي السليب في الارض المحتلة، تصميم صيري لا يحتمل المساومة او التجاهل .. سوف نولي هذه الناحية مجالا اوسع في مكان خر من هذا البحث .

المرحلية في الاستراتيجية الصهيونية .

ان من اهم الاساليب التي تستخدمها لاستراتيجية في تحقيق اهدافها الاسلوب رحلي الذي يعتبر اللون الغالب في لوحة

وتقدير الواقع الموضوعي يعني مقارنة العوامل المختلفة وتقدير الطاقة الصهيونية الذاتية دون تجاهل نواحي القصور فيها ثم اعطاء اهمية العامل الزمني في هذا كله وبالموازنة بين القليل الذي يمكن الحصول عليه والاكثر منه الذي يمكن الحصول عليه بعد ذلك.

ثانيا: «المرونة» ومعناها تقديم الجوهر على الشكل وتقديم الغاية على الوسيلة وتقديم المعنى على اللفظ. وهي بالتالي تكييف الشكل او الوسيلة او اللفظ، وفق ضغط الواقع وامكانياته وقيوده في سبيل الحصول على الجوهر المنشود.

ثالثا: «اللا تراجع» الذي يعين الحد الادنى للمطالب الصهيونية في كل ظرف. وكثيرا ما خاض مبدأ «اللاتراجع» معارك مع مبدأي «الواقعية» و «المرونة» وكانت الغلبة دائما لمبدأ «اللاتراجع» في تاريخ الصهيونية، الا في حالات قليلة حينما تمكنت القوى المضادة من ارغام الصهيونية على التراجع.

رابعا: «التصاعد» عندما تستنفد الحركة الصهيونية كل ما رمت الى استنفاده في مرحلة ما من مراحل عملها من الاتفاقات التي عقدتها او الوعود التي اصدرتها في مطلع تلك المرحلة، تشرع في التطلع بجدية نحو المرحلة التالية.

والمتتبع لمسار الحركة الصهيونية يمكنه ملاحظة تطبيق هذه المبادئ وتفاعلها فيما بينها. وان تبدل السياسة الصهيونية بين بداية كل فترة ونهايتها. وانتقال الحركة الصهيونية من موقف القبول بالهدف الجزئي والرضاء بالقيود والشروط والالتزامات التي ترافقه، الى موقف التمرد عليها والمطالبة بهدف اوسع، ليس من باب التطور غير المتوقع في البدء وانما هو من باب التنفيذ الدقيق لخطة مرسومة ومحسوب حسابها سابقا. فالمرحلية الصهيونية لها صفات مميزة اهمها الثبات في رؤية الهدف وضرورة الوصول اليه، والتشبث به هو الذي يفرض المرحلية طريقا اليه. وهي تعنى اما العمل على بلوغه فورا او الرضوخ للواقع المحدود الامكانيات واستبدال الهدف الاكبر الذي لا يمكن بلوغه حاليا بهدف جزئي بديل عنه او التدرج نحوه في مرحلية منتظمة تسمح بالتقدم دوما ولكن لا تسمح بالتراجع او التوقف.

علاقة الدبلوماسية بالمرحلية

وعلى هذا الاساس تتخذ الدبلوماسية الصهيونية بعض الاساليب تمهيدا للانتقال من مرحلة الى اخرى هي:

اولا: تزييف المعنى الاصلي للاتفاقات السابقة المراد استبدالها، بحيث تدعى ان الاتفاقات الجديدة المطلوبة لا تتخطى ما تضمنته الاتفاقات السابقة.

ثانياً: الانتقال المستمر بين المطالبة باستعمال النص الحرفي للاتفاقات السابقة كأساس لتفسيرها، وبين الدعوة الى اعتماد النية التي تزعم الصهيونية انها كانت وراء ذلك النص وذلك حسب مقتضيات مصلحتها المرجوة او المتوقعة.

ثالثا: الذبذبة بين اسناد الصفة الالزامية القاطعة الى بعض الاتفاقات او القرارات عندما يناسبها ذلك، وانكار تلك الصفة عن بعض الاتفاقات او القرارات الاخرى الشبيهة بها من جميع الوجوه، وفقا لما تتطلبه مصلحتها في كل حال.

رابعا: تحوير معاني الالفاظ والعبارات السياسية الحاسمة في الاتفاقات القائمة، تحويرا يغير من معنى هذه الاتفاقات ومداها تغيرا جذريا.

خامسا: اختلاق اتفاقات لم تعقد اصلا، والادعاء بانها اتفاقات قائمة وملزمة. وبأنها تعطى الحركة الصهيونية حقوقا مشروعة وتلقي على الاطراف الاخرى واجبات قانونية معينة.

سادسا: ان الدبلوماسية الصهيونية لا تتورع عن قطع تعهدات اسمية بعيدة المدى، على الرغم من انها تعتزم النكث بها عندما تسمح الظروف بذلك.

واذا كانت الحركة الصهيونية قد تمسكت بمنهجها الرئيسي رغم الظروف التي مرت بها، فليس من المحتمل ان تشهد في المستقبل اي تحول عن هذا الطريق. وما دام الامر كذلك فان تعرفنا على منهاج واساليب الحركة الصهيونية



... الاحتلال

طيلة السبعين سنة الماضية، قد يكون في الوقت نفسه تعرفا على ما يمكن ان يحدث في المستقبل.

برنامج العمل الصهيوني

يتكون برنامج العمل الصهيوني من عدة عناصر متكاملة تشكل فيما بينها الاستراتيجية الصهيونية العامة التي تحرك البرنامج بأكمله، وتحرك كلا من عناصره تحريكا منتظما في توقيته واتجاهه ومداه، والتي انحصرت مهمتها الاولى في قيام «دولة اليهود» وهي اسرائيل، ثم تحقيق المهمة الثانية بنفس الطريقة والاسلوب لضمان استمرارها وازدهارها كما قال «هرتزل» في كتابه «لتعط لنا السيادة على رقعة من الارض تفي بحاجاتنا الحقة، ونحن نتكفل بما يتبقى».

وتتكون الاستراتيجية الصهيونية من العناصر الآتية:

العمل الدبلوماسي - عمليات الاستيطان او الاستعمار الاستيطاني - التنظيم - الاموال اللازمة للحركة - الدعاية - الادارة العسكرية - وهذه هي العناصر الستة التي قامت عليها الاستراتيجية الصهيونية منذ قيام الحركة الصهيونية، إلا انه من الممكن اضافة عنصر جديد آخر هو «العلم والتكنولوجيا».

١ - العمل الدبلوماسي

لعبت الدبلوماسية دورا هاما في الاستراتيجية الصهيونية منذ قيام الحركة وفي مطلع تاريخها بالاتصالات التي حدثت للاعتراف بالحركة والحصول على تأييد الدول الكبرى لها حتى صدر «وعد بلفور» عام ١٩١٧. ثم بدات بعد ذلك لتنطلق من هذا الواقع الذي تم، حتى

امكنها ان تستخلص توصية الجمعية العامة للامم المتحدة بتقسيم فلسطين عام ١٩٤٧. وبعد قيام الدولة الصهيونية في العام التالي قامت الدبلوماسية باداء وظائف جديدة ناشئة عن الاوضاع الجديدة. فكان عليها ان تخوض معركة الاعتراف الدولي الثنائي، ومعركة الاعتراف الدولي الجماعي، المتجسد في الانتساب الى عضوية الامم المتحدة بعد انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين في مايو سنة ١٩٤٨. ثم لمواجهة المسائل المعلقة بعد قيام دولة اليهود مثل قضية القدس واللاجئين وقضية تثبيت الحدود والرقابة على خطوط الهدنة .. الخ من القضايا التي كانت مثارة قبل عدوان يونيو سنة ١٩٦٧. ولم يقتصر عمل الدبلوماسية في هذا النطاق فقط بل تعداه الى الوضع الاقتصادي واهمية استمرار تدفق المساعدات من الخارج - لا من الصهيونيين واليهود فقط - بل من الدول التي تناصر الحركة الصهيونية وتستفيد من بقائها ونموها ثم ايضا مسألة سلامة الدولة وامنها في وجه اعداء الدولة الصهيونية بالسلاح وتعهدات بالحماية العسكرية، كان اولها البيان الثلاثي الصادر عام ١٩٥٠ وآخرها حتى الان البيان الاميركي الصادر عام ١٩٦٧.

لهذا احتلت الدبلوماسية مكانا بارزا في برنامج العمل الصهيوني في جميع مراحل تطور الحركة الصهيونية. الا ان الملاحظ دائما ان الحركة الصهيونية منذ نشأتها حتى وقتنا الحاضر تطلبت شرطا اساسيا هو الحصول على العون من احدى الدول الكبرى والاتفاق معها على مساعدة الحركة وحمايتها. فقد حاولت الاستعانة بالمانيا القيصرية في الفترة قبل عام ١٨٩٧، ثم ببريطانيا حتى صدور قرار التقسيم عام ١٩٤٧، ثم بالولايات المتحدة الامريكية منذ قيام اسرائيل حتى وقتنا الحالي. كما كانت الدبلوماسية الصهيونية تعتمد اساسا على الناحية السياسية في تحقيق اهدافها وذلك كما جاء في اقوال «هرتزل» من «ان المسألة اليهودية مسألة سياسية لا تتم معالجتها معالجة ناجحة الا بالوسائل السياسية وعلى نطاق دولي».

٢ - عمليات الاستيطان او الاستعمار الاستيطاني :

وهي تشمل عمليات تدريب اليهود المهاجرين واستقدامهم الى فلسطين واقامة المنشآت لهم من اقتصادية على اختلاف انواعها، وادارية وتربوية وصحية وعسكرية وغيرها .. ويرتبط هذا النوع من الاستيطان بالعمل الدبلوماسي الصهيوني بحيث يمكن اعتبارها عملا واحدا مزدوجا. فقد كان اسلوب العمل عند نشأة الحركة الصهيونية هو انفصال العملين عن بعضهما البعض او تلاحقهما. فقد تصور «هرتزل» هذين العملين وكأنهما مرحلتان متعاقبتان تقوم الاولى وتكتمل ثم ينتهي دورها. وبعد ذلك فقط تبدأ الثانية. وبمعنى آخر فان «هرتزل» اخطأ حين تصور ان العمل الدبلوماسي يجري وينجح ويتم في معزل عن العمل الاستعماري الاستيطاني. وأن هذا الاخير يبدأ بعد اختتام المرحلة الدبلوماسية، ويمضي في طريقه وهو في غير حاجة مستمرة اليها. لكن الواقع يختلف عن هذه الصورة، فان العمل الدبلوماسي والعمل الاستعماري الاستيطاني عملان متفاعلان، وان تفاعلهما المستمر هو الذي يدفع بالصهيونية في حركة متصاعدة. وقد تبنى هذا الاسلوب من العمل المزدوج «حاييم وايزمان» واقرته المنظمات الصهيونية في مؤتمر عام ١٩٠٧. وعلى الصعيد العملي لهذه الطريقة تمكن تحقيق معظم انتصارات الحركة الصهيونية الدبلوماسية. فهو الذي حصل على وعد بلفور عام ١٩١٧، واستطاع ان يدرج هذا الوعد في صلب صك الانتداب البريطاني على فلسطين، ويحبط الكتاب الابيض البريطاني الصادر سنة ١٩٣٠، كما لعب الدور الرئيسي في اقناع اللجنة الملكية باقتراح مشروع التقسيم عام ١٩٣٧، كما اقنع «تشرشل» عام ١٩٤٤ بتشكيل الفيلق اليهودي من المستوطنين اليهود في فلسطين. كما اقنع ايضا «ترومان» بابقاء النقب ضمن حدود اسرائيل ثم الاعتراف بدولة اسرائيل بعد ذلك.

وعلى هذا يمكننا القول ان العمل الدبلوماسي في عرف الحركة الصهيونية توأم للعمل الاستعماري الاستيطاني. وان تفاعلهما

الدائم يقوي كلاً منهما في حد ذاته وينشطه ويزيد من نصيبه في النجاح، ويلاحظ ان اسرائيل تستخدم حاليا هذا الاسلوب من العمل المزدوج في سيطرتها على مدينة «القدس» رغم معارضة اغلبية الدول لهذه السيطرة، وفي انشاء المستعمرات اليهودية في الاراضي العربية المحتلة بالضفة الغربية للاردن والمرتفعات السورية وبعض اجزاء شبه جزيرة سيناء.

وتنطوي هذه الفكرة على خمسة مبادئ هي :

اولا : ان المساعي الدبلوماسية لا يقدر لها النجاح في الحصول على الوعود والاتفاقات الدولية الا بقدر ما يسبقها من عمل انشائي صهيوني على ارض فلسطين.

ثانيا : ان الدبلوماسية، حتى حين تكلل جهودها بالنجاح تظل الاتفاقات الناجمة عنها مجرد اطارات خاوية ما لم يقم المحتوى المادي اللازم لها وهو الاستعمار الاستيطاني.

ثالثا : العهود والاتفاقات السياسية التي تنجح الدبلوماسية الصهيونية في الحصول عليها، تظل تحت رحمة المصادر الاجنبية ما لم تقترن فورا بالانجازات الفعلية التي تستطيع ان تثبتها وتصونها.

رابعا : اذا استتبع العهود او الاتفاقات السياسية التي تحصل عليها الحركة الصهيونية عن طريق العمل الدبلوماسي نشاطا استيطانياً منظما، فان الحقوق المكتسبة بموجب تلك الاتفاقات تصبح قائمة لا يؤثر فيها النكث بالوعود او نقض الاتفاقات.

خامسا : حينما تتم الانجازات العملية على اساس اتفاقات سياسية دولية، فانها ستخلق اوضاعا جديدة يمكن الانطلاق منها الى المطالبة باتفاقات جديدة تعطى للصهيونية شروطا افضل، وحرية اكبر، وحقوقا ابعد مدى، او ترفع عنها بعض القيود التي نصت عليها الاتفاقات السابقة.

٣ - التنظيم :

لقد تناول برنامج «بال» قضية التنظيم وذلك في المادة الثانية منه والتي نصت على «تنظيم اليهودية جمعاء وربطهما معا، بواسطة المؤسسات الملائمة من محلية ودولية». كما نص



احدى المستوطنات

قرار المؤتمر الاول على اقامة « المنظمة الصهيونية العالمية » وهيئاتها الرئيسية .

٤ - الاموال اللازمة للحركة :

وقد تولى المؤتمر الصهيوني الثاني عام ١٨٩٨ انشاء اول جهاز من اجهزتها وهو « البنك اليهودي الاستعماري » والذي تبعته فيما بعد اجهزة اخرى كالصندوق اليهودي « الكاون كايمت » وصندوق الائتمان اليهودي ، والصندوق الفلسطيني التأسيسي . وكان هدف هذه الصناديق والبنوك تمويل الحركة الصهيونية لشراء الارض في فلسطين وتشجيع الهجرة اليها والاستقرار فيها واقامة المستعمرات بها مثل « الكيبوتز » و « الموشاف » وقد ساعد ذلك على جلب اعداد كبيرة من المهاجرين الجدد وخلق اماكن كافية لاستقرارهم وبذلك خلق لديهم اهمية الارتباط بالارض ثم الفائدة الاقتصادية التي تتحقق من ناتج هذه المستعمرات وهكذا تمكنت الحركة الصهيونية من تجسيد العقيدة الصهيونية تجسيدا اقتصاديا وذلك بالاستيطان في الارض والاستفادة من العمل الزراعي ماديا ومعنويا . وقد ساعدت فترة الانتداب البريطاني على فلسطين (١٩٢٠ - ١٩٤٨) الاقتصاد الاسرائيلي او « اليهودي » على التوسع وارساء قواعد التركيز فتمكن من اقامة الاجهزة الادارية والفنية والمؤسسات الملائمة للنشاط الاقتصادي . كما ان فترة الانتداب قد خدمت الحركة الصهيونية الى حد كبير فيما يتعلق بايجاد الوسائل المادية لتعبئة القوى البشرية وتدريبها استعدادا للاستيلاء على فلسطين وتحويلها الى « دولة » يهودية .

ولعل اكبر الفوائد التي جناها الاقتصاد الاسرائيلي كانت تلك التي نتجت عن حرب ١٩٤٨ ، فقد اضطر مئات الآلاف من العرب الى الفرار من الارهاب الصهيوني والى حصول الاقتصاد الاسرائيلي على ما قيمته مئات الملايين من الجنيهات الاسترلينية من الاراضي والمباني والمساكن والمصانع ووسائل النقل والتجهيزات المختلفة والمتاجر والمكاتب بالاضافة الى الاملاك العامة من اراضي ومباني ومستشفيات وطرق مواصلات وغيرها وبذلك وفر الاقتصاد الاسرائيلي على نفسه عبئا ضخما كان من المؤكد ان ينوء به لو تولاه بنفسه ، هذا فضلا على ان ايرادات وعائدات هذه الاراضي والاملاك سنة بعد سنة ، وارتفاع قيمتها النقدية عبر السنين يمثل رصيدا ضخما في حساب الاقتصاد الاسرائيلي وكما يقول الدكتور يوسف صايغ « ان ما غنمه اليهود يبلغ في مجموعه اكثر مما جاءهم من عون اقتصادي من العالم الخارجي من عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٢ .

إلا انه من المعروف ان تطور الاقتصاد الاسرائيلي بعد ذلك اعتمد على المعونات الاجنبية الضخمة والتي جاء ثلثاها تقريبا بدون اي التزامات مقابلة ، وبذلك لم تلق عبئا ثقيلا على اسرائيل ومن هنا فان السمة الرئيسية في اقتصاد اسرائيل هي انه اقتصاد يعتمد في بقائه ونموه على المعونات المالية الاجنبية من الدول الرأسمالية الاستعمارية وتنحصر هذه المصادر في :

* المنح والهبات التي تحصل عليها اسرائيل من الجاليات اليهودية في العالم .
* التعويضات الالمانية الغربية التي هي في حقيقتها ليست مجرد تعويضات بل تصدير لرؤوس اموال الى اسرائيل بطرق ملتوية .
* القروض التي تحصل عليها اسرائيل من الخارج عن طريق طرح سندات على الخزينة وعقد قروض مع المصادر العالمية .
* المعونات من الدول الاستعمارية .

هذا ومن المعروف حاليا ان حوالي ستين في المائة من الاموال السائلة في بنوك العالم اموال يهودية .

٥ - الدعاية :

من المعروف ان الدعاية تلعب دورا في الاستراتيجية الصهيونية العامة ، فهي تقوم بدورها في كافة المجالات والقطاعات وبالاساليب التي تتفق مع طبيعة وظروف هذه المجالات وليس هناك شك في ان زعماء الصهيونية بذلوا جهودا كبيرة من اجل تعبئة الرأي العام العالمي وراء برامجهم واهدافهم ، واستخدموا في ذلك اساليب الدعاية المختلفة ووسائلها . فالدعاية الصهيونية لم تترك اسلوبا الا وتبعته بغض

النظر عن مشروعيته او عدم مشروعيته ، فهي تتلون حسب الجمهور الذي تخاطبه وتتحرك بين المواقع الايديولوجية المتباينة ، وتستغل عدم توافر وسائل الاعلام التي تدحض المزاعم الصهيونية في توجيه الرأي العام العالمي الوجهة التي تريدها لتحقيق اهدافها .

وقد احتلت الدعاية محور تفكير الصهيونيين الاوائل ، فنصت المادة الثالثة من برنامج عمل الحركة الصهيونية على «تقوية وتنمية العاطفة والوعي اليهوديين القوميين» . كما اصدر «هرتزل» قبل انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول مجلة «ذي فلت» – العالم – التي اصبحت فيما بعد المجلة الرسمية الناطقة بلسان الحركة الصهيونية وقد تطورت اهداف واساليب ووسائل الدعاية الصهيونية بتطور الحركة نفسها ، ولعبت دورا ايجابيا في تحقيق اطماع الصهيونية . إذ كانت سلاحا لطمس كل حق عربي ، ولم تكتف بهذا ، بل انها ما زالت تقوم بدور فعال في تدعيم الوجود الاسرائيلي . واضفاء الشرعية على العدوان الصهيوني الاستعماري . ■





المدنيات القديمة

د. نقولا زيادة

لكل شعب في الدنيا تاريخه، ولكل رقعة في الارض تاريخها. والتاريخ هو هذا التطور والتبدل الذي يصيب السكان والمكان عبر الزمان. وحكاية هذا التطور والتبدل هو التأريخ.

التاريخ قبل علم الآثار

وقد كان المألوف عند الذين يدونون تاريخ شعب ما او رقعة من الارض ان يعتمدوا على نص مدون، او نقش على الحجر او الآجر، او رواية تواترت على الالسن وحلل المؤلفون عناصرها. لذلك لم تكن حكاية التاريخ هذه تعدو الالف الثالث ق. م. الا فيما ندر. لكن قبل قرن او يزيد من الزمن انضم علماء الآثار الى المؤرخين في اكتشاف مجاهل الماضي في القرون الخوالي. وصار المؤرخ يعتمد على معول الأثري ورفشه في تصور حياة القوم الغابرين. ومن ثم انتقل الزمن الذي يتحدث عنه المؤرخ لمكان ما بضعة الاف من السنين. واصبحنا، مثلا، نتحدث عن تاريخ اريحا في الالف السابع او السادس ق. م.

على اننا ونحن نعترف لعلماء الآثار بفضلهم على التأريخ والمؤرخين، فاننا، في هذا الحديث نود ان نقتصر على ذكر بعض المصادر التاريخية المدونة، تاركين الحديث عن فضل الآثار الى مناسبة تالية.

وحري بنا، قبل كل شيء، ان نتذكر ان الكثير من اخبار الامم الخوالي امتزجت فيه الاسطورة بالتاريخ امتزاجا كبيرا، بحيث اصبح يصعب على الباحث ان يخلص الواحد من الآخر. وقد ظل الأدب التاريخي فترة طويلة من الزمن محدودا في طبيعته وآفاته، بحيث لا يعدو ان يكون ثبتا باسماء الملوك او نقشا يروي انتصارا في الحرب. فاذا نحن اخذنا على سبيل المثال المصادر الرئيسية لتاريخ مصر وارض الرافدين وديار الشام في العصور المتوغلة في القدم، الفينا انه يمكن تلخيصها فيما يلي:

فمصادر التاريخ المصري هي

١ – حجر بلرمو وهو حجر من الديوريت ترجع الكتابة التي عليه الى اواخر القرن السابع والعشرين ق. م. وفيه بيان السنوات التي حكمها ملوك الاسر الخمس الاولى، والاعمال العظيمة التي قام بها كل من اولئك الملوك. وهو محفوظ بمتحف بلرمو بصقلية.

٢ – بردية تورين التي يرجع تاريخها الى ايام رعمسيس الثاني (حكم من ١٢٩٠ الى ١٢٢٤ ق. م.). وفيها لائحة باسماء ملوك مصر منذ البدء. بل ان البردية تتعدى ذلك الى ذكر الآلهة الذين حكموا الارض قبل ان يحكمها الملوك. والبردية محفوظة في متحف تورين.

٣ – مجموعة من اللوائح والجداول ترجع الى ايام الامبراطورية (خاصة ايام الاسرتين الثامنة عشرة والتاسعة عشرة) ذكرت فيها اسماء الملوك الذين يستحقون أن تقدم لهم القرابين. وهذه اللوائح اربع اهمها ما عثر عليه في ابيدوس ولائحة سقارة.

٤ – نقوش تحتمس الثالث وغيره من رجال الامبراطورية الذين تركوا لنا اخبارهم مفصلة فذكروا حروبهم والضرائب التي جمعوها والمتاجر التي تبادلوها مع جيرانهم، واهم هذه النقوش ما حفر على جدران الكرنك ومسلاته وجدران الدير البحري.

٥ – تاريخ منيتو الكاهن المصري اليوناني الذي عاش في الاسكندرية في القرن الثالث ق. م. وكتب باليونانية. ومع ان ما كتبه منيتو قد تلف او ضاع اكثره، فان يوسيفوس وغيره من المؤرخين المتأخرين نقل عنه الكثير، وبذلك وصلت الينا اخبار كثيرة مما دون هذا المؤرخ القديم.

ومصادر التاريخ البابلي المكتوبة هي: النقوش والكتابات التي عثرنا عليها في حفريات ما بين النهرين. وبالاضافة الى ذلك فعندنا بقية من تاريخ بيروسّس وهو كاهن بابلي عاش في بابل في القرن الثالث ق. م. وما كتبه بيروسس فيه كثير من الاساطير. فهو يقسم تاريخ البلاد الى (أ) ما قبل الطوفان (ب) ما بعد الطوفان. وعنده ان ملوك ما قبل الطوفان كانوا عشرة حكموا ٤٣٢,٠٠٠ سنة. وملوك ما بعد الطوفان مقسومون الى اسر يبلغ عددها خمسا وعشرين اسرة حكمت ٣٦٥٢٥ سنة. ويبدو من هذه الارقام الحد الذي يمكن معه الاعتماد على ما

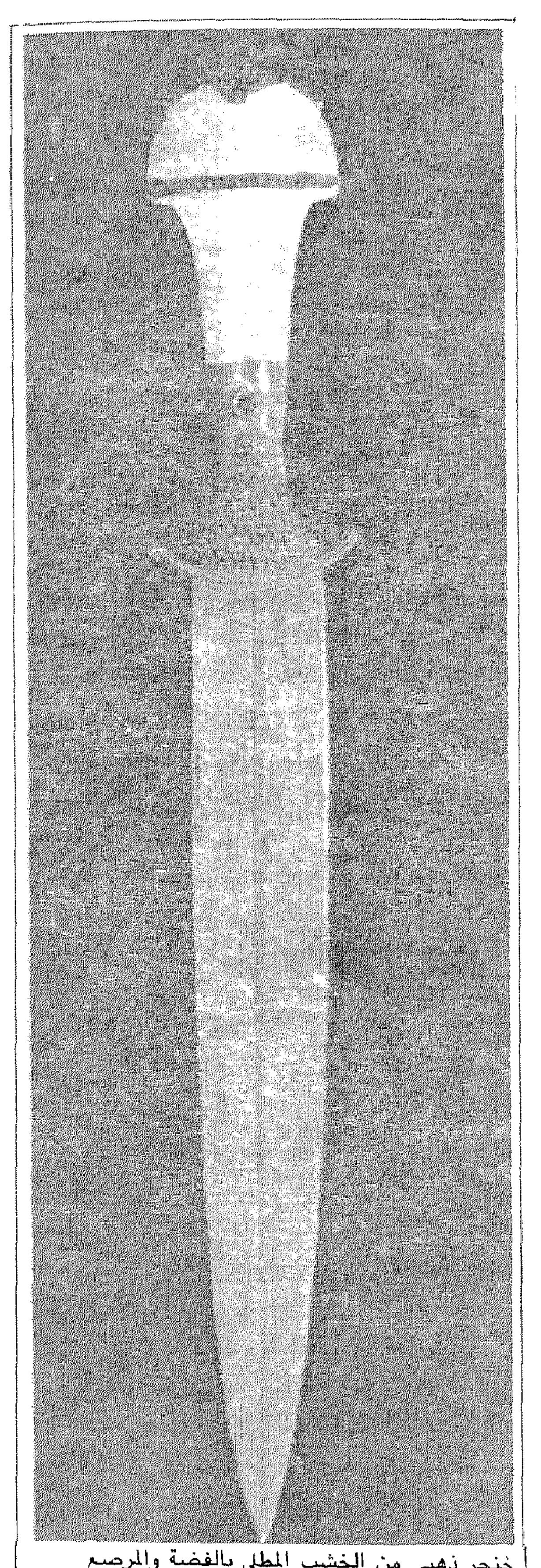
كتبه، وخاصة فيما يتعلق بالأزمنة المتقدمة.

فاذا انتقلنا الى ديار الشام وجدنا ان تاريخها القديم «الوثائقي» موضح بتفاصيله في كثير من المراسلات التي عثر عليها في اماكن مختلفة. وفي مقدمتها ما عثر عليه في تل مرديخ، ويعود الى اواسط الالف الثالث ق.م. وهناك «محفوظات ماري» التي اكتشفت في مدينة ماري (وهي تل الحريري اليوم) على نهر الفرات في سنة ١٩٣٧، والتي بلغ عددها نحوا من خمسة وعشرين الف وثيقة. ومحفوظات ماري توضح لنا الاحوال التي سادت في شمال سورية بشكل خاص في العهد الاموي او العموري. وفيما تتحدث عنه هذه المحفوظات ثلاث مدن كبيرة كانت تقوم في شمال سورية في ذلك الوقت هي: كركميش (او جرابلس) وحلب و قَطْنا. ويبدو ان العلاقات بين ماري وقطنا كانت وثيقة. ويتضح من هذه الوثائق ان ملوك اشور ما كانوا يمتنعون عن مصاهرة حكام قطنا.

واذا كانت محفوظات ماري قد صورت لنا الاحوال في مطلع الالف الثاني ق. م. فان «رسائل تل العمارنة»، والتي عثر عليها في تلك المحلة بمصر سنة ١٨٨٨، توضح لنا الصورة التاريخية للبنان وسورية وفلسطين في القرن الرابع عشر ق. م.

وتل العمارنة هو الاسم الحالي للمدينة المصرية القديمة المسماة «اخت اتون» والرسائل، التي يبلغ عددها نحو ٣٥٠ رسالة، مكتوبة كلها بالكتابة المسمارية وقد ارسلها الحكام والامراء في بلاد الشام الى مصر. والفترة كانت فترة ازمة سياسية واضطراب اقتصادي واجتماعي. ولذلك فان التفاصيل التي نحصل عليها ذات قيمة كبيرة.

اما الفترة الممتدة من القرن الرابع عشر الى القرن التالي فقد اوضحتها لنا المحفوظات السياسية التي عثر عليها في اوغاريت، اي راس الشمرا اليوم، والتي بدأ الكشف عنها سنة ١٩٢٨. وعلى سبيل المثال فان المعاهدة التي انعقدت بين شبلوليوما ملك الحثيين ونقمادو ملك اوغاريت كتبت باللسان الاكدّي الذي كان لغة الدبلوماسية في الشرق الادنى



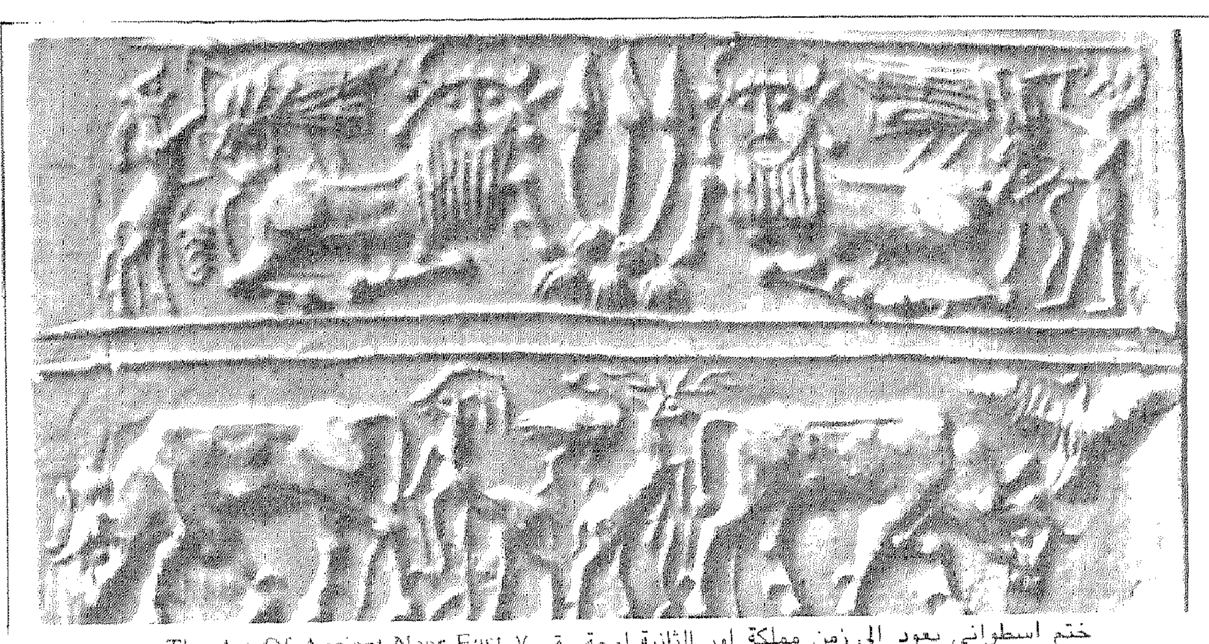
خنجر ذهبي من الخشب المطلي بالفضة والمرصع بالذهب يعود الى زمن مملكة اور.

يومئذ . لكن المحفوظات الاوغاريتية الأخرى الكثيرة جدا كتبت باللغة الاوغاريتية وبالكتابة الاوغاريتية ايضا .

على ان الادب التاريخي ظهر لأول مرة في الشرق القديم وعلى نطاق واسع في اسفار العهد القديم من الكتاب المقدس . وكانت هذه الأسفار تقبل من قبل على انها تاريخ ثابت واضح ، حتى عمل الباحثون والدارسون فيها نقدا وتحليلا ، وبخاصة منذ اواخر القرن الثامن عشر . والذي عليه الباحثون اليوم ان القسم التاريخي ، وهو الذي يعنينا الآن ، يشمل الأسفار الاحد عشرة الاولى ، هذا طبعا بعد ان نضع جانبا الجزء الاول من سفر التكوين الذي يوضح وجهة نظر القوم في الخليقة . وهذا القسم التاريخي يعتمد اربع روايات تحدرت من الفترة الممتدة من القرن العاشر الى اواسط القرن الخامس ق . م . ويميز الباحثون هذه الروايات على اساس ما يغلب على كل منها من مادة او فكرة . وعلى كل فالتفاصيل حررت اكثر من مرة لتناسب الافكار الخاصة التي روج لها الكتاب .

هذه المصادر المكتوبة إنما هي امثلة على ما كان المؤرخون يعتمدون عليه في درس المدنيات القديمة . ولكن لما اخذ الرفش والمعول طريقهما الى الاماكن التي سكنها القدماء ، وتم الحفر فيها والكشف والتنقيب والترتيب ، اتسعت الافاق واتخذت الازمنة ابعادا جديدة .

الكتابات القديمة وحل رموزها



ختم اسطواني يعود الى زمن مملكة اور الثانية لوحة رقم ٧ The Art Of Ancient Near East

كان المؤرخون ، الى اوائل القرن التاسع عشر ، اذا ارادوا الكتابة عن المدنيات القديمة عمدوا الى ما دون عنها في مصنفات القدامى باللغات المقروءة كالعربية واليونانية واللاتينية والارامية والعبرية . فقد كانوا يرجعون الى هيرودتس اليوناني وبليني واسترابون اللذين عاشا في اوائل عهد الامبراطورية الرومانية مثلا لمعرفة اخبار مصر وبابل وايران والى الطبري وغيره من المؤلفين العرب الذين تقصوا بعض الاخبار القديمة . ولكن منذ العقد الثالث للقرن التاسع عشر ، وخلال المئة سنة التي تلت ذلك ، تفتحت امام المؤرخين آفاق واسعة لما حلت رموز الكتابات القديمة - الهيروغليفية المصرية والمسمارية والفينيقية والحثية والاوغاريتية

وغيرها . ولما عثر المنقبون على آلاف من الوثائق بتلك اللغات القديمة ، اصبح بامكان المؤرخين ان يرجعوا مصادرهم المكتوبة عقودا طويلة من السنين ، وان ينقلوا من مصادر معاصرة للأحداث والمدنيات التي يتحدثون عنها .

وقصة حل رموز هذه الكتابات القديمة قصة طريفة . لكن قبل ان نروي طرفا منها نريد ان نضع امام القارئ عرضا سريعا لبعض هذه الكتابات القديمة . وهذه الكتابات على ثلاثة انواع . اولها الكتابات الصورية اي التي تعتمد الصورة اصلا لكل كلمة او فكرة . ومن ثم قد تسمى بعض هذه الكتابات الكتابة المرتبطة بالافكار . وفي مقدمة هذه الكتابة الهيروغليفية المصرية والكتابة الحثية الهيروغليفية . وهاتان قد حلت رموزهما . وفي عداد هذه الكتابات ما نقشه اهل كريت وسكان حوض السند وكتابات اميركة الوسطى والجنوبية . وهذه بين الكتابات التي لم تحل رموزها بعد . والنوع الثاني هو الكتابات المقطعية ، وهي الكتابات التي تدل كل اشارة فيها على مقطع من مقاطع الكلمة الواحدة .

والكتابة المسمارية التي ظهرت في سومر ونقلها فيما بعد البابليون والاشوريون والتي استعملها امراء بلاد الشام في رسائلهم الى مصر في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ومنها الكتابة الصينية . وثمة النوع الثالث وهو الكتابات التي تعتمد الالفباء ومنها ، بين الكتابات القديمة ، الفينيقية والاوغاريتية واللغة الفارسية القديمة . ومن الطريف ان يذكر الواحد منا ان اللغة الفارسية القديمة مثلا ، وكتابتها تعتمد الحروف الهجائية ، كانت تكتب بالخط المسماري ، كما ان الكتابة الفينيقية الاولى التي عثر عليها في جبيل كانت فيها رموز هيروغليفية .

كانت اولى الكتابات القديمة التي حلت رموزها الكتابة الهيروغليفية المصرية . وقد كان من حسن حظ المشتغلين بتاريخ المدنية المصرية انه في ايام حملة نابليون على مصر ، عثر قرب مدينة رشيد ، على حجر منقوش عليه نص ديني يعود تاريخه الى سنة ١٩٧ ق . م . والنص الديني ، على حجر رشيد ، كما اصبح اسمه في عالم التاريخ والآثار ، كان منقوشا باليونانية وبخطين من الكتابات المصرية القديمة ، الهيروغليفي والشعبي (الديموطيقي) . وكان من اليسير قراءة النص اليوناني ، كما انه كان قد عثر على اسماء بطليموس وكليوباترة ، باليونانية والهيروغليفية ، على مسلة ترجع الى ايام كليوباترة . فكان من نتيجة ذلك العثور على نقطة انطلاق لبضعة حروف يونانية تقابلها صور صوتية هيروغليفية . وقد عمل اكثر من شخص واحد في سبيل حل رموز الكتابة الهيروغليفية ، الى ان توج العمل بالنجاح على يد شمبليون سنة ١٨٢٢ . وبذلك انفتح الباب امام الباحثين على مصراعيه لمعرفة اسرار هذه النقوش المصرية على جدر المقابر والهياكل والمدونات على البردي .

وكان من المعروف عند الباحثين ان الخط المسماري ظل استعماله شائعا منذ ان صنعه السومريون في الالف الرابع قبل الميلاد الى القرن الخامس قبل الميلاد ، وذلك عبر البابليين والاشوريين والكاشيين والحثيين والميتانيين والفرس القدامى . والواقع فانه يوجد عندنا نقش بالخط المسماري يرجع الى سنة ٧٥ للميلاد . ولكن بعد ان زال استعمال اللغة البابلية بالذات ، اي في القرن الخامس ق . م . تضاءل استعمال الخط المسماري جملة .



خوذة من الذهب تعود الى زمن مملكة اور .

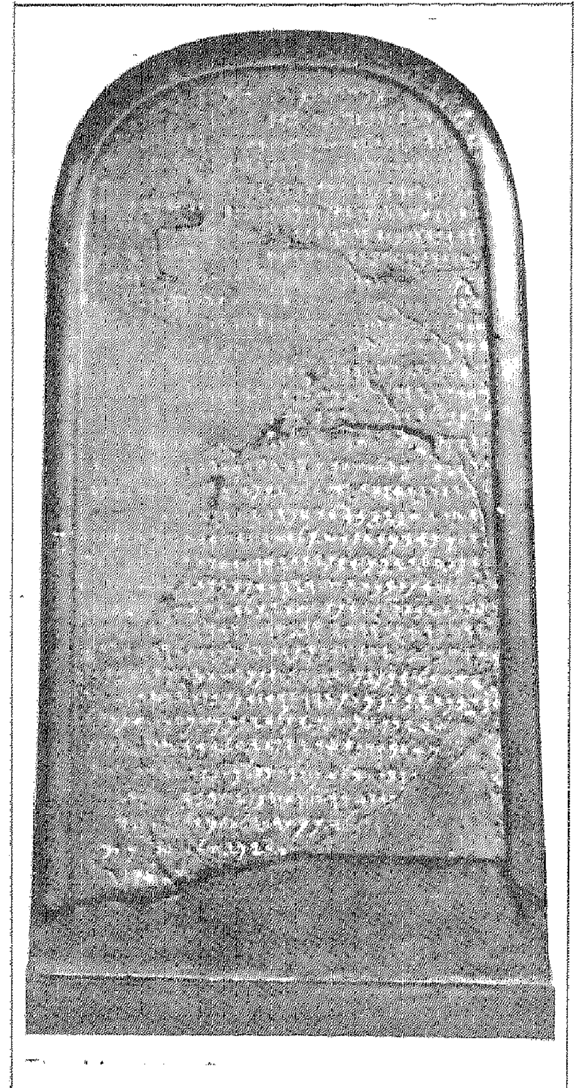
وقصة حل رموز الكتابة المسمارية، وهي التي كانت تكتب على اللبن بقطعة من الخشب، ثم تشوى الآجرات فتظل الكتابة قائمة، ترجع الى القرن التاسع عشر ايضا. وقد كان المهتمون بالآثار ووصفها قد نقلوا نقشا من برسيبوليس (على مقربة من شيراز بايران) ثم نشروا صورته سنة ١٧٧٨. والنقش كان مكتوبا بالخط المسماري لكنه كان يمثل ثلاث لغات هي: الفارسية القديمة ولغة سوسة (عيلام) والبابلية، الا ان النص كان قصيرا بحيث ان المحاولات التي قامت في سبيل حل رموزه لم تكن ناجحة تماما، ولو ان غروتفند الالماني وصل الى الحل تقريبا.

لكن هنري رولنصون البريطاني نقل بجهد كبير نقشا آخر، باللغات الثلاث ايضا، وبالخط المسماري، الا انه كان اطول واوفى. وهو النقش المعروف بنقش «بهستون» على مقربة من كرمنشاه. ذلك ان دارا الكبير امر بان تنقش اخبار فتوحه وتغلبه على الملوك على صخرة كبيرة في وجه جبل عال يرتفع نحو مئة وستين مترا عن الطريق. وكان ذلك سنة ٥١٦ ق. م. فجاء رولنصون ونسخ النص الذي كان، مثل نقش برسيبوليس، بلغات ثلاث، وذلك في سنوات ١٨٣٥ و ١٨٣٦ و ١٨٤٧. واللغة الفارسية القديمة كانت الفبائية الأصل، لكن الخط كان مسماريا. اما اللغتان الاخريان فقد كانتا مقطعيتين. وبالمقابلة والمقارنة والصبر والجهد نجح رولنصون في حل رموز الخط المسماري وكان ذلك سنة ١٨٥٢. اي ان ذلك جاء بعد ثلاثين سنة من حل رموز الكتابة الهيروغليفية.

وفي القرن العشرين حلت رموز ثلاث كتابات هي الهيروغليفية الحثية (سنة ١٩٣٩) والفينيقية والاوغاريتية.

ويقول زميلنا الدكتور انيس فريحة عن حل رموز الكتابة الاوغاريتية ما يلي:

«كانت طريقة الاوغاريتيين في الكتابة طريقة سائر الشعوب السامية اي الاكتفاء بادراج الحروف الصامتة وترك الحركة للقارىء، وفي هذا ما فيه من عسر وابهام وحدس ولسنا ندري كيف كانوا ينطقون، لان ادبهم الذي



عمود حجري يحمل نقشا تذكاريا لانتصار الملك ميشع المؤابي ضد ملوك شمال فلسطين.

وصل الينا مكتوب بحروف صامتة، ولا نعلم ان احدا تجرّأ على قراءة هذه النصوص بالحركات، ولكن يقدر ان النطق لم يكن يختلف كثيراً عن العبرية والآرامية.

«لما اكتشفت اللوحات في المكتبة المجاورة للهيكل في اوغاريت، ارسلت فورا الى باريس لينظر الاستاذ العلامة «فيرولو» في امرها. لانه ثقة بالخط المسماري. وقد لحظ «فيرولو» ان هذه الكتابة، بالرغم من كونها بابلية - اشورية في اشكال رموزها وفي شكلها الخارجي، يجب ان تكون هجائية لا صورية او مقطعية، لانها تتألف من ٢٦ - ٢٧ حرفا - والواقع انها تتألف من ٣٠ رمزا. وهذه الملاحظة كان لها اثر بالغ في تسهيل حل الرمز.



جدرانيات من تل العمارنة

« ويعود الفضل في حل رموز الكتابة الاوغاريتية الى ثلاثة علماء : شارل فيرولو (Virolleaud) العالم الثقة في الخط البابلي الاشــوري والى الاستــاذ ادوار دورم (Dhorme) ، والى الاستاذ هانس بور (Bauer) الالماني .

« عمل هؤلاء العلماء الافاضل مستقلين الواحد عن الاخر ، وجاءت النتائج واحدة ، مما لم يترك مجالا للشك في صحة الحل . وقد قدر الاستاذ بور ان النتائج سامية ، وذلك لوقوع المدينة في اطار اللغة الآرامية . وفي شهر حزيران ١٩٣٠ ، اعلن انه استطاع التوصل الى معرفة ١٧ حرفا ، وفي كانون الاول توصل الى قراءة تسع كلمات ، فاصبح لديه ٢٣ حرفا من اصل حروف الهجاء . في الوقت ذاته توصل دروم الى معرفة ١٢ حرفا واستطاع ان يقرا ثلاث كلمات . وفي السنة ذاتها اعلن فيرولو انه استطاع ان يتوصل الى معرفة جميع الحروف الهجائية الاوغاريتية باستثناء حرف واحد نسب الفضل في اكتشافه لزميله بور .

« اما الطريقة المتبعة في هذه الحال ، حيث لا يوجد لغتان متقابلتان على الاثر الكتابي الواحد كحجر رشيد الـذي استعان بـه شامبليون ، فهي طريقة التجربة والخطأ . فان بور ، مثلا ، الذي افترض ان اللغة سامية – وكان افتراضا صحيحا – حاول ان يعزل العناصر اللغوية السامية المشتركة ، وهي بعض سوابق (جمع سابقة Prefix) ولواحق (جمع لاحقة Suffix) ووسائط (واسطة Infix) تلحق بالاسماء والافعال . كذلك بعض حروف العطف التي تتصل بالكلمة بعدها مثل «ب» «ل» «و» ... الخ . وقد لحظ ان حرفين دائما يسبقان الاسم ، او ما ظنه اسما ، وقدر انهما اللام (ل) والباء (ب) . فاذا ما وجد كلمة تتألف من ثلاثة احرف اولها باء وثالثها ل فان تقدير الحرف الاوسط اصبح سهلا : ع ، فيصبح لديه « بعل » ولم يكن عسيرا تمييز كلمة «بن» «ملك» «ال» (= ايل) وهكذا حلت رموز الكتابة .

وعندما اصبح العلماء يقرأون النصوص لم يعد من الصعب تفسير المعنى لان اللغات السامية متقاربة في المفردات وفي قواعد الاشتقاق والتركيب (النحو) . »

ولنعد الان الى الكتابة الفينيقية ، اي الى الالفباء العالمية .

وكان ثمة خلاف بين المشتغلين بتاريخ الكتابة الهجائية عن اصل الالفباء ومكانها وتطورها . ولكن الاستـاذ موريس دونـان (Dunand) وضع حدا لذلك لانه اكتشف في



قطعة حجرية وجدت في فلسطين تعود الى سنة ١٤٠٠ ق . م . وقد نقش عليها جزء من ملحمة غلجامش

جبيل في سنوات ١٩٢٩ و ١٩٣٣ وما تلا ذلك نقوشا اعتبرها الام للكتابة الهجائية الفينيقية .

والواقع اننا عندما نود ان نتعرف الى اصل الالفباء ، يتوجب علينا ان نعود الى النقوش المكتوبة بها وتاريخ تسلسلها . وها نحن نعرضها هنا من احدثها عهدا الى اقدمها زمنا ، وهي .

١ - نقش قناة سلوان في القدس ويرجع الى اواخر القرن الثامن ق . م . نقشه ملك القدس لما اتم حفر القناة التي كانت تمكن اهل القدس من الحصول على الماء بواسطة هذا النفق الصخري ، واللغة عبرانية لكن الحروف الهجائية فينيقية .

٢ - نقش الرويسة قرب النبطية ، وهو فينيقي الكتابة يرجع تاريخه الى القرن الثامن ق . م . اكتشف سنة ١٩٢٦ .

٣ - حجر مؤاب ويرجع الى ايام ميشع ملك مؤاب في اواسط القرن التاسع ق . م . نقش هذا الملك اخبار انتصاره على المملكة الشمالية في فلسطين . والحجر الذي عثر عليه في ديبان سنة ١٨٦٨ موجود الان في متحف اللوفر بباريس لكن توجد منه نسخة في المتحف الفلسطيني بالقدس . ولغة النقش قريبة من العبرانية جدا وحروفه فينيقية .

٤ - كتابة على قطع من الخزف ترجع الى القرن التاسع ق . م . عثر عليها في نابلس .

٥ - نقشان يرجعان الى اوائل القرن العاشر ق . م . واحد لابيبعل والثاني لالبيبعل عثر عليهما في جبيل (ببلوس) : الاول سنة ١٩٠٠ والثاني سنة ١٩٢٦ وهما مكتوبان بالحروف الفينيقية المعروفة .

٦ - نقش عثر عليه في قبر احيرام بجبيل يرجع الى اواسط القرن الثاني عشر اكتشف سنة ١٩٢٢ ، ولغته وحروفه فينيقية .

يتضح من هذا ان الالفباء الفينيقية نشأت في جبيل وما اليها ، وانها هي التي انتشرت شرقا وغربا ، اما الكتابة الاوغاريتية فلم يكتب لها ان تصبح « حرف المدنية » . ■

بعد استعراض مقدمة عامة في التقاء الشرق والغرب في العصر الوسيط والامتزاج الثقافي بينهما، عمد البروفسور رونكاليا الى دراسة نموذج على هذا الالتقاء في جزيرة صقلية، وفي تتمة مقاله، في هذا العدد، يتابع هذه الدراسة باحثا في آثار الفكر العربي بعامة في الحياة الصقلية مشيرا الى اهم العوامل المساعدة في تأسيس ذلك والى النابغين من ابنائها والحالين فيها مع تعريف بنتاجهم. والدراسة هي بحق، شهادة صادقة بالادلة، على دور البحر الابيض المتوسط كصلة وصل حضارية كانت ولم تزل قائمة.

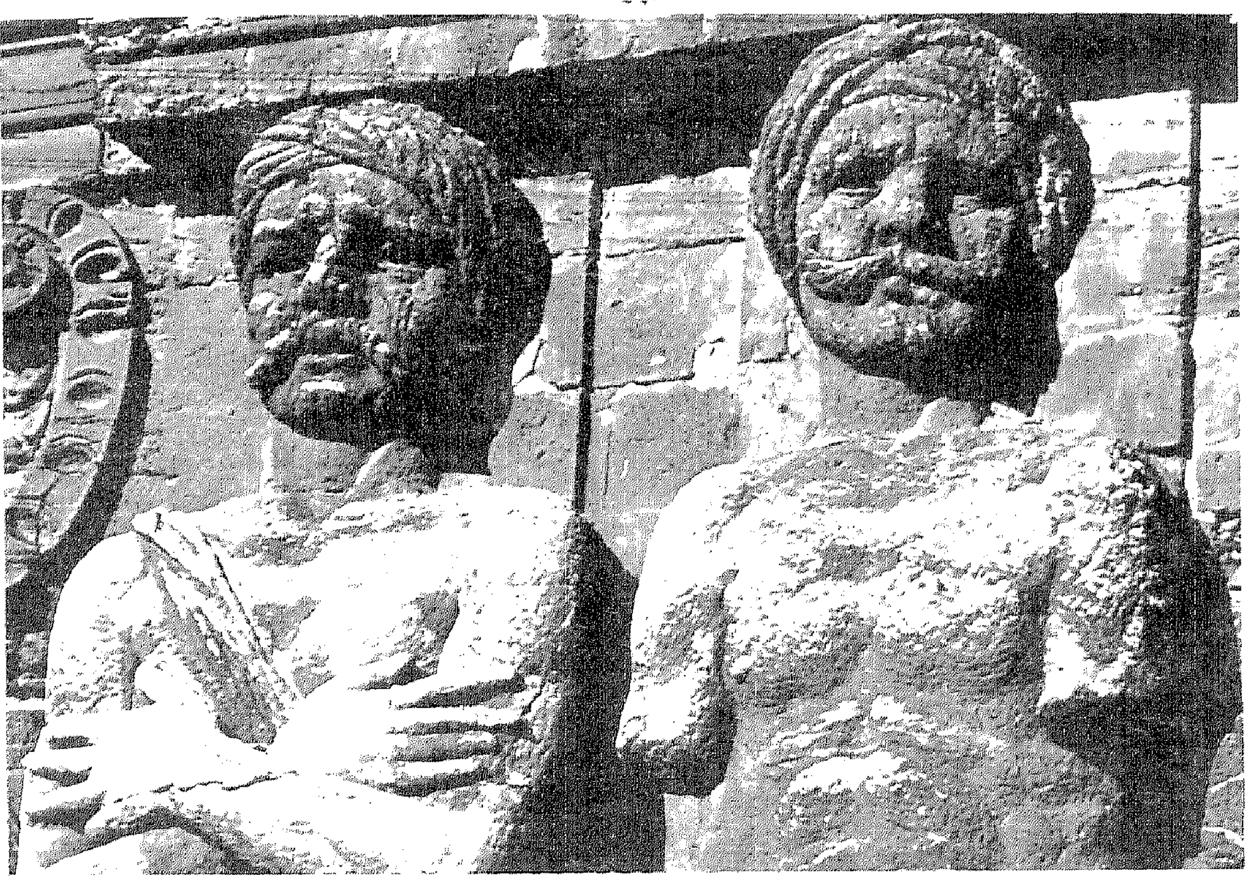
الشرق والغرب المتوسطي في العصر الوسيط

صقلية

د. رونكاليا

ترجمة: علي حرب

(الحلقة الثانية)



وجهان « صقليان » وتبدو عليهما الملامح العربية

التأثير في الانتاج الفكري

لقد سبق لي ان استشهدت بابن القطّاع الصقلي في مختاراته الأدبية حيث يذكر مائة وسبعين شاعرا صقليا، ولكن قلائل جدا من بينهم من نعرف له بعض قصائده او اشعاره. غير ان واحدا منهم ترك ديوانا كاملا محفوظا في مكتبة الاسكوريال. انه ديوان ابن حمديس[١١] السراقوسي الذي وصل الينا في نسخ نقلت في اسبانيا ودمشق. وهناك عدد من التواريخ الخاصة الصقلية الفها او جمعها علماء مسلمون غير انه لم يبق لنا من كل هذه الاشياء الآن سوى اخبار كمبردج (سميت هكذا لان المخطوطة وجدت في مكتبة

جامعة كمبردج). وهذه الاخبار المكتوبة بالعربية تستند على نص يوناني اصلي. وهي تبقى دقيقة ولو ان فائدتها التاريخية هزيلة جدا. وقد احتفظ بالعربية ايضا ملخصان في الطب ومصنف في القانون الاسلامي ومعجم لبعض اصناف الفعل كتبه ابن القطا وثلاثة مؤلفات صغيرة في الادب والاخلاق. وقد ترك الامير اوجين الصقلي ترجمة لاتينية عن الترجمة العربية لكتاب بطليموس في البصريات. وهذه الترجمة اللاتينية يعود تاريخها الى القرن الثالث عشر على الاكثر. ولكننا لم نعد نعلم شيئا عن النص العربي. اما عن الامير اوجين الصقلي، فاننا نعلم ان مؤلفا مجهولا حوالي عام ١١٦٠ اقام له وزنا كبيرا نظرا لمساهمته كاختصاصي في الآثار العلمية اليونانية والعربية. فهو يقول بالنسبة لترجمة البصريات انه (الامير) استخدم مخطوطتين عربيتين، ولكنه اتبع في تنقيحه المخطوطة التي كانت اكثر مطابقة للأصل لأن الجزء الاول من النص العربي قد فقد في القرن الثاني عشر.

هذا ما تبقى من مجمل الانتاج الفكري العربي الصقلي السابق للنورمانديين (١٠٦١ - ١٠٩١). فمن بين بضع مخطوطات عربية محفوظة في المكتبات الحالية في بلرمو لا نجد اية واحدة منها من مصدر صقلي.

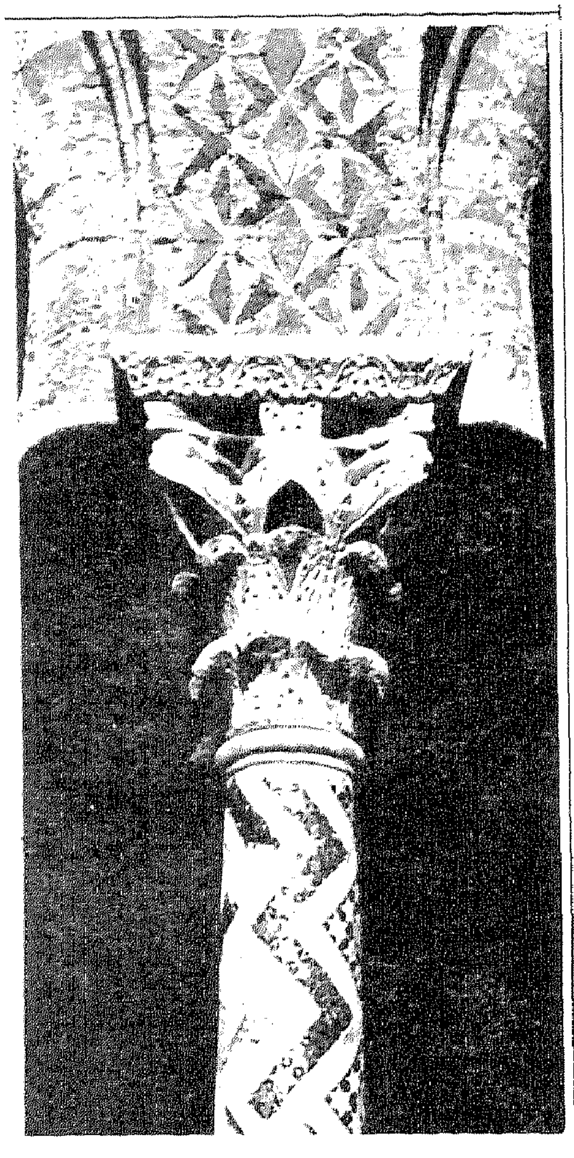
اختفاء الآثار العربية في صقلية:

ان هجرة الطبقة المثقفة المسلمة مع اقتراب اعادة فتح الجزيرة بواسطة النورمانديين الذي بدأ عام ١٠٦١ وانتهى عام ١٠٩١ على يد روجر الاول، والجهل وعدم الاهتمام لدى الاجيال اللاحقة وسوء نوعية الورق التي يسهل تفتيتها بسبب الرطوبة والطبيعة الظرفية لمواد البناء، كانت من الاسباب التي لا يمكن إهمالها في اختفاء المخطوطات والعمارات. مما لا شك فيه ان الخسارة الهامة نجمت عن الغزو النورماندي. ففي وثيقة يعود تاريخها الى تشرين الاول ١٠٩٣، تسند ملكية اراض الى كنيسة مزارا، نجد الكونت روجر الاول يزهو بنفسه لكونه حطم كبرياء المسلمين وجسارتهم. ويمكن ان نقرا ايضا في هذه الوثيقة الاتي:

«لو نظرنا الى الخرائب الضخمة والمتعددة في قلاع المسلمين ومدنهم، وإذا عرفنا مدى الدمار الهائل في القصور التي بنوها بفن مدهش، ولو فكرنا في الاستعمال الزائد، لكل هذه الاشياء، افلا نلاحظ انه يوجد في كل هذا اضرار عديدة ومآس جسيمة وخسائر لا حصر لها؟».

العودة الى تمثل الثقافة العربية الاسلامية

ومن حسن حظ المدنية وصقلية انه بعد الضراوة التي رافقت كل نزاع من اجل إعادة فتح الجزيرة، استطاع النورمانديون ان يتمثلوا الثقافة التي كانت موجودة قبلهم بسرعة كافية. وهكذا فان البلاط النورماندي بدا لكثيرين كبلاط


اثر النقوش العربية داخل كاتدرائية مونتريال.

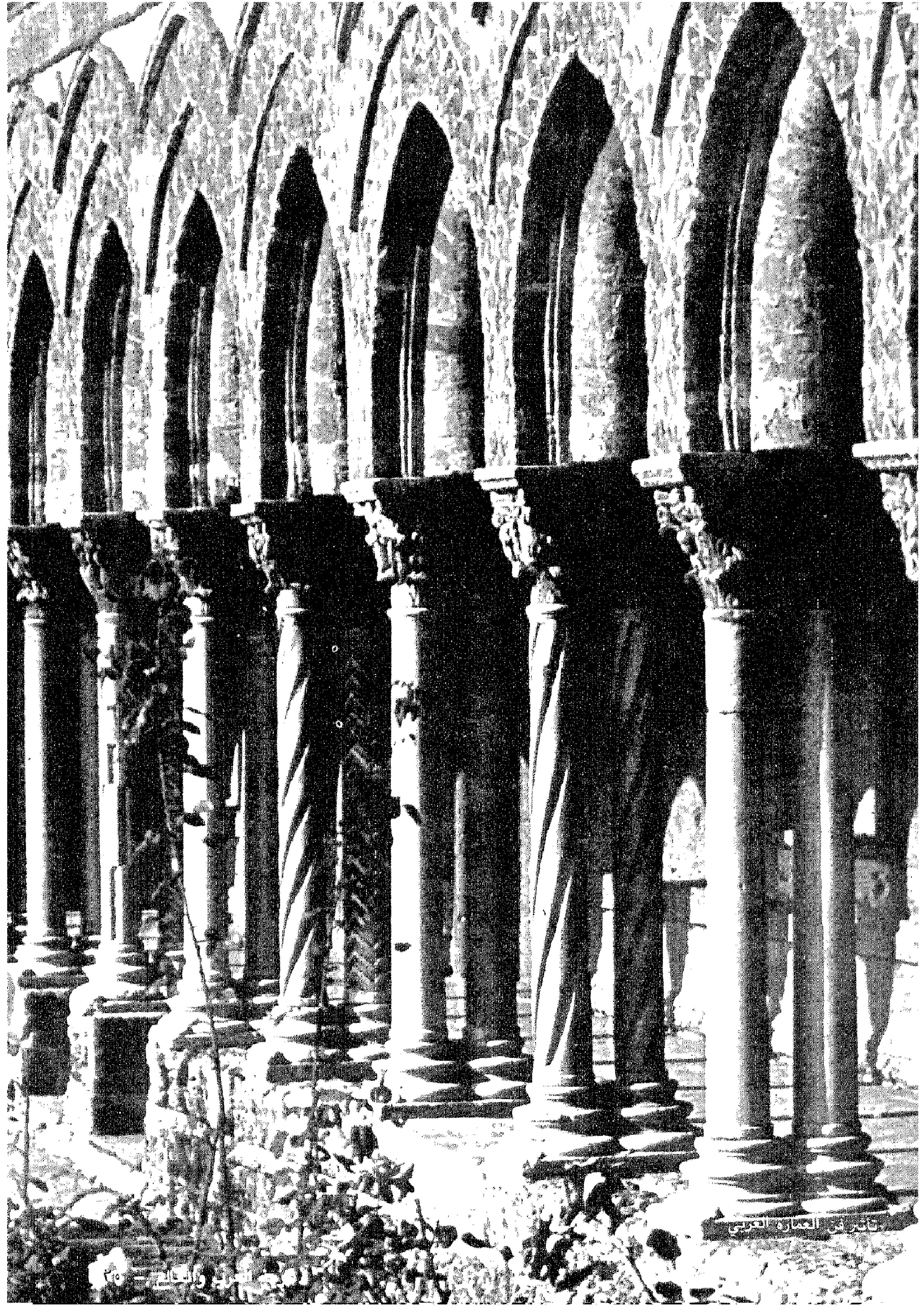
إسلامي. مما لا ريب فيه انه خضع لعملية تعريب قوية الى الحد الذي يتقبله الدين المسيحي، اي مع وجود هامش عريض جدا بالنسبة لفاتحين اتوا من الشمال. فالعبادة المسيحية كانت تقتضي بالنسبة لصقلية استعمال اللغة اليونانية، ومن جهة اخرى، لم يكن بالامكان ايكال امر فسيفساء تمثل مشاهد وشعائر مسيحية الى فنانين مسلمين: ومع ذلك فان النشيد البيزنطي المقدس في قبة مارا تورانا يناظر النقش العربي بالحروف الكوفية. ان اوغو مونارت دي فيلارت يؤكد في عمله الخالد «التصوير الاسلامي على سقف مصلي بلاط روجر الثاني النوماندي»[١٢] ان الفن الذي ينم عنه هذا التصوير هو مأثرة ثمينة من مآثر الفن الفاطمي خارج مصر، والذي يرجع بدوره الى روح التصوير العراقي[١٣]، ومركزه سامراء[١٤] وهكذا فان التصوير الاسلامي لمصلي بالاتينا في بلرمو يسمح بأن نتعرف على نحو افضل الى الفن الفاطمي وان نقيم على نحو افضل الفن العراقي السامرائي. وهذا مثل ملموس على مدى التعقيد في مشكلات التأثير الثقافي.

وفي العصور القديمة – كما هو الحال في الشرق القديم – كانت طريقة اللباس دليلا خارجيا على المعتقد، الطائفة او المذهب الذي نعتنقه. وهكذا كان روجر الثاني يتزيا في فسيفساء ماراتورانا بالزي الامبريالي البيزنطي (يجب ان لا يغيب عن البال ان صقلية كانت بيزنطية قبل ان تكون اسلامية). ولكن حيث لم تكن الضرورات الدينية المسيحية تفرض حدودا كان الملوك النورمانديون يفضلون العادات الاسلامية. لقد لقب «روجرس باغانوس» «بروجر المسلم» على يد إخباري قديم لا شك بنزاهته. وبالفعل فان روجر الثاني ارسل خلال عقد من الزمن آلاف المسلمين (المسجلين في جيشه) لاكتساح منطقة البوي[١٥]. واوكل بناء اسوار مدينة باري (Bari) الى مهندسين مسلمين، كما اوكل ادارة آلات الحرب (ابراج نقالة، قاذفات منجنيق) الى فنيين مسلمين ايضا. وكان المهندسون والفنانون المسلمون يساعدون على تشييد وتجميل الابنية الجديدة التي تزين العاصمة بلرمو. كما هو الحال في كنائس البلاط والقديس كاتالدو والقديس يوحنا الزاهد التي تؤلف قببها الحمراء ومناراتها تناقضا فريدا مع النمط الكلاسيكي للبازيليك[١٦] المسيحي وذلك باتخاذها شكل المسجد.

وهناك فيلات فخمة تحيط بالعاصمة بناها الملوك النورمانديون لا تزال اسماؤها عربية: القبة (Cuba) الفوارة (Favara)، البيضاء (Baida). وعلى مداخلها وعتباتها وكفاف ابوابها نقرأ نقوشا منظومة بالعربية، تماما كما هو الحال في القصور الملكية في بلرمو ومسينا. ولم تكن قراءة هذه النقوش تصعب على الملوك النورمانديين، لانهم كانوا محاطين بكتاب وشعراء عرب يمدحون سخاء متعهديهم ويمجدون الاعياد والاستقبالات الزاهية والقصور والحدائق بقصائد لا تنتهي لم يسجل منها جامعها العربي «عماد الدين» سوى بضعة اجزاء فقط، إذ يصرح بأنه عمل غير مجد «التوقف عند مدائح الكفار الذين سيرميهم الله في سعير جهنم».

ومع ذلك فان هؤلاء الشعراء المسلمين الذين كانوا ينظمون المدائح في الملوك المسيحيين النورمانديين حماتهم لم يكونوا يبالغون البتة. ذلك ان روجر الاول كان يستضيف العلماء الذين يأتون اليه من اي صقع كان وبمروءة وسخاء. زد على ذلك انه طلب الى مسلم ان يحرر له اعظم اثر جغرافي في العصر الوسيط، الا وهو الشريف الادريسي. وهذا الاثر هو عبارة عن خارطة لنصفي الكرة الارضية مصنوعة من الفضة تزن مائة وخمسين كلغ ويبلغ قطرها متران تقريبا. وهو يتوج خمسة عشر عاما من الابحاث الجغرافية وكان في اصل كتاب روجر المشهور الذي عنوانه الكامل: «كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق». وهناك دراسة نقدية له قائمة منذ ١٩٧٠ برعاية المعهد الشرقي في نابولي ومعهد الشرق الاوسط والاقصى في روما.

وعندما بلغت السيطرة النورماندية على صقلية نهايتها عام ١١٨٥، فان التغيرات المفاجئة في رحلة ابن جبير اثناء عودته من مكة والمدينة دفعت هذا الحاج المتدين الى التوقف



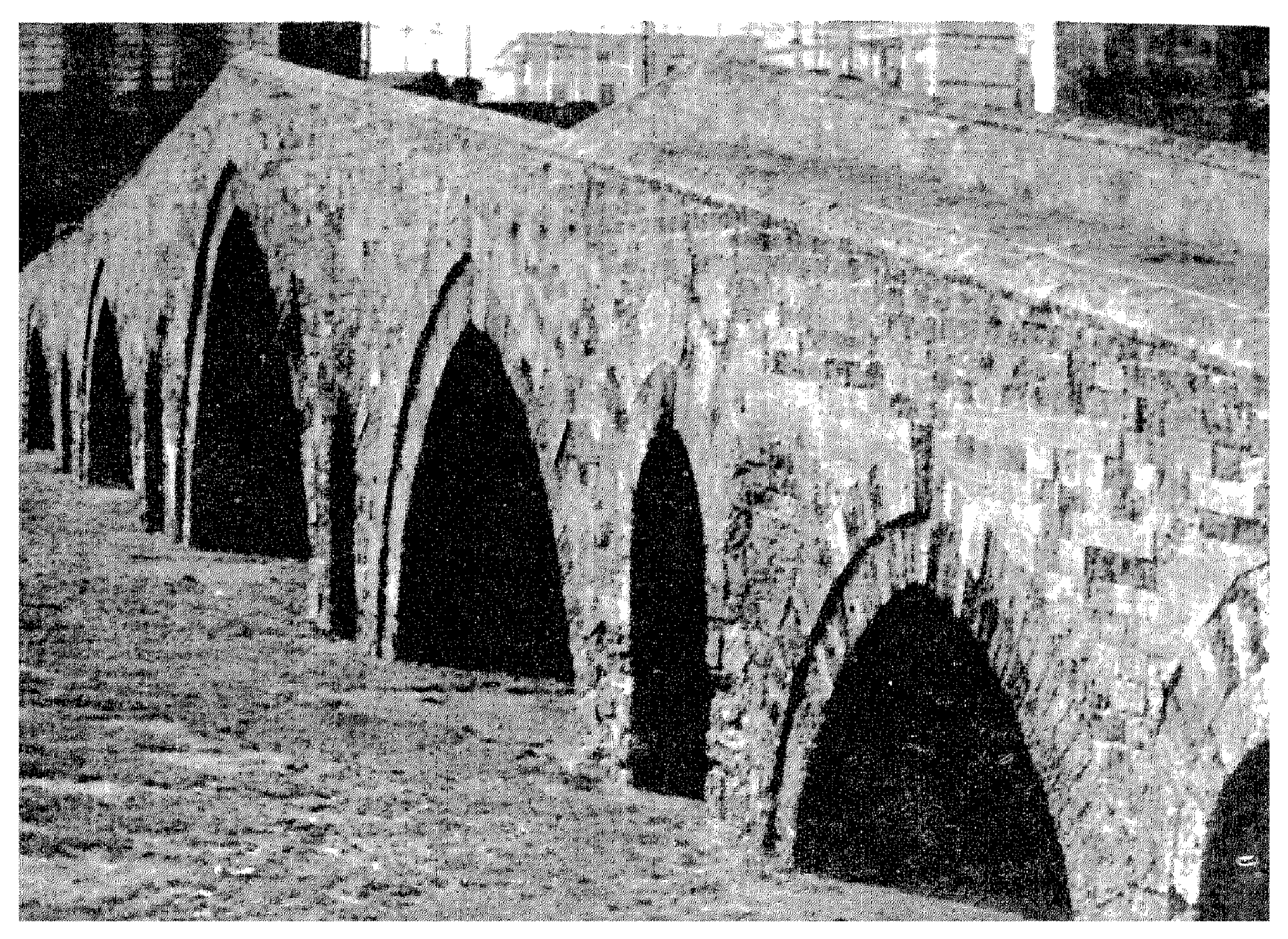
تأثير فن العمارة العربي

بعض الوقت في بلرمو. واليك انطباعه عما رآه وكتبه في كتابه المشهور «رحلة ابن جبير». فهو يتحدث عن الملك النورماندي غليوم الثاني وبقية الناس كما يلي: «إنه لامر جدير بالاعجاب ان هذا الملك يلجأ الى خدمات المسلمين ويعتمد في بيته على خدم جلهم او معظمهم يحتفظ بدينه سرا ويستمر على تمسكه بالاسلام. فهو يثق بالمسلمين غاية الثقة. فيتكل عليهم في تصريف شؤونه وفي الأمور الخطيرة.. وهو يختار من بينهم وزراءه وحجابه الذين يملك منهم العدد الكبير». وقبل ذلك بكثير كان ابن جبير قد لاحظ في روايته بعُجْب ان الملك يقرا العربية ويكتب بها وان نساء القصر الملكي جميعهن مسلمات. وكذلك هم مسلمون ايضا، «الخدم الذين هم اعيان ووزراء المملكة والذين يمارسون جميعهم بلا استثناء الصوم الاختياري والمستحق في الاشهر المخصصة لذلك» حسبما تقتضيه الفرائض الاسلامية. واخيرا يلاحظ ابن جبير ان النساء المسيحيات في بلرمو «يشبهن في مظهرهن النساء المسلمات وانهن كهؤلاء يحسن الكلام بالعربية ويتغطين بالملاءة ويضعن الحجاب».

ان احد امتيازات السيادة سواء في القسطنطينية او في الشرق، كانت تمثله صناعة الحرير الموشى بالذهب (وهو عرف تخلد في نجارى بالنسبة للهدايا التي كان يصنعها توفاريش[١٧] الكرملين للشخصيات الممتازة). ولم يرد الملوك النورمانديون ان يكونوا اقل شأنا من زملائهم قياصرة بيزنطيا او الخلفاء. ولذلك اقاموا في نطاق قصورهم طرازهم الخاص حيث ان عبيدا بعضهم القليل من اليونان لكن معظمهم من المسلمين كانوا يطرزون ويزينون هذه المعاطف والقمصان والأكف والساقيات الفخمة التي كانت تنتشر في اوروبا والتي لا تزال بعض نماذجها تغني في ايامنا هذه الخزينة الامبراطورية في فيينا.

اما الامتياز الآخر فقد مثلته المسكوكات ففي السنة نفسها التي استولى فيها النورماندي روبرت لوجيسكارد على بلرمو، قام هذا الاخير بصك العملة بالعربية مع «شهادة لا اله الا الله، محمد رسول الله»، اضافة الى الآية القرآنية «محمد رسول الله... ارسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله» وسيقتضي مرور ستين عاما قبل ان تستبدل هذه النماذج الاسلامية. وحتى بعد هذا بقيت الكتابة بالعربية واستمر التأريخ حسب التقويم الهجري. وكان الملوك النورمانديون يضيفون الى اسمائهم على طريقة الخلفاء القابا تشريفية، مستخدمين اسلوب الوثائق الاسلامية. زد على ذلك ايضا انه في اثناء السيطرة السآبية[١٨]، في القرنين الثاني عشر والثالث عشر كانت تصدر عن دار العملة في صقلية عملات ذهبية منقوشة بالعربية لان الدنانير والروبيات الاسلامية كانت تشكل النقود الاكثر تداولا في منطقة المتوسط كلها. انها الحقبة حيث كانت حتى جمهوريتي سلرنو[١٩]، واملفي[٢٠] تنسخ الروبيات الفاطمية المصرية، ما عدا زيادتها احيانا صليبا في وسط الشهادة الاسلامية.

وفي المنمنمات المدهشة التي تزين القصيدة التي الفها بيار ابيولي عام ١١٩٦ على شرف هنري الرابع الامبراطور الجرماني ثمة منمنمة صنعها فنان كان يعرف جيدا في صقلية النورماندية. وفيها نشاهد ليس فقط السكان المسلمين في حين سيراكادي (شارع القاضي) في بلرمو، بمن فيهم الطبيب والمنجم العربين يعتنيان بالمرض الاخير الذي اصيب به الملك غليوم الثاني. ولكننا نجد في منمنمة اخرى تمثيلا لمستشارية الدولة حيث يتم التعرف الى الاشخاص من طريقة لباسهم، ما يسمح بالتمييز بين فئات «كاتبي العهود» اليونان واللاتين والمسلمين. ونحن نعلم فعليا، عن طريق ابن جبير ان المهام السياسية والادارية للدولة كان يضطلع بها مسلمون ومسيحيون. وكانت المهمة الاكثر خطورة إذ ذاك القيام بأعباء «الديوان» الذي احتفظ بالاسم والقوانين التي كانت له في العهد الاسلامي، كما احتفظ بسجلات المسح التي كانت تسمى دفتري (Daftari)، او ديفيتري (Defetari) والتي نظمت بالعربية ايضا اثناء عهد غليوم الثاني. ثم ان احد اعلى المناصب في الدولة استمر في حفاظه على اللقب العربي «امير» الذي تحول في اللاتينية الى Amiratus وفي اليونانية الى



احد الجسور في باليرمو بني سنة ١١١٣ على الطراز العربي

X'MMPX' dos بينما انتقل من بعد لقب القائد الذي ادخله المسلمون الى صقلية الى المصطلح المسيحي لكي يدل على الرئيس – القاضي. والغرامة التي كانت توضع بموجب الفقة (القانون الاسلامي) على اليهود والمسيحيين (بصفتهم اهل ذمة)، هذه الجزية او كابتاسيو (Capitatio) في القانون الروماني احتفظ بها النورمانديون من خلال الشكل اللاتيني المتأخر: Gesia: فالمسيحيون سيفرضون هذه الغرامة على يهود ومسلمي لوسرا في كامبانيا[٢١]. واستنادا الى الوثائق نجد انه طيلة العهد النورماندي كله كانت العقود الخاصة تنظم امام القاضي المسلم وفقا للنماذج والتواريخ الاسلامية عندما كان البائع او الدائن مسلما، حتى ولو كان الفريق الآخر مسيحيا. اننا نعرف حالة شبيهة في اسقفية مسينا.

العودة الى اللاتينية واستمرارية المظاهر العربية الاسلامية:

وفي القرن الثالث عشر وتحت الحكم السآبي توقفت مستشارية بلرمو تدريجيا عن تحرير الوثائق بالعربية واليونانية واختفت بذلك طبقة كاتبي العهود اليونان والمسلمين. ان لاتينية صقلية التي ضغطتها ثلاثة قرون من الاحتلال البيزنطي (٥٣٥ – ٨٢٧) والاسلامي (٨٢٧ – ١٠٩١) ومن مختلف الغزوات (الفاندل في ٤٤٠ والبرابرة في ٤٩٣، الخ، الخ) التي وطأت ارضها اخذت تحتل شيئا

فشيئا الواجهة. وصقلية هي ايضا مهد المدرسة الشعرية الايطالية التي ستنمو في بلاط فريدريك الثاني: ولكن هذا تاريخ آخر. وعلى اية حال بالرغم من هذه الظاهرة الطبيعية فان ما تميزت به الثقافة العربية من الروعة والحيوية استمر في البقاء. ان فريدريك الثاني الذي تربى في بلاط يزخر بالعلماء والذكريات الاسلامية وكان منذ طفولته يعبر بالعربية ويتمثل بعض علومها والذي كان متعطشا الى معرفة لم تكن توجد يومها الا في الكتب العربية، كان ايضا مفتونا بروعة وابهة البلاطات الشرقية. لقد كان بلاطه ملتقى للثقافات العربية واليهودية واللاتينية والايطالية. والترجمات التي قام بها اليهود والايطاليون للكتب العربية كانت من جملة المصادر، لمعارف انتشرت عبر اوروبا كلها. وكان فريدريك الثاني يتراسل مباشرة مع فلاسفة مسلمين من اسبانيا مثل ابن سبعين.

وقد حافظت الثقافة الاسلامية على بقائها ايضا عبر الملك مانغرد ابن فريدريك الثاني. ففي معسكره الذي كان مقره لوسرا (التي تسميها الاخبار لوسرا باغانوروم Lucerra Paganorum) استمر جيشه المسلم بتأدية الصلوات الخمس اليومية بملء حريتهم حسب الطقوس الاسلامية. وفي زمن مانغرد هذا انما قام عالم وقاض سوري من حماة هو جمال الدين سليم ابن واصل بتصنيف كتاب في المنطق بالعربية بعنوانه: ·«الامبراطورية»[٢٢] L'Imperiale. وبالمناسبة فان هذا العالم هو ايضا مؤلف كتاب «مفرج الكروب في اخبار بني ايوب». وكتاب «لجريد الاغاني».

وبالرغم من ذلك، فان حيوية الثقافة الاسلامية في القرن الثالث عشر قد اعتراها الانحطاط الشامل تقريبا في صقلية: فقد هاجر قسم من المسلمين الى اقاليم اكثر تسامحا، ودخل قسم آخر في المسيحية.

وفي نهاية القرن الثالث عشر لم يعد للغة العربية من حياة الا بين الطوائف.... اليهودية في صقلية وايطاليا الجنوبية.

إن الذي يتحدث اليكم سينشر قريبا دراسة حول اللغات الشرقية في اوروبا في القرن الثالث عشر حيث يتبين من خلالها انه بواسطة العلاقات البالغة الوثوق التي كانت تربط التجمعات اليهودية في اسبانيا مع مثيلاتها في فرنسا وايطاليا، كان من الممكن للثقافة الاسلامية والعربية ان تتغلغل في سلرنو (مدرسة في الطب) وفي نابولي (مركز فلسفي وادبي) وفي بولونيا (مركز فلسفي رشدي)[٢٣]، وفي باريس (مركز لاهوتي وفلسفي رشدي) وفي اكسفورد (مركز علمي للرياضيات والميكانيك والكيمياء الخ).

الشرق والغرب في العصر الوسيط، الشرق والغرب اليوم: صلة الوصل: البحر المتوسط.

---

(١١) ولد في سراقوسة عام ١٠٥٤ نشأ في الجزيرة وقضى شبابه فيها، ووصفها في شعره هاجر الى الاندلس بعد سقوطها في يد النورمانديين، يعتبر اكبر شعراء صقلية باللغة العربية.

(١٢) روما ١٩٥٠.

(١٣) بالاستناد الى: Richard Ehinghausen

(١٤) بالاستناد الى: Ernest Herzfeld

(١٥) البوي Pouilles منطقة في ايطاليا الجنوبية - المعرب

(١٦) كنيسة قديمة ايوانية الشكل - المعرب -

(١٧) ومعناها في الروسية الرفاق - المعرب -

(١٨) نسبة الى (Souabe) بالالمانية (Schwaben). وهي منطقة في المانيا الجنوبية على الدانوب الاعلى (بافاريا) ومعلوم ان صقلية خضعت لسيطرة بعض الاسر الجرمانية. ومن اشهر الملوك الجرمان فردرك الثاني ومانغرد - المعرب -

(١٩) مدينة تقع في الجنوب الشرقي من نابولي على خليج سلرنو - المعرب -

(٢٠) مدينة ومرفأ تقع على خليج سلرنو ايضا - المعرب -

(٢١) منطقة في ايطاليا الجنوبية على البحر التيراني - المعرب -

(٢٢) عرف هذا الكتاب الذي الفه جمال الدين الى ملك صقلية اثناء إقامته الطويلة فيها، عرف في المشرق بعنوان «نخبة الفكر في المنطق». راجع دائرة المعارف الاسلامية، جزء اول، ص ٤١٣ - المعرب -

(٢٣) نسبة الى ابن رشد.



من خلال وثائق المحكمة الشرعية المصرية

د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم
جامعة قطر

تقديرا من مجلة «تاريخ العرب والعالم» للمؤتمر الثالث لتاريخ الشام الذي عقد مؤخرا في عمان ما بين ١٩ - ٢٤ نيسان ١٩٨٠ الموافق ٤ - ٩ جمادي الثانية ١٤٠٠هـ. اعد «مركز التوثيق والابحاث» في مجلة «تاريخ العرب والعالم» صورة ملخصة عن بعض البحوث التي قرئت في المؤتمر وكانت على جانب كبير من الاهمية والاثارة. على ان تنشر متتالية في المجلة ابتداء من هذا العدد. والاولوية حسب اسبقية موافقة الكاتب.

وفي هذا المجال تود آن تؤكد انها تقدر جميع البحوث المقدمة الى المؤتمر، كما انها تقدر الجهود الكبيرة التي بذلتها جامعة عمان وجميع الجهات الرسمية وغير الرسمية التي عملت في سبيل انجاح هذا المؤتمر ونتمنى ان تستمر الجهود في جميع أنحاء الوطن العربي لدرس تاريخ العرب دراسة متعمقة مكثفة تضمن للعرب رؤية أوضح لتاريخهم وثقة أكبر بأن هذا التاريخ يكون ركيزة أصيلة لانطلاقهم في مجال بناء تاريخهم الحديث بناء سليما ثابت البنيان.

كما نود أن نشكر جميع الباحثين والمؤرخين الذين أبدوا موافقتهم مشكورين على نشر أبحاثهم او ملخصا عنها في مجلة «تاريخ العرب والعالم».

تمهيد:



علاقة مصر بفلسطين في العصر العثماني الاول (١٥١٧ - ١٧٩٨م) تعتبر امتداداً تاريخياً وطبيعياً للعلاقة التي كانت قائمة بينهما، منذ أقدم العصور والذي يعنينا في هذا البحث، وضع لمسات على هذه العلاقة، وبخاصة في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، من خلال وثائق المحكمة الشرعية، والتي يتبين للباحث منها ضخامة الدور الذي يقوم به ابناء المدن والقرى الواقعة في الجزء الجنوبي من بلاد الشام (فلسطين).

ومن المعروف ان بلاد الشام باقاليمها المختلفة، كانت في العصر المملوكي تكوّن جزءا من الدولة المملوكية. وكان حكام اقاليمها نوابا للسلطان المملوكي بالقاهرة، ولم تكن هناك حدود أو حواجز سياسية تفصل بين الاقليمين. وبانهيار النظام المملوكي، دخلت كل من مصر

وبلاد الشام في حوزة دولة واحدة هي الدولة العثمانية، وظلت الصلة بين الاقليمين قائمة، حيث لم يعرفا كذلك الحدود السياسية بالمعنى المعروف لنا اليوم، والباحث في مصادر تاريخ العصر، سواء منها الكتابات المعاصرة أو وثائق المحكمة الشرعية. التي تعتبر تسجيلا دقيقا للحياة اليومية آنذاك، فانه يجد كمّاً وافرا من هذه الوثائق يتعلق بابناء المدن والقرى والمناطق الجنوبية من بلاد الشام (فلسطين)، وهذا ما يعنينا في هذا البحث وخاصة في المجالات السابق الاشارة اليها .

إما عن الارتباط السياسي بين مصر وفلسطين، فقد سبقت لنا معالجة هذا الجانب، في بحث آخر ضمن علاقات بلاد الشام بمصر في العصر العثماني (١٥١٧ – ١٧٩٨)* وتكفي الاشارة الى ان ارتباط أحداث البلدين السياسية خلال العصر العثماني وبخاصة في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، حيث ازداد نفوذ القوى المحلية، في كلا الاقليمين وحدث تنسيق في العمل بين هذه القوى المحلية ضد الحكم العثماني . ولذا أهملنا الجانب السياسي من هذه العلاقة، لانه سبق لنا معالجته، وركزنا على المجالات الاخرى من واقع سجلات المحكمة الشرعية.

اولا : العلاقة الاقتصادية:

لعب أبناء المدن والقرى الفلسطينية دورا بارزا في تاريخ مصر الاقتصادي خلال العصر العثماني ويوجد كمٌ ضخمٌ من وثائق المحكمة الشرعية، التي تتعلق بنشاط الفلسطينيين الاقتصادي في مصر خلال العصر العثماني. وترسم هذه الوثائق صورة تفصيلية وواضحة للعلاقة الاقتصادية التي كانت قائمة بين المنطقة الجنوبية من بلاد الشام (فلسطين) وبين مصر، كما ان هذه الوثائق توضح دور أبناء فلسطين في تاريخ مصر الاقتصادي ونوعية هذا الدور وضخامته، فقد أتيح لابناء المدن والقرى الفلسطينية كما هو واضح من نسبتهم الى هذه المدن والقرى أتيحت لهم في فرص الاشتغال بالنشاط التجاري في داخل مصر، وفي شتى شمالها وجنوبها، كما عمل بعضهم على ممارسة هذا النشاط ما بين مصر وبلاد الشام وقد شمل نشاطهم مختلف السلع التي كانت رائجة في مصر وبلاد الشام في تلك الفترة، فمن بين السلع التي يرد ذكرها في هذه الوثائق، الاقمشة القطنية والحريرية، البن، التبغ، الصابون، المشروبات، الحلوى، وغير ذلك من السلع الاخرى .

وتمكن بعض الفلسطينين عن طريق ممارسة النشاط التجاري، من تكوين رأس مال ضخم استثمره في تكوين شركات تجارية كبيرة، أو في تلك العقارات في المدن المصرية المختلفة أو في التزام الاراضي الزراعية، أو بعض الصناعات المحلية. ويكفي أن يقف الباحث من خلال هذه الوثائق على علو نسبة التجار من أبناء فلسطين الذين كانوا يمتلكون محلات تجارية في سوق الصاغة بالقاهرة. وكذلك في سوق الحمزاوي، وهي السوق التي كانت متخصصة في تجارة الاقمشة المحلية والمستوردة، وبصورة خاصة الاقمشة الحريرية والقطنية ، وفي نفس الوقت فان هذه السلع كانت من بين السلع التي تستورد من بلاد الشام، كما ذكر ذلك شابرول أحد علماء الحملة الفرنسية ضمن قائمة البضائع المستوردة الى مصر عام ١٧٧٥م ، وقد كان اقبال الشعب المصري على السلع الشامية في ذلك العصر كبيرا، كذلك اشتغل بعض الفلسطينين بالمتاجرة في الحلوى وصناعتها وكذلك عمل البقسماط ، هذا الى جانب اشتغالهم بالحرف المهنية الاخرى مثلا الحلاقة والحياكة وصناعة الاسلحة وبخاصة في مدينتي القاهرة والاسكندرية ، والمتتبع لخريطة القاهرة العمرانية في العصر العثماني، من خلال وثائق المحكمة الشرعية، يجد كثيرا من الوكالات التجارية التي كانت قائمة آنذاك، وكثيرا من أحياء القاهرة، كانت عامرة بالشوام الذين ينتمون الى القرى والمدن الفلسطينية، وامتد نشاط هؤلاء الفلسطينيين الى التجارة الخارجية،

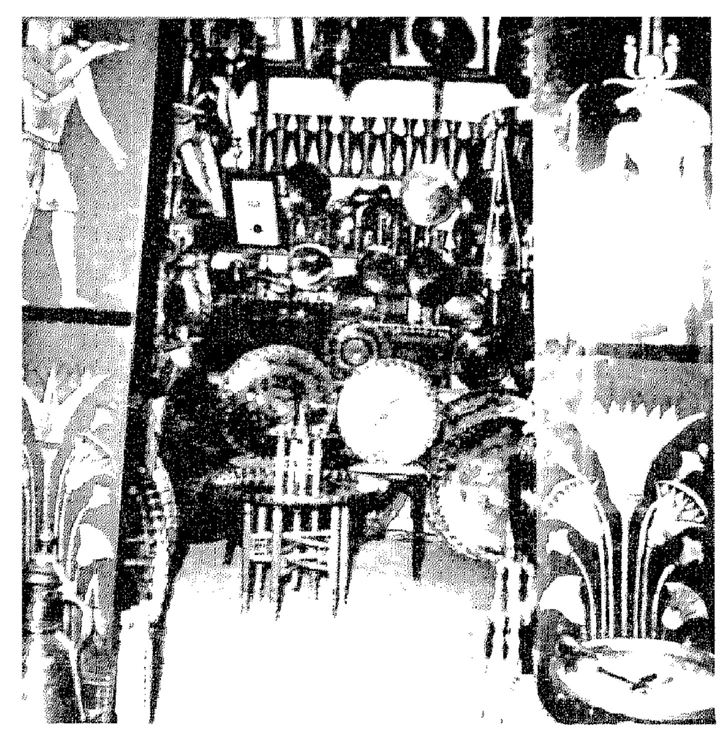
(*) ألقي هذا البحث في المؤتمر الثاني لتاريخ بلاد الشام في جامعة دمشق ١٩٧٨ .

فمارسوا عمليات الاستيراد والتصدير من مصر واليها واصبح لهم وكلاء تجاريون، يعملون باسمهم في موانىء البحر الاحمر، مثل جدة ومخا والسويس كما كان لهم وكلاء ببلاد الشام، ولم يقتصر نشاطهم على التجارة في السلع الشامية وانما امتد الى جميع السلع المستوردة من اوروبا وبلاد الشرق فشمل البن والاقمشة الهندية والاسلحة والحلى وغيرها

ومن واقع وثائق محكمة القسمة العسكرية بارشيف المحكمة الشرعية بالقاهرة، يستطيع الباحث أن يقف على ضخامة التركات والثروات التي خلفها أبناء فلسطين لورثتهم سواء الموجود منهم بمصر أو ببلاد الشام، حيث ان حجج أعلام الوراثة، وتحديد الورثة كانت في كثير من الاحيان تصدر من محاكم بلاد الشام ويقرها القضاء في مصر بعد ثبوت صحتها ، ولما كان المجتمع في ذلك الوقت يقوم على اساس التنظيم الطائفي، فابناء كل مهنة يكونون طائفة لها شيخها ووكيلها، وكذلك المشتغلون بالتجارة، فتجار كل سلعة يكونون فيما بينهم اتحاداً أو طائفة لها شيخها ووكيلها كذلك بهدف حماية السلعة والتحكم في أسعارها، فان كثيرا من الشوام الذين ينتمون الى المناطق الفلسطينية اساسا ان وصلوا الى منصب مشيخة الطائفة التي ينتسبون اليها فقد استطاع الخواجا محمد الشامي الفلسطيني الاصل ان يصبح شيخ الشرب بسوق الشرب، ووصل الحاج احمد الفلسطيني الشامي الى منصب شيخ طائفة القطانين بوكالة القطن ببولاق وهناك عدد كبير تسجل الوثائق اسماءهم كشيوخ لطوائف المهن التي يعملون بها ويوصفون بوصف الفلسطيني الشامي .

وقد كان هؤلاء التجار والحرفيون كما يتضح من الوثائق ينتمون الى جميع المناطق الفلسطينية، فنجد من بينهم الغزي والعريشي والنابلسي والخليلي والصفدي والرملي واليافي وغير ذلك من البلدان الفلسطينية التي كانوا ينتسبون اليها

أما عن استثمار هؤلاء الفلسطينين لرؤوس الاموال التي تكونت لديهم، فقد استغلوها كما يتضح من الوثائق في كل أوجه



خان الخليلي في القاهرة .

الاستثمار الممكنة، مثل شراء العقارات والدور في القاهرة وغيرها من المدن المصرية، وفي التزام الاراضي الزراعية في مختلف أنحاء مصر، وفي عمليات الاستيراد والتصدير ما بين مصر وبلاد الشام واليمن والهند، حتى يصبح من العسير على أي باحث في تاريخ مصر في العصر العثماني ان يغفل الدور الاقتصادي البارز الذي لعبه التجار الفلسطينيون في هذا التاريخ، وبذلك حافظ هؤلاء التجار على استمرار العلاقات الاقتصادية بين مصر وفلسطين في ذلك العصر

ثانيا : العلاقات الثقافية :

يكفي للباحث كي يدرك ضخامة العلاقات الثقافية بين مصر وفلسطين ان يرجع الى كتب التراجم وسجلات المحاكم الشرعية ووثائق العصر، وبخاصة ما يتعلق منها بالازهر فانه ولا شك سوف يقف على سلسلة كبيرة ومتصلة الحلقات من المثقفين الفلسطينين الذين تلقوا تعليمهم بالازهر، كما انه سوف يجد من بين علماء الازهر كثيرا من الفلسطينين حيث ان بعضهم تصدى للتدريس والافتاء في نفس الوقت مثل الشيخ حسن المقدس الخلفي « فقد ذكرت الوثائق انه كان من اعيان اهل الافادة والافتى والتدريس بالجامع الازهر



الواجهة الغربية لجامع الازهر تعلوه مئذنة قايتباي ومئذنة الغوري ذات الرأسين .

وقد كان للشوام رواقهم الخاص بهم في الجامع الازهر، عرف باسم رواق السادة الشوام، وكانت مشيخة هذا الرواق ونظارة أوقافه تـوكلان الى أحـد علماء الشـوام باختيارهم . بشرط ان يكون ممن يشتغلون بالتدريس في الجامع الازهر ، وتسجل الوثائق ذلك فتذكر ان « الشيخ الامام العلامة الهمام شهاب الملة والدين مولانا الشيخ أحمد الفالوجي ، شيخ رواق السادة الشوام المجاورين بالجامع الازهر - الشافعي عين أعيان اهل الافادة والتدريس بالجامع الازهر ، والشيخ شهاب الدين أحمد بن المرحوم الشيخ عنبر الشامي شيخ رواق السادة الشوام بالجامع الازهر » ، وهكذا نرى ان الذي يتولى مشيخة رواق السادة الشوام ، كان ولا بد ان يكون شاميا ، ومشتغلا بالتدريس في الازهر ، حتى يستطيع ان يشرف على المجاورين (طلاب) الشوام اشرافا دقيقا وصادقا ، وقد كان رواق الشوام من اكبر أروقة الازهر جميعها وقد اوقف عليه بعض الامراء المماليك ، منذ عصر السلطان قايتباي كثيرا من الاوقاف وقد كان العلماء الشوام فريقين : **أحدهما** : ولد ونشأ وتعلم في مصر ولكنه ظل يحتفظ بنسبه الى بلاد الشام ، مثل ابراهيم بن أبي بكر بن اسماعيل العوفي كان من أعيان الافاضل له اليد الطولى في الفرائض والحساب ، مع التبحر في الفقه وغيره من العلوم الدينية ، وهو حنبلي المذهب ، نشأ بمصر وأخذ الفقه عن العلامة منصور البهوتي ، والحديث عن جمع من شيوخ الازهر ، واجازة غالب شيوخه وألّف مؤلفات منها شرح على منتهى الارادات في فقه مذهبه في مجلدات ، ومناسك الحج في مجلدين ، ورسائل كثيرة في الفرائض والحساب ، وكان لطيف الذاكرة حسن المحاضرة ، قوي الفكرة ، واسع العقل ، وكان فيه رياسة وحشمة موفورة ، ومروءة **والفريق الثاني** : من هؤلاء العلماء ، كان يأتي الى مصر للالتقاء بعلماء أزهرها ، والاخذ عنهم في بعض العلوم واجازتهم ، وكانت مدة اقامتهم فيها لفترات قد تطول وقد تقصر ، حسب قدراتهم التي تمكنهم من الحصول على الاجازة المطلوبة مثل غرس الدين محمد بن أحمد الازدي الخليلي المتوفي ١٦٤٧ ويس بن محمد الخليلي كذلك المتوفي ١٦٧٥ ، والعلامة شمس الدين حامد الصفدي الشافعي المتوفي ١٥٨٢ وغيرهم كثير ، واحيانا كان نفر من هذا الفريق يشتغل الى جانب طلبة العلم ببعض الامور التي تمكنه من كسب عيشه مثل ابراهيم بن علي بن احمد بن علي السعدي الذي كان يأكل من كسب يمينه ، ويتردد الى القاهرة للتجارة ولقي بها في الجلة من العلماء مثل النجم الغيطي صاحب المعراج والاستاذ محمد البكري والشمس الرملي والبنوفري واخذ عنهم » ، بل ان البعض من هذا الفريق آثر الاستقرار بمصر والاشتغال ببعض الامور التي تدر عليهم بعض الرزق الذي يكفي لمعاشهم ، مثل كتابة الحجج في المحكمة الشرعية وغير ذلك حتى ان بعضهم استطاع التدرج في السلك القضائي حتى تولوا نيابة القضاء في مصر مثل القاضي السيد نجم الدين



فلسطين : شيخ يتلو القرآن في المسجد الابراهيمي .

ابن صالح بن احمد بن محمد بن صالح بن عبد الله التمرتاشي الغزي الحنفي الذي ذكر عنه الجبرتي انه تولى نيابة ابيار بالمنوفية، ومرسومات بنظارات اوقاف، فاقام بأبيار قاضياً نيفا وعشرين سنة، وهو يشتري نيابتها كل دور، وابتدع فيها الكشف على الاوقاف القديمة والمساجد الخربة التي بالولاية وحساب الواضعين ايديهم على ارزاقها، واطيانها حتى جمع من ذلك اموالا. اما الفريق الذي عاد الى بلاده بعد اجازته في علوم الفقه والحديث والعربية. فقد حمل رسالته في نشر ما تعلمه بين أبناء وطنه أو تولى مناصب الافتاء والتدريس أو نيابة القضاء في احدى محاكم بلاد الشام واذا ما واصلنا تتبع هؤلاء العلماء في كتب وتراجم العصر ووثائقة منذ القرن السادس عشر، وحتى نهاية القرن الثامن عشر، لخرجنا بالملاحظات التالية :

أولا - تجد ان معظم العلماء الذين برزوا على المسرح الثقافي في بلاد الشام عامة، وفلسطين بخاصة تلقوا علومهم اساسا في مصر في أزهرها الشريف، وأجيزوا على يد علماء مصريين في مختلف علوم الدين واللغة، وظل هؤلاء العلماء كما تذكر المصادر على صلة باساتذتهم في الازهر، يرسلون اليهم طلابهم احيانا، ويناقشونهم ويستفتونهم بالمراسلة في بعض المسائل الاخرى.

ثانيا - ان بعض هؤلاء العلماء حسنت لهم المعيشة في مصر، وتصدوا للتدريس في الأزهر، وحازوا على مكانة عالية بين علماء عصرهم مثل مرعى بن يوسف الحنبلي، الذي ينتمي الى قرية طوركرم من قرى نابلس، وكذا ابن اخيه الشيخ احمد بن يحيى بن يوسف الحنبلي وقد استطاع بعض هؤلاء العلماء خلال القرن الثامن ان يصل الى منصبي مشيخة الازهر ورياسة القضاء في مصر.

ثالثا - تذكر المصادر ووثائق المحكمة الشرعية في صدر ترجمتها لهؤلاء العلماء كثيرا من الالقاب التي تدل على النباهة والذكاء مثل القاب «الامام، الفقيه، العلامة، المحدث، الباحث، الاديب، اللبيب، النجيب، المفوه، الفهامة، شهاب الدين والملة» وغير ذلك من الالقاب التي تدل على مكانة هؤلاء العلماء العلمية كما تدل في نفس الوقت على اعجاب علماء عصرهم بهم ، وهكذا نجد انه عن طريق هذا الوجود الثقافي الفلسطيني الشامي في مصر، اصبحت علاقة مصر ببلاد الشام عامة

وفلسطين خاصة في هذا المجال علاقة تأثر وتأثير، أخذ وعطاء، اي وجود تكامل ثقافي بين الاقليمين.

ثالثا - العلاقة الاجتماعية :

يتميز دور الفلسطينين الشوام في الحياة الاجتماعية في مصر في العصر العثماني بانه ذو شقين شق ايجابي وشق سلبي.

أما عن الشق الايجابي : فيبرز واضحا حيث استقرت غالبية فلسطينية شاملة شامية في القاهرة والمدن المصرية الاخرى، تتضح ايجابية هذا الدور مما تسجله لنا وثائق المحكمة الشرعية، فان اشتغال الفلسطينين الشوام بالتجارة وبالحرف المهنية جعلهم على علاقة قوية بطوائف المجتمع المصري الاخرى والاندماج مع هذه الطوائف والتأثر بها والتأثير فيها، والامتزاج معها دما ومعاملة،

وتذكر المصادر المعاصرة لبعض الشوام الذين طابت لهم المعيشة في مصر فاستقروا فيها وتخلقوا بأخلاق أهلها وتزيوا بزي أهلها، وترك هذا الوجود الفلسطيني الشامي في مصر بصماته الواضحة على المجتمع المصري وذوقه، حتى وصل اعجاب المجتمع المصري ببعض الاطعمة والملبوسات الشامية الى درجة تفوق مجرد الاعجاب العادي، فالشاشات الشامية والملابس الحريرية كانت لها شهرة واسعة في مختلف أوساط المجتمع المصري، ومن جانب آخر ان الفلسطينين الشوام الذين استقروا في مصر علماء وتجار، أعجبوا بالشخصية المصرية واندمجوا وتخلقوا بأخلاقها واصبحوا مصريين في سلوكهم شاميين في أصولهم، وحمل بعضهم صفة المصري الى نسبة الشامي «مصري الاقامة»، شامي الاصل هكذا كان دور الفلسطينين الشوام الايجابي في حياة المجتمع المصري تأثير وتأثر أخذ وعطاء ، **أما عن الشق السلبي** : من دور الفلسطينين الشوام في المجتمع المصري، فيتمثل في دور العربان البدو، الذين كثيرا ما أغاروا على ريف مصر وقراها ينهبون وبخاصة في ريف الوجه البحري ومصر الوسطى، واعتدائهم المتكرر على قافلة الحج المصري وسلب ما تحمله، حتى اضطرت سلطات القاهرة الى تعيين قائد من الامراء المماليك لحماية قافلة الحج أصبح يحمل لقب «امير الحجاج» وصار هذا المنصب من كبار المناصب التي يتنافس عليها الامراء المماليك، ويصدر به فرمان من السلطان العثماني، ومع ذلك استمرت عمليات هؤلاء العربان العدوانية حتى دخول الحملة الفرنسية الاراضي المصرية، وقد قام علماء هذه الحملة بتسجيل هؤلاء العربان والمناطق التي كانت تتعرض لعدوانهم والمناطق الجنوبية من بلاد الشام التي ينتمون اليها حتى كان عصر محمد علي، حيث عمل على اجتذاب هؤلاء العربان وترويضهم عن طريق منحهم الاراضي ومحاولة استقرارهم، ذلك هو الجانب السلبي المتمثل في عمليات العربان الفلسطينيين العدوانية ضد المجتمع المصري، خلال فترة الحكم العثماني

تقويم :

هكذا نرى ان الفلسطينيين، قد قاموا بدور كبير في تاريخ مصر في العصر العثماني، واذا كان الاقليمان يكونان في ظل الحكم المملوكي جناحين لجسم واحد هو الامبراطورية المملوكية، فلا توجد قيود تحد من العلاقة بينهما، ورغم انهيار هذه الامبراطورية، فان العلاقة بينهما في ظل الحكم العثماني بقيت قائمة، ورغم الذي حدث في السلطة الادارية والسياسية، لذا بقيت الصلة بين الاقليمين مستمرة، وظلت احداث كل منهما واحواله تتأثر بأحداث الاقليم الاخر وتؤثر به، فالعلاقات الاقتصادية استمرت على حالها، وظلت السلع الشامية توزع في المدن والقرى المصرية على يد أبناء فلسطين وقد سجل علماء الحملة الفرنسية ذلك كما سبقت الاشارة وكذلك فعلت وثائق المحكمة الشرعية مدللة حجم السلع التي كانت تستوردها مصر من بلاد الشام، من دمشق وحلب وطرابلس وبيروت وصفد والقدس وغزة على يد هؤلاء التجار الفلسطينين كما تسجل لنا هذه المصادر ان بعض التجار الفلسطينيين استطاع ان يكون رأس مال ضخم، هذا من ناحية، ومن ناحية اخرى فان الروابط الثقافية بين الاقليمين رغم ما يقال عن التخلف الذي

اصاب الحياة الثقافية في ظل الحكم العثماني فان التراجم التي سجلتها المصادر المعاصرة ووثائق العصر لعداء الفلسطينين الشوام الذين أتوا الى مصر وتعلموا فيها وعلموا ودرسوا، ثم ارتحلوا الى بلادهم وتصدوا للتدريس فيها لتثبت قوة هذه العلاقة ونشاطها بل وازدهارها فكثير من المصادر، والتراجم والمصنفات من مختلف فنون العلوم النقلية والعقلية وضعت على يد هؤلاء العلماء.

اما العلاقات الاجتماعية بين الاقليمين فكانت نتاجا طبيعيا للعلاقات الاقتصادية والثقافية، فلا شك ان اقامة بعض طوائف الفلسطينين في مصر وارتحالهم منها واليها ادى الى امتزاجهم وتأثيرهم في المجتمع المصري، وتأثر عادات وتقاليد وذوق كل من الاقليمين بعادات وتقاليد وذوق مجتمع الاقليم الآخر، وظل هذا التأثير قائماً حتى يومنا هذا ولم يعد قصرا على العصر العثماني كما سبقت الاشارة.

خلاصة القول ان العلاقة بين الاقليمين كانت علاقات تأثر وتأثير اخذ وعطاء بين اقليمين من امة واحدة مهما اختلفت صورة الحكم والهيئة والحاكمة. ■

مصادر البحث

اولا : وثائق المحكمة الشرعية المصرية (غير منشورة) :

توجد هذه الوثائق بأرشيف المحكمة الشرعية، المحفوظ بمقر الشهر العقاري المصري بشارع رمسيس بالقاهرة، والسجلات التي استعملت في البحث هي :

١ – سجلات محكمة القسمة العسكرية.

٢ – سجلات محكمة الصالحية النجمية.

٣ – سجلات اسقاط القرى.

ثانيا : المخطوطات غير المنشورة :

١ – البكري (محمد بن أبي السرور)
اللطائف الربانية على المنح الرحمانية في الدولة العثمانية، محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم (٨٠) تاريخ.

٢ – يوسف الملواني
تحفة الاحباب بمن ملك مصر من الملوك والنواب، نسخة محفوظة بدار الكتب المصرية تحت رقم ٥٦٢٣ تاريخ، مصورة عن النسخة الاصلية المكتوبة بخط المؤلف والمحفوظة بمكتبة رفاعة رافع الطهطاوي بسوهاج تحت رقم (٨٠) تاريخ.

ثالثا : المصادر المطبوعة :

١ – البكري (محمد بن أبي سرور) كشف الكربة في رفع الطلبة تحقيق دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن المجلة التاريخية المصرية « مجلد ٢٣ » سنة ١٩٧٦م.

٢ – الجبرتي : (عبد الرحمن بن حسن)، عجائب الاثار في التراجم والاخبار، ٤ أجزاء طبع القاهرة ١٩٠٤م.

٣ – خفاجي (محمد عبد المنعم) الازهر في الف عام، الجزء الثاني – القاهرة.

٤ – شابرول (ج . دي) دراسة في عادات وتقاليد سكان المحدثين وصف مصر، الترجمة الكاملة، ترجمة زهير الشايب، الطبعة الثانية، مكتبة الخانجي – القاهرة ١٩٧٩م.

٥ – رافق، عبد الكريم (دكتور) بلاد الشام ومصر، من الفتح العثماني الى حملة نابليون بونابرت ١٥١٦ – ١٧٩٨م، الطبعة الثانية، دمشق سنة ١٩٦٨م.

٦ – عبد الرحمن عبد الرحيم (دكتور) الريف المصري في القرن الثامن عشر، طبع جامعة عين شمس القاهرة ١٩٧٤م.

٧ – عبد الغني (أحمد شلبي) أوضح الاشارات فيمن تولى مصر القاهرة من الوزراء والباشيات تحقيق وتقديم دكتور عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٧٩.

٨ – عوض (عبد العزيز محمد)، دكتور، الادارة العثمانية في ولاية سورية ١٨٦٤ – ١٩١٤م، دار المعارف القاهرة ١٩٦٩م.

٩ – المحبي، خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر، طبع بيروت تاريخ.

١٠ – المرادي (محمد خليل) سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر، طبع بغداد، مكتبة المتنبي.

١١ – Ramond, Andre, Artisans Et Commercants Au Caire Au XVIIIe Siecle II Tomes. Damas. 1973.



مَعركة الفالوجا

بقلم الرئيس الراحل
جمال عبد الناصر

على أرض المعركة في سيناء ١٩٤٨

كانت مجلة المصور، قد عثرت على مقال كتبه الزعيم الراحل جمال عبد الناصر عام ١٩٤٩ عن معركة عراق المنشية بعد عودته من فلسطين في مايو (ايار) ١٩٤٩. وكانت قد نشرته مجلة سلاح المشاة الذي كان يضم جمال عبد الناصر ضابطا مقاتلا حتى قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢. وفي باب «وثائق من التاريخ» ترى مجلة تاريخ العرب والعالم، ان تعيد نشر هذه الوثيقة التاريخية في هذا الباب ولأنها تملك اكثر من اهمية ودلالة، فمعركة عبد الناصر بدات في الفالوجا.

تقع عراق المنشية على مسافة ١٨٠٠ ياردة من مستعمرة جات الواقعة في الشمال، ويفصل عراق المنشية عن هذه المستعمرة وادي التل وهو يعتبر مانعا طبيعيا ضد الدبابات ما عدا جزءا صغيرا منه عند طريق السكة الحديد القديم. وتعتبر الارض بين عراق المنشية ومستعمرة جات كثيرة التعاريج، وهي تحتوي على عدد كبير من الوديان الفرعية. اما عراق المنشية فمنخفضة نسبيا عن سطح الارض المحيطة بها. وبها عدد كبير من سياجات التين الشوكي حولها وداخلها. ويوجد بها تل عال يسمى تل الشيخ علي وهو يشرف على كل المنطقة المحيطة بها.

١ - الدفاع عن عراق المنشية:

كان العامل الأساسي في وضع خطط الدفاع عن عراق المنشية ملاحظة سهول المراقبة ليلا نظرا لتعود العدو على القيام بالهجوم دائما في الليل واختياره الليالي الشديدة الظلام. وهو يتقن عمليات الهجوم الليلية.. ماهر في التسلل ويساعده على ذلك كثرة الاودية.

وضعت خطة الدفاع عن عراق المنشية على اساس عمل خط دفاعي حولها والاحتفاظ باحتياطي داخل البلدة.

٢ - طريقة الدفاع:

قسم الخط الدفاعي عن عراق المنشية الى قطاعين:

قطاع: شمال عراق المنشية.

قطاع: جنوب عراق المنشية.

عين الحدود بين القطاعين الطريق الاسفلت من الفالوجا الى بيت جبرين.

(أ) **القطاع الشمالي**: يواجه هذا القطاع مستعمرة جات ويقوم بالدفاع عنه السرية الرابعة من الكتيبة السادسة مشاة.

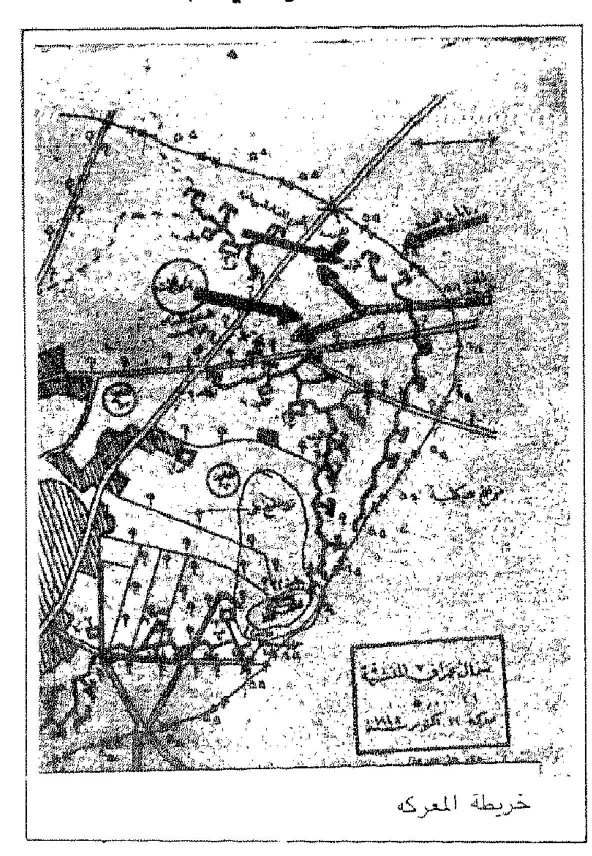
فصيلة من الكتيبة التاسعة احتياطي.

جماعتان مدافع ماكينة متوسطة (كان تنظيم الفصيلة في الميدان ثلاث جماعات)

جماعة ٦ رطل.

جماعة هاون ٣.

كان الخط الدفاعي يمتد في هذا القطاع من المدرسة الى تل الشيخ علي ثم يتجه من تل



خريطة المعركه

الشيخ علي الى الطريق الاسفلت المتجه الى بيت جبرين وعند مرور القائد العام طلب ان تتخذ الفصيلة الموجودة بجوار المدرسة مواقع دفاعية في التين الشوكي على ان تبقى المواقع الاصلية كمواقع هيكلية لتضليل العدو وقد نفذ ذلك

ووزعت الفصيلة الملحقة من الكتيبة التاسعة احتياط على فصائل السرية الرابعة واتخذت السرية الرابعة مواقع دفاعية كالآتي :

الفصيلة العاشرة : جماعة تحتل المدرسة على ان يقوم جزء منها باحتلال الدشم الموجودة بجوار المدرسة لايهام العدو ان هذا الخط هو الخط الأساسي . جماعتان في التين الشوكي غرب تل الشيخ علي .

الفصيلة الحادية عشرة : جماعة شمال غربي الشيخ علي . جماعة فوق تل الشيخ علي ومعها نقطة مراقبة من جماعة المخابرات . جماعة في التين الشوكي شرق تل الشيخ علي .

الفصيلة الثانية عشرة : جماعتان في سياجات التين الشوكي شرق عراق المنشية جماعة في التين الشوكي الى الطريق الاسفلت المتجه الى بيت جبرين .

مدافع الماكينة : جماعة على سفح تل الشيخ علي من جهة الغرب . جماعة على سفح تل الشيخ علي من جهة الشرق .

وبذلك يمكن للجماعتين غمر كل القطاع بالنيران من المدرسة الى الطريق الأسفلت المتجه الى بيت جبرين .

المدفعية ض/د : وضع مدفع ٦ رطل شرق القطاع ووضع المدفع الآخر غرب القطاع .

الهاون ٣ وضعت جماعة الهاون ٣ جنوب تل الشيخ علي .

الأسلاك والألغام : وضعت الغام ضد الدبابات وضد الأشخاص حول هذا القطاع ، كما اقيم مانع سلك مزدوج .

(ب) **القطاع الجنوبي** : يقوم بالدفاع عن القطاع الجنوبي : السرية الثانية سودانية . فصيلة من الكتيبة التاسعة احتياط. جماعة مدافع ماكينة متوسطة .

(جـ) الهاون ٢ و ٤ : كان يوجد بعراق المنشية فصيلة هاون ٢ و ٤ وقد عين لها واجبات نيران دفاعية ونيران نجدة حول عراق المنشية .

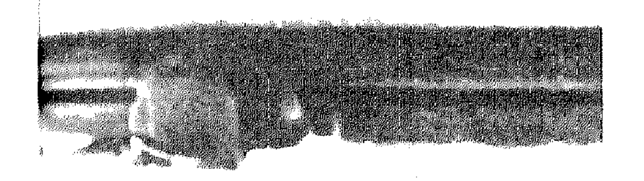
(د) **المدفعية** : تروب مدفعية ٤,٥ موجودة في الفالوجا في المعاونة وله واجبات نيران دفاعية ونيران نجدة .

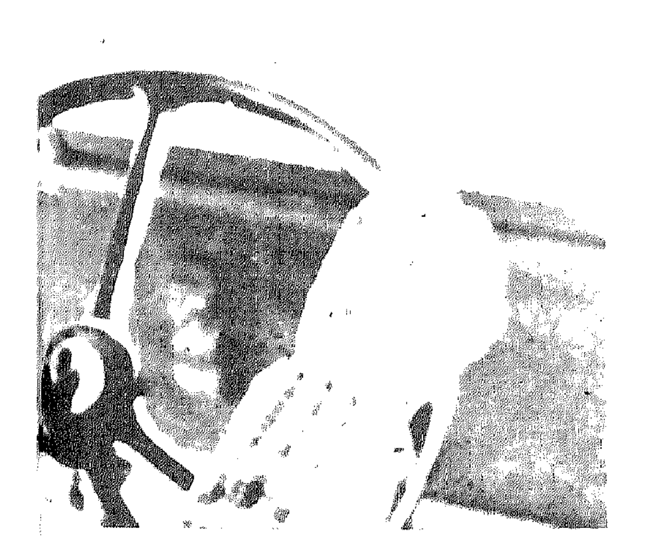
(هـ) **الاحتياط** : فصيلة من السرية الاولى . فصيلة الحمالات (عدا جماعة) . وقد كانت الحمالات توزع وقت الغروب لاعطاء عمق للخط الدفاعي .

٣ - عمليات العدو ليلا ١٥ و ١٦ اكتوبر :

في الساعة ٢٠٠٠ يوم ١٥ اكتوبر قام العدو باحتلال خربة عطا الله شمال شرق خربة الامير ، وبدأ في محاولة التوغل في اتجاه الجنوب بين خربة الراعي وخربة حمدي وكانت تحتل خربة الراعي فصيلة من السرية الثانية ويقوم بالدفاع عن خربة حمدي المتطوعون العرب اشتبكت الفصيلة الموجودة في خربة الراعي مع العدو ومنعته من التقدم في اتجاه الجنوب وارسلت دورية استطلاع فأفادت ان العدو يقوم بالحفر في خربة عطا الله .

يقود سيارة عسكرية على ارض المعركة في سيناء ١٩٤٨ .





اعتقدنا ان خطة العدو هي فتح طريق من الشمال للجنوب من خربة عطا الله عن طريق خربة الراعي وخربة الامير ولذلك تقرر ارسال الفصيلة الاحتياطية الموجودة بعراق المنشية لتعزيز السرية الموجودة بخربة الامير وخربة الراعي. وتم ذلك حوالي الساعة ٢٣٣٠ يوم ١٥ اكتوبر.

٤ - الهجوم على عراق المنشية:

(أ) **مدفعية العدو**: في الساعة ٥٠٠ يوم ١٦ اكتوبر بينما كانت الكتيبة تقوم بالتجهيز لطرد العدو من خربة عطا الله قامت مدفعية العدو ومدافع الهاون بضرب عراق المنشية ضربا شديدا وكانت تجمعات المدفعية





حامل علم الكتيبة في طابور احتفال عام ١٩٤٠.

تسقط على المواقع الدفاعية وعلى مواقع الهاون ٣ والهاون ٤،٢ ومنطقة الشؤون الادارية للكتيبة ولاقت منطقة المدرسة والمواقع الدفاعية الهيكلية اعنف هذه التجمعات: كان ضرب المدفعية مفاجئاً فسبب خسائر في الافراد. تقطعت كل المواصلات التليفونية بين الكتيبة والسرايا وبين السرايا والفصائل وبين الكتيبة ونقطة المراقبة الموجودة فوق تل الشيخ علي.. وقام افراد فصلية الاشارة لاصلاح الخطوط تحت نيران المدفعية الشديدة. اصبحت جماعة الهاون ٣ غير قادرة على العمل لكثرة الخسائر في الافراد. ولم يصب اي موقع من المواقع الدفاعية.

(ب) **الهجوم الاول**: في الساعة ٦٠٠ ظهرت ست دبابات متقدمة في اتجاه الفصيلة العاشرة ويتبعها المشاة، وقد استطاعت الدبابات اقتحام حقل الالغام وتعطلت منها دبابة واحدة في حقل الالغام. وقد اتجهت اربع

معركة الفالوجا..
على مسرح عراق المنشيه

للصاغ أركان الحرب

جمال عبد الناصر

[يسر المجلة أن تقدم صورة عن هذه المعركة التى كان لها أكبر الأثر فى تحطيم الهجوم المدرع الذى قام به العدو، بقلم أركان حرب حامية عراق المنشية التى كانت الجناح الأيمن لمنطقة الفالوجا، وقد استخلص منها الدروس المستفادة التى تميزت بالحقيقة الواقعية والبعد عن الأطناب]

تقع عراق المنشية على مسافة ١٨٠٠ ياردة من مستعمرة جات الواقعة فى الشمال، ويفصل عراق المنشية عن هذه المستعمرة وادى التل وهو يعتبر مانعاً طبيعياً ضد الدبابات ماعدا جزءاً صغيراً منه عند طريق السكة الحديد القديم. وتعتبر الأرض بين عراق المنشية ومستعمرة جات كثيرة التعاريج، وهى تحتوى على عدد كبير من الوديان الفرعية. أما عراق المنشية فنخفضة نسبياً عن سطح الأرض المحيطة بها. وبها عدد كبير من سياجات التين الشوكى حولها وداخلها. ويوجد بها تل عال يسمى تل الشيخ على وهو يشرف على كل المنطقة المحيطة بها.

١ — الدفاع عن عراق المنشية:

كان العامل الأساسى فى وضع خطط الدفاع عن عراق المنشية ملاحظة سهول المراقبة ليلا نظراً لتعود العدو على القيام بالهجوم دائماً فى الليل واختياره

دبابات لمواقع الجماعة الثانية بالتين الشوكي واخترقتها الى رياسة الفصيلة العاشرة ثم التفت وسارت في اتجاه الطريق الاسفلت واتجهت الدبابة الخامسة الى موقع المدرسة وتمكنت من تعطيل المدفع ٦ رطل الموجود في هذا القطاع. وقد انسحبت الجماعة الاولى الموجودة بالمدرسة الى مواقع سرية المعاونة المجاورة لها. اما الجماعة الثانية الموجودة في التين الشوكي فقد انسحبت الى تل الشيخ علي الموجود خلفها وثبتت الجماعة الثانية ومدافع الماكينة والفصيلة الحادية عشرة في مواقعها واستمرت في فتح نيرانها على مشاة العدو المتقدمة، وبذلك لم تتمكن المشاة عدا عدد قليل من عبور الاسلاك الشائكة. وقام قائد سرية المعاونة بحماية الجنب الايمن للقطاع الجنوبي وثبتت قواته في مواقعها. وتمكنت الفصيلة العاشرة بعد ان استفاقت من المفاجأة من تعطيل دبابتين بالبيات.

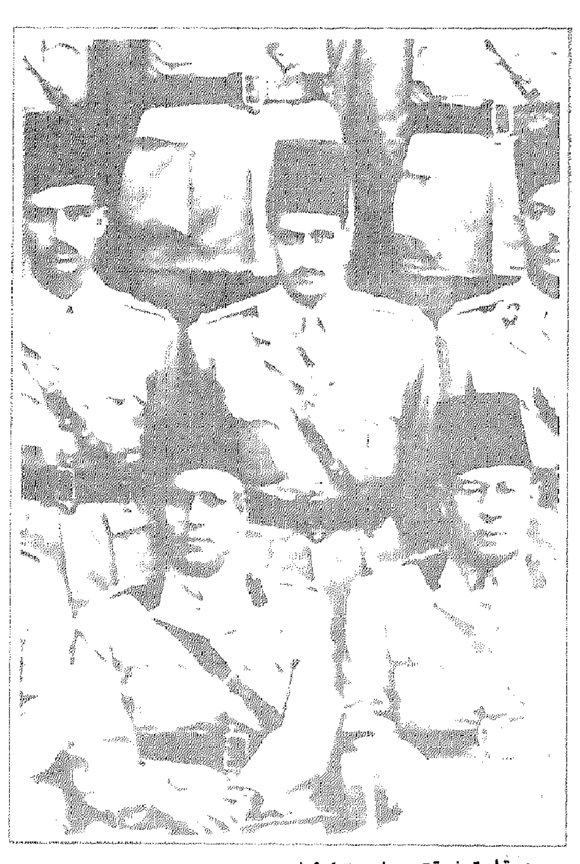
٥ - التصرفات وقت المعركة :

عندما بلغ قائد السرية الرابعة رياسة الكتيبة ان العدو متقدم بالدبابات في اتجاه الفصيلة العاشرة امرت بنقل المدفع ٦ رطل الموجود في الشرق الى المكان المهدد ونفذ ذلك في الحال وامرت فصيلة الهاون ٤,٢ بغمر المنطقة بين جات وعراق المنشية بالنيران. وطلبت من تروب المدفعية ٤,٥ الموجودة بالفالوجة بضرب مستعمرة جات وطلبت من رئاسة اللواء ضرب تجمعات العدو في مستعمرة جات بالطيران وإرسال مدفعية ٦ رطل.

بلغ قائد السرية الرابعة رئاسة الكتيبة ان العدو اخترق مواقع السرية الرابعة بالدبابات والمشاة واحتل المدرسة ثم انقطع الاتصال التليفوني مع السرية، وكانت مدفعية العدو وهاوناته مستمرة في ضرب الجزء الجنوبي والجزء الشرقي من عراق المنشية واصبحت رئاسة الكتيبة معزولة بعد انقطاع جميع المواصلات التليفونية فقرر القائد ان ينتقل الى مركز رئاسة السرية الرابعة للاتصال بالمعركة وان يقوم اركان الحرب بتنظيم هجوم مضاد لاستعادة المدرسة وسد الثغرة.

٦ - الهجوم المضاد :

(أ) **الخطة** : عملت خطة الهجوم المضاد بسرعة على ان يتم الحال حتى يمكن الامساك



بين قادة فرقته عام ١٩٤٥

« ان الثورة ليست عمل فرد والا كانت انفعالا شخصيا يائسا ضد مجتمع باكمله. والثورة ليست عمل فئة واحدة والا كانت تصادما مع الاغلبية.
وانما قيمة الثورة الحقيقية بمدى شعبيتها، وبمدى ما تعبر به عن الجماهير الواسعة، وبمدى ما تعبئه من قوى هذه الجماهير لاعادة صنع المستقبل. وبمدى ما يمكن ان توفره لهذه الجماهير من قدرة على فرض ارادتها على الحياة »

جمال عبد الناصر

بالعدو وهو غير منظم، ونظرا لارسال الفصيلة الاحتياط الى خربة الامير ليلا فقد تقرر سحب فصيلة من القطاع الجنوبي لاستعادة المدرسة. ونظرا لعدم وجود مدافع مضادة للدبابات للاشتراك في الهجوم المضاد فقد تقرر ان تقوم اطقم البيات الموجودة في فصيلة الحمالات باصطياد الدبابات، وتقوم فصيلة الحمالات بسد الثغرة التي فتحت في الخط الدفاعي.

(ب) **سير المعركة**: ارسلت رسالة مع ضابط الى قائد السرية السودانية الثانية يطلب منه فيها سحب فصيلة من الخط واستعادة المدرسة وقد نفذ هذا الامر في الحال وقام بنفسه على راس الفصيلة وتمكن من استعادة المدرسة وقد استشهد قائد السرية وجرح سبعة من افرادها.

تمكن قائد الفصيلة العاشرة من إصابة دبابة ثالثة بنفسه بأن تسلل خلال التين الشوكي حتى اصبح على مسافة عشرة امتار منها واطلق عليها البيات.

تقدمت فصيلة على الحمالات الى ارض المعركة وقام اطقم البيات بضرب الدبابات الباقية من سياجات التين الشوكي الموجود على الطريق الاسفلت فاضطرت الدبابتان الباقيتان الى الانسحاب وتم استعادة الموقع بأكمله الساعة ٧٠٠.

وجدت ١٧ جثة بأرض المعركة منها ثلاث نساء يعملن على الاجهزة اللاسلكية الموجودة بالدبابات. وتسلم العدو ٦٧ جثة كانت على مقربة من الأسلاك الشائكة.

٧ - الهجوم الثاني:

كان الطريق بين عراق المنشية والفالوجة مغمورا بنيران الاسلحة الصغيرة ونيـران المدفعية وكان من المحال استعماله. وفي الساعة ٧٣٠ وصل الى عراق المنشية باقي السرية الاولى الذي كان بالمجدل وقوته فصيلتان وقد استعملت طريقا خلفيا بين الفالوجة وعراق المنشية فاحتفظ بها كاحتياط. وفي الساعة ٧,٣٠ وصل ٤ مدافع ٦ رطل من اسدود وضع ثلاثة منها في القطاع الذي هوجم ووضع الرابع جهة الشرق ووصلت ذخيرة للهاون ٤,٢ واصيبت احدى عربات الذخيرة بطلقة من مدفعية العدو فنسفت. واستمر العدو بعد خيبة هجومه في ضرب عراق المنشية بالمدفعية والهاون.

وفي الساعة ١٠٠٠ تقدمت ست دبابات معادية لمهاجمة القطاع نفسه الذي هوجم ولكن قوبلت بنيران شديدة من مدافع ٦ رطل واصيبت منها دبابتان وغمرت فصيلة الهاون ٤,٢ المنطقة المتقدم منها العدو وضربت المدفعية الموجودة بالفالوجة مستعمرة جات والتجمعات الموجودة حولها. وقد انسحب العدو تاركا الدبابتين العاطلتين.

٨ - الهجوم الثالث:

في الساعة ١١٠٠ ارسلت رياسة القوات تروب ٢٥ رطل من اسدود الى الفالوجة وقد ساعد مع التروب ٤,٥ على ضرب تجمعات العدو في مستعمرة جات وفي الساعة ١٦٠٠ بدأ العدو محاولته الاخيرة في الاستيلاء على عراق المنشية ولكن انسحبت دباباته بسرعة عندما قوبلت بنيران المدافع ٦ رطل ونيران المدفعية.

٩ - الدروس المستفادة:

(أ) إن ثبات المشاة ورباطة جأشها وقوة عزيمتها يمكنها من التغلب على هجوم الدبابات فقد ساعد ثبات الجنود في مواقعها الدفاعية وبخاصة بعد اختراق

> **«لقد اثبتت التجربة، وهي ما زالت تؤكد كل يوم، ان الثورة هي الطريق الوحيد الذي يستطيع النضال العربي ان يعبر عليه من الماضي الى المستقبل.**
> **فالثورة هي الوسيلة الوحيدة التي تستطيع بها الامة العربية ان تخلص نفسها من الاغلال التي كبلتها ومن الرواسب التي اثقلت كاهلها. فان عوامل القهر والاستغلال التي تحكمت فيها طويلا ونهبت ثرواتها لن تستسلم بالرضا.**
>
> **جمال عبد الناصر**

١٥ نيسان ١٩٤٨ في رحلة ميدانية لكلية اركان الحرب في سيناء



استغلال النجاح نظراً لعدم تمكن المشاة من الوصول الى غرضها .

(ج) كلما جاء الهجوم المضاد سريعاً ضد العدو اينما نجح كلما سهل الامساك به غير منظم وغير مستعد فقد كان الهجوم المضاد السريع عاملاً حاسماً في التأثير على المعركة فقد قامت السرية السودانية باستعادة المدرسة بسرعة مما ساعد على رفع الروح المعنوية واشعر القوات ان المعركة تتطور في صالحنا .

(د) تستطيع المشاة ان تعتمد على اسلحتها الخاصة في مقاومة الدبابات ولا يحتاج ذلك إلا للثبات والعزيمة فقد تمكنت الفصيلة العاشرة رغم المفاجأة من تعطيل ثلاث دبابات بالبيات .

(هـ) من السهل نسبيا الاستيلاء على اي موقع متى كانت هناك معاونة جدية للقوات لكن الصعوبة هي في الاحتفاظ بهذا الموقع فقد تمكن العدو من عبور الالغام والاسلاك والاستيلاء على مواقع الفصيلة العاشرة ولكن لم يستطع الاحتفاظ بهذه المواقع ■

العدو واكتساحه لموقع إحدى الفصائل على السيطرة على الموقف ، والعمل على عدم اتساع الثغرة ، واصطياد دبابات العدو من مسافة قريبة .

(ب) إن نجاح الدبابات في الهجوم بدون المشاة يجعل الامل في نجاح المعركة ضعيفاً . فان نجاح المشاة في الدفاع ضد هجوم الدبابات والمشاة يتوقف على فصل الدبابات عن المشاة فقد كانت الدبابات داخل عراق المنشية ولكن لم تتمكن من

« ان معركة السويس التي كانت احد الادوار البارزة في التجربة الثورية المصرية لم تكن لحظة اكتشف فيها الشعب المصري نفسه ، او اكتشفت فيها الامة العربية امكانياتها فقط ، وانما كانت هذه اللحظة عالمية الاثر رأت فيها كل الشعوب المغلوبة على امرها ان في نفسها طاقات كامنة لا حدود لها ، وانها تقدر على الثورة ، بل ان الثورة هي طريقها الوحيد » .

جمال عبد الناصر

مدن عربية

إعداد : شذا عدرة

صنعاء

لؤلؤة العرب، هكذا قالوا عن مدينة من اكثر مدن العرب اصالة، مدينة سكن التاريخ فيها منذ الازل، مدينة شيد في اقصى طرفها الشرقي طود شامخ، احد عجائب العالم القديم في الهندسة المعمارية، سد مأرب الذي تم بناؤه وبلغ ذروته في القرن الثامن قبل الميلاد، وهو لا يزال قائما حتى يومنا هذا شاهدا على حضارة عريقة، مدينة وصفها البعض كالفتاة الاسطورية، من سرِّتها الخضراء ابتدأ التاريخ الاخضر للبشرية، ومن فمها الرَّيان انبثقت انهار الحكمة، هذه هي صنعاء اليمن، لؤلؤة العرب والتي يعودون اليها مهما طال السفر.

«اثنا عشر يوما في المشقات والوهلات. وهذه صنعاء تنسيك اضعافها. اي صنعاء، مثَّلك لنا التاريخ فكنت مليكة الزمان ومثَّلك لنا العلم فكنت يوما ربة العرفان، ومثلتك لنا الاساطير فكنت سيدة الجن والجان. اجل، فكم من ليلة، وفي اليد الكتاب والى جانب الكتاب نور شمعة ضئيل، تغلغلنا في سراديبك. ووقفنا عند كنوزك، وطفنا حول قصورك، وسمعنا الشعراء ينشدون الشعر في دورك. واليوم، ومطيتنا غير الخيال، نشاهد ما يثبت المقال، ويحقق الآمال. هذه بيوتك العالية وقصورك الشاهقة فما كذب التاريخ. وهذا جمالك الطبيعي وبهاؤك العربي فما كذب الشعر. وفي خزائنك الكتب المقدسة النفيسة والمخطوطات فما كذب العلم. وهذه كنوزك وسحر قصورك بل سحر الاسماء فيك فما كذبت الاساطير. كنا نظنها اسماء ابتدعها الشعراء لعرائس الجن والخيال. ولكنها في الحقيقة في اعلى مكان».

هذا ما جاء على لسان امين الريحاني الرحالة اللبناني، في وصف مدينة صنعاء اول مدينة عمرت بعد الطوفان، ولذلك اول تسمية اطلقت عليها باسم بانيها «سام بن نوح» ثم سميت فيما بعد باسمها الحالي نظرا لكثرة وجودة الصناعات اليدوية فيها كصناعة الاحجار الكريمة والرخام الشفاف وصياغة الحلي، وعلى حد قول «ياقوت الحموي» فهي منسوبة الى جودة الصنعة في ذاتها، كقولهم امراة حسناء وشهلاء وهلم جرا، والنسبة اليها صنعاني. وقيل ايضا ان سبب تسميتها بهذا الاسم هو ان الاحباش عندما استولوا علىاليمن عام ٥٢٥م. ودخلوا صنعاء، بهرتهم مبانيها الحجرية الحصينة فصاحوا: صنعة، صنعة، ومعناها حصينة فسميت صنعاء.

ومهما يكن من امر، فان صنعاء تحتل في التاريخ مكانة رفيعة تستمد منها مقومات حضارتها الحالية.

فهي تتمتع بموقع جغرافي ممتاز إذ ترتفع عن مستوى سطح البحر نحو ٨٠٠٠ قدم، ومناخها معتدل طوال ايام السنة، تقوم بين جبلي عيبان من الغرب ونقم من الشرق.. وكانت محاطة بسور ضخم له ثمانية ابواب تغلق على اهل المدينة، إلا ان معظمه قد تهدم في الستينات اثناء اعمال التجديد والتوسيع في المدينة، ولم يبق منه سوى بعض الآثار وواحد من ابوابه وهو: باب اليمن!

صنعاء ومعالمها الحضارية:

اهم ما يميز صنعاء اليمن بأن معالمها الحضارية لا تزال عربية صافية روحا وشكلا، فمبانيها العالية ذات الطوابق المتعددة تتميز بالاسلوب المعماري العربي الاسلامي الاصيل الذي ينأى بها عن اساليب العمران العصري ولا يشوبه شيء اجنبي هندي او اوروبي. فالطوابق السفلى منها، تبنى بحجارة البازلت السوداء والبيضاء والوردية، اما الطوابق العليا فتشيد بالآجر لانه اخف وزنا وتزخرف الجدران والنوافذ المقنطرة من الخارج بالجص الابيض. وتبنى عادة في اعلى المبنى غرفة خاصة تسمى «المفرج» او المنظرة، وهي غالبا تكون مطلقة من جهاتها الاربع وتشرف على المدينة. وهي تفرش بالسجاد والوسائد المزركشة ولها نافذة يطل منها الجالسون على المناظر الطبيعية الجميلة.

ويبدو ان اليمنيين هم اول من شاد



باب اليمن

المباني ذات الطوابق المتعددة في التاريخ القديم وقصر «غمدان» الاسطوري الذي كان يرتفع لاكثر من عشرين طابقا ولا تزال معظم رسومه باقية لشاهد حي على ما بلغه اليمنيون من تقدم في مجال الهندسة المعمارية وقد قيل في وصف ضخامته، إنه كان مربعا، بني احد اركانه بالرخام الابيض، والثاني بالرخام الاصفر، والثالث بالرخام الاحمر، وفيه سبعة سقوف طباقا ما بين السقف والآخر خمسون ذراعا، وشيد في اعلاه مجلس من الرخام الملون سقفه قطعة واحدة من الرخام، ونصب على كل ركن من اركان هذا المجلس تمثال اسد ضخم، فكان إذا هبت الريح دخلت دبره وخرجت من فيه فيسمع لها صوت كزئير الاسد. وكانت المصابيح تسرج في ذلك المجلس العلوي ليلا فيصبح سائر القصر يلمع لمعانا يخطف الابصار.

ويبدو ان قصر غمدان قد تعرض لحريق، فها هو ابن الفقيه الهمذاني يذكر بأن غمدان قد احرق في عهد النبي، صلى الله عليه وسلم، وهدم في خلافة عثمان رضي الله عنه.

وقد اختلف الرواة في ذكر بانيه، فمنهم من يزعم ان النبي سليمان بن داود عليه السلام، امر الشياطين فبنوا لبلقيس ملكة سبأ، ثلاثة قصور بصنعاء هي غمدان، وسلحين وبينون. ومنهم من يرجع بناءه الى قائد عظيم يدعى «اليشرح اليخصب» الثاني الملك الحميري السبئي الذي استطاع اليمنيون بقيادته ان يسحقوا الجيش الروماني على جبال صعدة وعسير وسهل نجران.

وهناك ايضا قصر «دار الحجر» القابع على مشارف صنعاء، حيث يرتفع ستة طوابق فوق صخرة كبيرة. ويذكر البعض ان تاريخ بناء هذا القصر يرجع الى العصر الحميدي الذي امتد من عام ١١٥ ق. م. الى عام ٥٢٥م. وقد تعرض القصر للهدم والبناء حتى استقر على حالته النهائية، حيث اجري عليه بعض التصليحات والتجديدات وحول الى فندق من الدرجة الاولى.

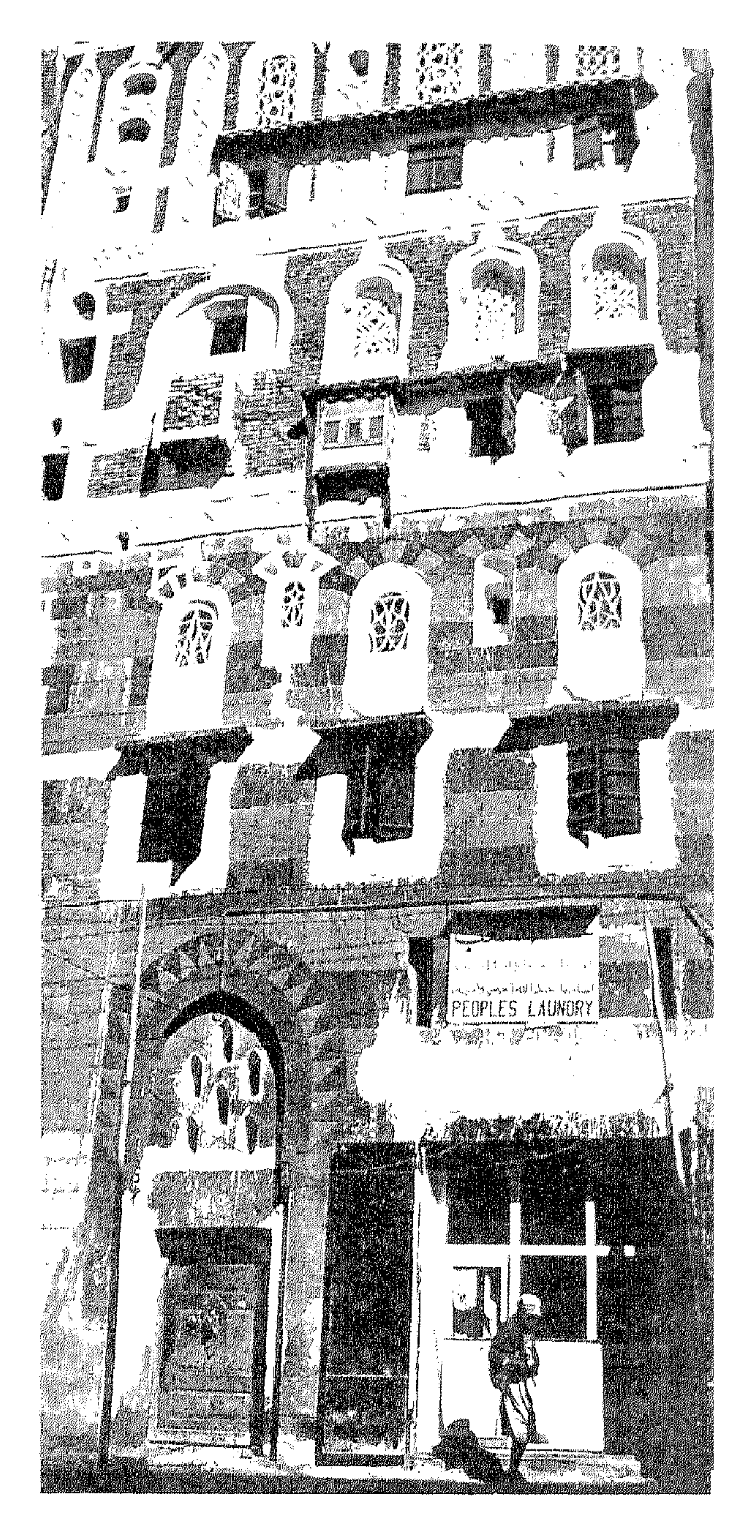
إلى جانب مباني صنعاء السامقة وقصورها الاسطورية، هناك مساجدها وجوامعها العامرة بمآذنها الرشيقة، وهي من الكثرة بحيث تستأهل افراد كتاب خاص بها يتناول تاريخ عمارتها وهندستها.

واقدم هذه الجوامع، هو جامع صنعاء الكبير الذي يعود تاريخه الى السنة السادسة للهجرة، ويقال بأنه اول مسجد عمّر باليمن في صدر الاسلام. وقد بناه «وبر بن يحنس الانصاري» صاحب رسول الله (صلعم).

وقال الرازي بن احمد بن عبد الله، بأن رسول الله (صلعم) امر وبر بن يحنس الانصاري حين ارسله الى صنعاء واليا عليها بقوله: «ادعهم الى الايمان، فان اطاعوا لك فاشرع لهم الصلاة، فان اطاعوا لك بها، فمر ببناء المسجد في بستان بأذان ما بين الصخرة الململمة الى غمدان» وقيل «ان الصخرة المشار اليها هي الموجودة الآن في الصرح الغربي في اصول اساس الجدار الغربي من الجامع».

وقد تمت توسعة هذا المسجد في عهود مختلفة، ويقال ان اعمدة واحجار قصر غمدان قد استعملت في بنائه. وللجامع اثنا عشر بابا على احدها نقش قديم بالخط المسند الحميري.

وهناك ايضا، جامع «البكيرية» الذي بني عام ١٠٠٥ هـ ويمتاز بزخارفه ونقوشه الجميلة. وجامع «المهدي» وجامع «المتوكل» ومسجد «الروضة» وغيرها الكثير من بيوت الله



واجهة منزل تقليدية .

التي لا بد من ان تستوقف الزائر امام هيبة بنائها وجلال مآذنها .

والاستغراق في الحديث عن معالم صنعاء الحضارية من صروح ومساجد ، لا يجعلنا ننسى الاسواق القديمة التي تطل من حناياها عراقة اليمن وماضيها المجيد . تلك الاسواق المتلاصقة المتشابكة التي تضج بالحياة والحركة الدائبة من الشروق حتى الغروب .... وتزخر بالسلع المتنوعة التي تشتهربها صنعاء . فأنت تعبر سوق الحبوب والتوابل.. لتدخل سوق الصناع المهرة الذين يشكلون قطعا فنية من الاحزمة الذهبية المرصعة بالفصوص البديعة . او يتفننون في صنع الحلي التقليدية الذهبية منها والفضية ، ومن ثم تعبر باب اليمن الى سوق الملح الذي ما ان تدخله حتى تشعر وكأنك لم تغادر بداية عصر التجارة في تاريخ اليمن الاسلامي ، حيث العقود الكهرمائية والاحجار الكريمة وكأنها قد احضرها لتوها التجار اليمنيون الحاذقون من بلاد الهند والشرق الاقصى ... وسترى الحرفيين المهرة في صنع الجنبيات – اي الخناجر – ذوات المقابض المرصعة بالاحجار الكريمة .وستجد في نفس السوق البنادق الاثرية الطويلة . وهناك ايضا سوق الفاكهة التي تتوافد اليها مع خيوط الفجر الاولى قوافل المزارعين من سكان القرى الجبلية وهم يحملون مختلف انواع الفواكه من تمر وبرتقال وتفاح وعنب مشهور بلذة طعمه واختلاف انواعه – إذ تبلغ اصنافه حوالي الاربعين صنفا تنافس في حلاوتها اشهى كروم العالم .

إلى جانب ما ذكرنا من معالم صنعاء الحضارية القديمة ، لا بد لنا من الاشارة الى بعض الملامح من حضارتها الحديثة التي اعتمدت في اسسها على حضارتها الام .

فهناك سمات التطور العمراني الذي يظهر في احيائها من شوارع منسقة طويلة ، وميادين فسيحة خضراء ومستشفيات ومدارس عصرية . وتأتي جامعة صنعاء بكلياتها الخمس : الشريعة والقانون والعلوم والآداب والتربية لتؤكد على هذا التطور .

ولأن صنعاء هي عاصمة اليمن ، ففيها تتركز الحركة السياسية والاجتماعية والاقتصادية وهي محور بلاد اليمن وقلبها النابض . ولا يسعنا في ختام حديثنا عن « لؤلؤة العرب » إلا ان نردد مع الاجداد قولهم : « لا بد من صنعاء مهما طال السفر » .

ملف الوطن العربي

لبنان

لبنان والخلد اختراع الله
لم يوسم بأزين منهما ملكوته

احمد شوقي
أمير الشعراء

إعداد: قسم التوثيق والمعلومات

لبنان ذلك البلد الصغير الكبير، الصغير بمساحته الكبير بحضارته. فمساحته تشغـل رقعة صغيرة خضراء على بساط الكون يبلغ قياسها ١٠,٤٠٠ كلم² وتتوسط مجموعة البلاد العربية بما فيها الجزء السليب (فلسطين). وأما حضارته فطويلة تعود بجذورها إلى آلاف السنين. وها هو المؤرخ اللبنانـي الأستـاذ يوسف إبراهيم يزبك يقول: «كانت هذه الارض – لبنان – في البدء تعرف باسم بلاد كنعان، نسبة إلى كنعان بن حام بن نوح، وقد ورد ذكرها في التوراة مراراً على كونها أرض الميعاد المقدسة، وكذلك ذكر اسم لبنان على أنه جبل في كنعان»[١].

نزحت اليه في الألف الثالث قبل الميلاد جماعات مهاجرة ترتبط بالهجرة السامية الثانية التي خرجت من شبه الجزيرة العربية متجهة إلى سوريا وسواحل البحر الأبيض الشرقية. ومن بين تلك الجماعات الآموريون والكنعانيون ومنهم الفينيقيون الذين نزلوا على طول الساحل السوري[٢]. وقد أطلق المصريون اسم فنجو



أو فنقو على سكان هذا الساحل كما جاء في رسائل تل العمارنة . ومن هذه التسمية جاء الاسم اليوناني لسكان الساحل « فينيقيين »[٣] .

انتشر الفينيقيون على أثر هجرتهم على طول الساحل السوري مكونين مدنا عرفت بممالك الفينيقيين . امتدت من أوغاريت شمالا إلى أرواد وطرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وصور وفي بعض الأحيان عكا جنوبيا . ورويدا رويداً اتجهت نشاطاتهم نحو البحر ، ولم يعد نفوذهم يقتصر على تلك الممالك فقط ، بل امتد ليشمل مستعمرات أنشأوها في كل من فلسطين ومصر والجزيرة العربية وفي الحبشة وقبرص والجزر اليونانية وشواطئ ايطالية وفرنسة وارلندة واسبانية وشواطى تركية . وقد اجتازوا البوسفور الى حدود روسيا ، وتجاوزوا العالم القديم الى البرازيل ، وحيثما حلوا ، كانوا ينشرون نتاج حضارتهم وحضارات الشرق جميعا ، حتى ان عظمة اعمالهم الجريئة في اجتيازهم البحار وإنشاء المستعمرات تركت ذكريات لا تمحى في مخيلة السكان في كل مكان نزلوه[٤] .

وقد ازدهرت تلك المدن الفينيقية وصارت كل منها دولة مستقلة لها سياستها الخاصة بها ، إلا أنها جميعا اشتركت في خلق حضارة واحدة تعتبر من أقدم الحضارات الانسانية وأهمها ، فالفينيقيون هم أصحاب أهم اختراع عرفته البشرية ألا وهو الأبجدية التي حملوها ونشروها في كافة أرجاء المعمورة والتي لولاها لربما كانت الأرض غير الأرض التي نعيش عليها الآن والحضارة غير الحضارة التي نشهدها اليوم . كما أن الفنون الفينيقية كصناعة الزجاج والأرجوان والاقمشة وغيرها كان لها أثر كبير في الحضارة الغربية .

وبفضل اسفار ابناء الساحل المتواصلة – خاصة أبناء صور وصيدا – استطاعوا ان يجمعوا بين شعوب الشرق الاوسط وشعوب الغرب ويجعلوهم في اتصال دائم .

وتتسارع أحداث التاريخ على هذا البلد ، فيشهد اجتياح جيوش الحثيين فالأشوريين فالبابليين فالفرس لأراضيه . إلى أن كان القرن الرابع قبل الميلاد حيث جاء الاسكندر الذي لاقى مقاومة عنيفة من أبناء صور التي حاصرها



نيحا : على مدخل معبد روماني

مدة طويلة ، ولولا كثرة جيوشه وأساطيله لما استطاع احتلال المدينة التي خربها وجعلها أثراً بعد عين ، وحكمها خلفاؤه من بعده حتى سنة ٦٤ م . حيث الحقها القائد الروماني بومبيوس الكبير بالامبراطورية الرومانية .

عني العهد الروماني بهذه البلاد ، فشق الطرقات وبنى الجسور وزرع الاحراج ومد الأقنية للري ، إلا أن أهم انجازاته هو انشاء مدرسة الحقوق في بيروت التي لقبها الملك يوستنيانوس الأول « بأم العلوم وظئر الشرائع » ، وتشييد هيكل بعلبك الذي لم تعرف البشرية له مثيلا . وعندما قسمت الامبراطورية الرومانية بين بيزنطية – الشرق – وروما – الغرب – كان لبنان من نصيب بيزنطية ، وظل

هكذا حتى جاء الفتح العربي الذي استقر بمجيئه وجه لبنان الحضاري وهو ما زال يحتفظ بوجهه العربي حتى اليوم .

الفتح العربي .

دخل لبنان مرحلة جديدة من مراحل تاريخه الطويل ، متعاقبة عليه موجات حكم منطبعة بتقلبات السياسة العربية . ونال ما نال المنطقة العربية من ازدهار حيناً وضعف حيناً آخر.ولي الامر فيه الأمويون فالعباسيون الذين شهد لبنان ابان حكمهم ظهور إمارة عربية على يد التنوخيين . وقد اتسعت تلك الامارة شمالا وجنوبياً حتى أن أميرها النعمان عرف بلقب أمير الدولة العباسية . كما أن قبائل بني مرداس أقامت لها في مطلع القرن الحادي عشر إمارة كبيرة في لبنان وسوريا . ثم ظهر حكم بني عمار العربي في طرابلس . هذا إلى جانب نزوح عدد كبير من القبائل العربية إلى لبنان(٥) . وفي وقتنا الحاضر كثير من العائلات اللبنانية التي ترجع في أصلها إلى عروق وقبائل عربية خالصة كالمعنيين والتنوخيين وعلم الدين والشهابيين وأبي اللمع وارسلان وغيرهم(٦) .

وما إن شارف القرن الحادي عشر على نهايته ، حتى تعرض لبنان للغزو الصليبي الذي احتل ساحله.وقد لبث فيه قرابة تسعين عاماً احتل بعدها صلاح الدين الأيوبي مدينة بيروت . أما هزيمتهم الأخيرة فقد تمت على يد مماليك مصر وبهذه الهزيمة انتقل الأمر في لبنان إلى المنتصر الجديد الذي اتسم حكمه بالفوضى والبلبلة . ولكن بالرغم من ذلك فقد ظل الأمراء التنوخيون محافظين على كيانهم في حكم جبل لبنان تحت زعامة المماليك .

ثم كان العهد العثماني الذي انتصر على الوجود المملوكي بعد معركة مرج دابق سنة ١٥١٦م . ودام حكمه طوال أربعة قرون أصبح لبنان خلالها ولاية من ولايات الامبراطورية التي لم تكن الشمس لتغيب عن حدودها . وقد ظل ينعم في قلب هذه الامبراطورية بشبه استقلال ذاتي يحكمه أمراء ومشايخ محليون كانوا أتباعاً لولاة دمشق أو عكا في فلسطين . ومن هؤلاء أمراء وطنيون أمثال فخر الدين والأمير بشير الثاني الشهابي .

كانت سياسة الأول قائمة على التسامح الديني في الداخل ، وهذا أن دل على شيء فانما يدل على مدى بعد نظره في سياسة الأمور وإدراكها وقائمة على الانفتاح على العالم الخارجي في محاولته لالتماس الحضارة من منابعها ابان ذلك العهد . وليس من شك أن اتصاله بالغرب الأوروبي قد فتح له نافذة على أوروبا التي كانت آخذة ببناء نهضتها الحديثة .

أما الثاني فيعتبر وريث الأمير فخر الدين المعني الثاني من حيث الذكاء والطموح الوطني ، وقد استطاع أن يصمد مدة نصف قرن وأكثر أمام أحداث قلقة اجتاحت لبنان . وقد سجل عصره حركة عمرانية كبيرة تمثلت في شق الطرق وبناء الجسور وجر مياه نبع الصفا إلى العاصمة الجديدة بيت الدين ، كما سجل يقظة فكرية نشيطة ، إذ أنشئ عدد كبير من المدارس والمعاهد العلمية ، كمدرسة عين ورقة التي تحولت فيما بعد إلى معهد ثقافي عال اعتمد بعض الأساليب الأوروبية قاعدة له .

وبزوال الأمير بشير عن مسرح الحكم في لبنان في العاشر من تشرين الأول سنة ١٨٤٠ راح التاريخ الحديث للبنان يسجل بدء محاولات الدول الأجنبية للتغلغل في الشرق والسيطرة عليه ، وبدء عهد القائمقامية . وأخطر ظاهرة لتلك المحاولات في لبنان ظهرت في فتنة سنة ١٨٦٠م . التي كانت من أخطر ثلاث فتن نشبت في لبنان عام ١٨٤١ وعام ١٨٤٥ وعام ١٨٦٠م . أدت هذه الفتنة التي نفخ في نارها التنافس الدولي إلى تدخل الدول الأوروبية ووضع نظام أساسي للبلاد بالاشتراك مع السلطنة العثمانية . أبقى ذلك النظام على بعض امتيازات لبنان وسيادته ولكن بعد أن اقتطع

لي عرش منكم ، ولي صولجانُ
وهواكم على الهوى سلطان

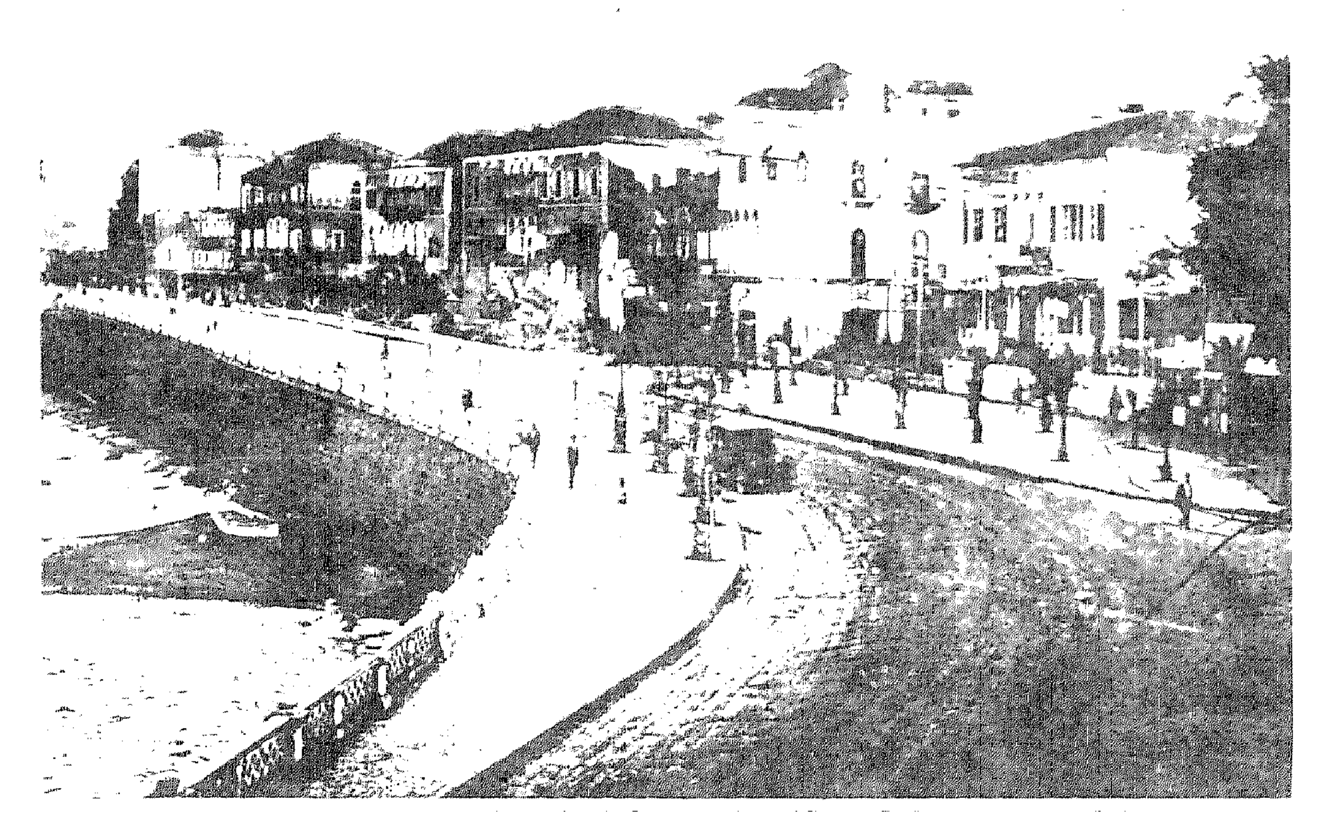
* * *

سألوا ، – تسأل الليالي عن الفجر
« – لماذا يحبها لبنان ...؟ »

* * *

أهو ذنبي إذا احبتني الناس
وذنبي تخيرتني اللجان

لميعة عباس عمارة



بيروت ١٩٢٠ : الزيتونة .

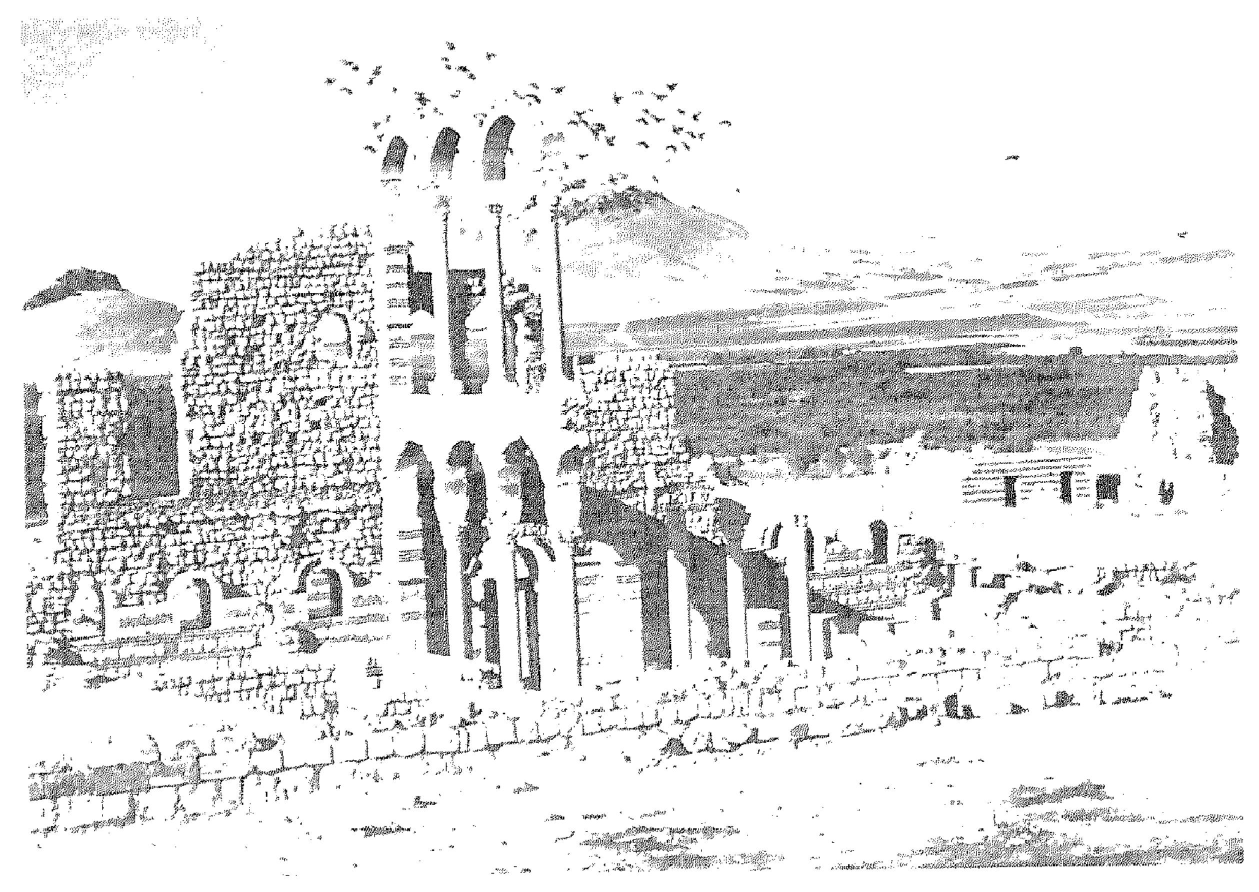
منه سهولة وكثيراً من أرضه ولم يبق له إلا جبله الذي قسمه أيضاً إلى قائمقاميتين شمالية مسيحية وجنوبية درزية وجعل طريق الشام – بيروت حداً فاصلا بينهما(٧) .

وعاش لبنان في ظل هذا النظام وبحماية الدول الأوروبية حتى عام ١٩١٤ حيث نشبت الحرب العالمية الأولى التي دامت أربع سنوات تجرع خلالها الشعب اللبناني مختلف كؤوس العذاب . وما إن انتهت تلك الحرب عام ١٩١٨ حتى انتهى معها عهد آل عثمان الذي أخذت دول الحلفاء المنتصرة تقتطع إيالاته وتقتسم ميراثه فيما بينها . فكان لبنان – وكان قد استعاد حدوده الأولى – من نصيب فرنسا التي دام انتدابها عليه مدة خمسة وعشرين سنة ، ناضل خلالها الشعب اللبناني نضال الأبطال وبذل الغالي والرخيص من أجل تحقيق استقلاله .

وفي سنة ١٩٢٦ ، استطاع أن ينتزع من المستعمر الأجنبي دستوراً ونظاماً ديموقراطياً وصار يعرف باسم الجمهورية اللبنانية فكان بذلك أول جمهورية تعلن في العالم العربي كله ، ومن ثم استكمل آخر خطوة في طريق استقلاله عام ١٩٤٣ عن طريق ثورة عارمة التف فيها الشعب اللبناني بجميع فئاته حول زعمائه الذين كانت قد اعتقلتهم السلطات الفرنسية التي لم تجد بدا في النهاية من الرضوخ لمطلب الجماهير الغاضبة فأفرجت عن الزعماء اللبنانيين وإعادتهم إلى مراكزهم في الحكم في ٢٢ تشرين الثاني سنة ١٩٤٣ الذي أصبح فيما بعد يوم الاستقلال في لبنان .

جغرافية لبنان :

« أما كلمة لبنان فاختلف العلماء في تفسيرها ، ولكنهم في أكثرهم قالوا بأنها في اللغات السامية القديمة معناها الأبيض وأن هذه البلاد سميت بذلك الاسم لأن قمم جبالها مغطاة بالثلوج أبداً . وقيل أيضاً بأن كلمة لبنان مشتقة من لبان ، وهذه الكلمة في اللغات السامية الأولى معناها البخور ، وهي الصنوبر والكنوز واللبن التي نعرفها في لبنان ، وذهب المفسرون هذا التفسير لأن الأحراج التي ملأت



عنجر : القصر الاموي .

أراضينا كانت تفوح منها روائح ذكية تحاكي البخور[٨] » .

إنه في الشرق الأوسط مثل الجبل الأبيض في جبال الألب ، يقع في وسط الساحل الشرقي للبحر المتوسط ، وشرفته البحرية بطول ٢١٠ كيلومتراً تحده سوريا شمالا وشرقا ، فلسطين جنوبا والبحر المتوسط غربا ، يمتد في الشمال إلى الجنوب ، فيبلغ مئة وتسعين كيلومتراً بينما عرضه لا يتجاوز خمسة وسبعين .

في هذه البقعة الضيقة ، استطاع البلد الصغير، بمميزاته الطبيعية، أن يتحلى بمتناقضات جمة : فهناك سلسلة جبلية توازي شاطىء البحر وترتفع من ألف إلى ثلاثة الاف متر وهي تعرف باسم « جبل لبنان » أو سلسلة جبال لبنان الغربية . وهناك سلسلة أخرى تقع في الداخل ويفصلها عن الأولى سهل « البقاع » وهي تعرف بلبنان الشرقي أو سلسلة لبنان الشرقية . ويعتبر سهل البقاع أهم بقعة زراعية في لبنان يرويها نهر الليطاني في جنوبها ونهر العاصي شمالا . وتشمخ خلف السهول سلسلة جبلية اخرى تدعى حرمون او جبل الشيخ الذي يشرف على البقاع الجنوبي وعلى شمالي فلسطين ، وهي على مسافة ستين كيلو مترا تقريبا في البحر .

ايـه لبنـان هب لهم مـا يشاؤون
وهـب لي الا يقـرّ الجنـان
إن اظـل التـي تـعلقـك القلـب
بـاضـلاعـهـا ، وهـام البيـان
كل يـوم يطـرز الارض من لبنـان
نجـم مـدارُه الاكـوان
دأبت بـعلبـك تستـدرج التـاريـخ
تبنـي ، فيشمـخ البنيـان
ثم تهـديـه للـدنـا كلفـا بـالمجـد
هـذا الـولـوع والايمـان
حضنـت طفلـة شبـاب الحضـارات
فمـن صـرحـهـا لـه عنـوان
ههنا كل صخرة اينع المجد عليها
وشـاخت الازمـان

لميعة عباس عمارة

خلف التاريخ الطويل لهذا البلد الصغير تراثا تاريخيا كبيرا ، ما برح يقص علينا حكاية البشرية كلها بشتى مراحلها . فهناك آثار بعلبك وجبيل وصيدا وصور وبيت الدين وغيرها . تنطق حجارتها جميعا باسطورة الأزمنة .

ونحن هنا أن جمعنا مدن لبنان وآثاره معا ، فلقصد أردناه ، وهو بأن جميع مدن لبنان قديمة قدم الزمن ، ولا يمكننا فصلها عن التاريخ والحضارة وهي كل منها تنطق بما لديها من شواهد تاريخية عن مدى اهمية الدور الذي لعبته عبر العصور . وهي كمجموع تشكل آثارا واحدة تدل على ما للبنان الأثري من اهمية بالغة في تطور الحضارة البشرية .

بعلبك :

كانت بعلبك أهم مدن الشرق في العهد الروماني ، واسمها منسوب إلى الاله الفينيقي « بعل » وفيها شيد الفينيقيون معبدأ لاله المدينة ، أما الرومان فأطلقوا عليها اسم هيليوبوليس (مدينة الشمس) غير أن الاسم الفينيقي القديم غلب على المدينة ، وابتنى الرومان فيها معابد وقلاعا . ففي ساحة الأضاحي يستطيع الزائر رؤية المذبح - البرج - الضخم ، وبقايا مذبح آخر . ثم يرى الفوهات الكبيرة والمقاعد الحجرية المنقوشة بدقة ، والمئة والثمانية والعشرين عموداً من الرخام الزهري اللون المجلوب من مصر ، وكتل الحجارة التي تؤلف المدرج الكبير الذي يوصل إلى السطيحة الاصطناعية المبني عليها هيكل جوبيتر ، الذي انتهى بنائه في السنة الستين للميلاد ، ثم يرى الزائر الأعمدة الضخمة الستة ، وحناياها ، التي ما تزال واقفة في هذا الهيكل . وقريباً منها هيكل باخوس . وهذا لم يفقد سوى مذبحه وسقفه وقسم من أعمدته الداخلية . أما هندسته فرائعة الدقة وافرة الغنى وقد بنى حوالي سنة ١٥٠م .. وعندما احتل العرب بعلبك أيام الخليفة عمر بن الخطاب ، شيدوا داخل أسوار الهيكل الروماني ، مسجداً وألحقوا به مدرسة وحولوا الهيكل إلى قلعة .

وعلى الساحل اللبناني تقوم مدن خمس : صور وصيدا وبيروت وجبيل وطرابلس .

صور :

هي مدينة فينيقية أبصرت النور منذ حوالي خمسة آلاف سنة ، كانت في ذلك الزمان مركزاً تجاريا هاما وعاصمة لامبراطورية فينيقية مترامية الأطراف ، ومنها كانت تبحر سفن الفينيقيين المحملة بالسلع إلى أنحاء العالم .

في القرن العاشر ق . م . طمر الملك أحيرام الفوهات البحرية وكبر مساحة المدينة وأنشأ فيها مرفأين صغيرين ومعبداً ضخما .

وقد كشفت الحفريات الأثرية عن الطريق الروماني الذي كان يوصل إلى صور ، وقد رصفت أرضه بقطع كبيرة جداً من الحجارة على أكثر من كيلومتر ، تتبعه قناة على أعمدة لجر المياه ، وإلى قربه قوس نصر كبير . وعلى جانبيه أكثر من مائتي ناووس تقص نقوشها أساطير هوميروس .

ونمشي قليلا لنجد طريقا مرصوفة رخاما وفسيفساء وعلى جانبيها ارتفعت أعمدة منقوشة ، تليها حلبة للمصارعة وحمامات وساحة للألعاب الرياضية ، وعلى مقربة من هذا كله ارتفعت أعمدة لكاتدرائية قطعت من الرخام الجميل وطليت بالذهب .

صيدا :

جاء في سفر التكوين أن صيدون (صيدا) هي أقدم المدن الفينيقية الكنعانية ، وتقول الالياذة انها مكان تصدير أجمل التحف الفينيقية . وقد صار الاسمان فينيقي وصيدوني مترادفين . وقد طوى التاريخ على هذه المدينة صفحات كثيرة ففي سنة ١٨٥٥م . اكتشف ناووس اشمون الشهير وفي سنة ١٨٨٧م . اكتشف ناووس تبنيت ثم النواويس الأربعة الجميلة المعروفة بنواويس الاسكندر .

وفي المدينة نفسها هناك آثار باقية تلفت الأنظار تعود للقرون الوسطى ، منها ، قصر البحر الذي بناه الصليبيون في القرن الثالث عشر ، واستخدمه « فرسان الهيكل » حصنا طوال ثلاثين سنة . ومنها الجامع الكبير وخان الفرنج الذي ارتفع بناؤه في العصر العثماني وهو نموذجاً من المراكز التجارية المحصنة التي نشرها تجار مرسيلية في القرن السادس عشر في


مرجعيون : سوق الخان الاسبوعي

المرافئ الشرقية .

بيروت :

وهي العاصمة الحالية للبنان ، اسمها سامي الأصل « بيريت » معناها الآبار . كانت مدينة صغيرة في العهد الفينيقي ، ثم نمت وازدهرت في العهد الروماني حيث اشتهرت بمعهد الحقوق الذي استقطب الطلبة من كل قطر ، ولكنها دمرت بالزلازال التي أصابتها في أواسط القرن السادس الميلادي ، فعادت مدينة صغيرة ثم توسعت وازدهرت في العهد العباسي والعهد الصليبي ، وقد أصبحت مركزاً تجارياً هاماً في عهد المماليك الذين قاموا بتوسيع مرفأها بسبب توسيع تجارتهم مع الأوروبيين وقد سمحوا لكل جالية من التجار بقنصل أو وكيل . وكان يحيط ببيروت سور مرتفع له أربعة أبواب : باب يعقوب ، باب ادريس ، باب الدركة وباب السرايا . وكانت هذه الأبواب تفتح في الصباح وتغلق في المساء . وقد ظلت مستعملة حتى أواخر القرن التاسع عشر ، أما في وقتنا الحاضر فلم يبق منها إلا الاسم فقط .

جبيل :

هناك افتراض يقول بأن « جبال » القديمة أو« جبل ايل »التي صارت بيبلوس في النصوص اليونانية واللاتينية – تعد أقدم مدينة في العالم . وهي في الواقع ما برحت مأهولة طوال سبعة آلاف سنة بلا انقطاع . وبفضل التنقيبات أصبح هناك وثائق عديدة عن كل عصر مرت فيه . وقد دلت الحفريات الأخيرة على وجود مدافن تعود إلى ما قبل العهد الفينيقي . وفي جبيل آثار تعود إلى عهود العموريين والحثيين والمصريين والفينيقيين والاغريق والرومان والعهود الوسطى . وفيها قلعة شيدها الصليبيون في القرنين الثاني عشر والثالث عشر . وتقوم جنوب القلعة المدافن الملكية وأهمها قبر احيرام الذي عليه أقدم نقوش أبجدية مكتشفة . وإلى الشمال الغربي من القلعة تقوم كنيسة مار يوحنا المعمدان التي شيدها الصليبيون سنة ١١١٥ .

طرابلس :

تعتبر العاصمة الثانية في لبنان ، وهي مدينة تاريخية هامة لعبت دوراً كبيراً في التاريخ وآثارها لا تزال قائمة . وجدت طرابلس منذ العصر القديم كمرفأ بسيط على الساحل ولم تزدهر إلا منذ القرنين الثامن والسابع قبل المسيح خلال الفتح الأشوري حيث اتحدت المدن الفينيقية المتنافسة – صور وصيدا وجزيرة أرواد – واتخذت طرابلس عاصمة لها . وجعلت لكل منها حيا خاصاً فيها وأطلق عليها اسم « تريبوليس » باليونانية ثم تحول إلى « طرابلس » في الفتح العربي وهي ما زالت تحمل هذا الاسم .

جعلها العـرب قاعـدة هامـة فتطـورت وازدهرت زراعتها وتجارتها وصناعتها ، كمـا أصبحت المرفأ البحري أيام الأمويـين ، ثم أصبحت في عهد آل عمار في القرن الحادي عشر من أهم المدن الاسلامية . صروحها تدل على

بيروت الحديثة : الروشة

عظمتها ، فهناك القلعة التي تعود إلى زمن الصليبيين حيث بناها ريمون دي سان جيل وهي تضم في الجهة الشرقية منها القصر الذي ما زال يحتفظ ببعض بنائه الذي كان قد بدأه ذلك القائد الصليبي بمعونة البيزنطيين . وقد يكون أقدم نموذج باق من الهندسة المعمارية الفرنجية في لبنان وتشامخت على الشاطئ بروج عديدة لا يزال احدها قائما وهو « برج السباع » الذي بني في القرن الخامس عشر ولعله اجمل مخلفات المماليك على الشاطئ . وصروح ذلك العهد كثيرة ، فبعضها ديني والبعض الآخر مدني ، تؤلف جميعها مجموعة متكاملة جميلة منها المساجد ، كمسجد الامير سيف الدين طينال الاشرفي والكتاتيب والمخازن والخانات والحمامات المتميزة بقببها الجميلة .

وليس في لبنان مكان آخر تظهر فيه وجوه هذه الحضارة بغنى أكثر . إلى جانب هذه المدن الساحلية التي يكاد تاريخ لبنان القديم والوسيط يرتكز عليها ، هناك الكثير من المدن الداخلية التي لعبت دوراً لا يقل أهمية في بعض الأحيان عن غيرها من مدن الساحل ، كبيت الدين التي تعرف بالقصر الفخم الذي بناه الأمير بشير الشهابي على قمة ضخرية تحيط به وديـان سحيقة . والقصر نموذج جميل للفن المعماري العربي ذي الطابع اللبناني وقد بني في مستهل القرن التاسع عشر وداخله محلى بالنقـوش والكتابة المزخرفة .

وهناك عنجر في سهل البقاع التـي لا نستطيع اغفال دورها ، فهي مدينة خلقيس عاصمة الأيطوريين الشجعان الذين وقفوا في وجه الرومان ، وهي الريف الذي استهوى طيب مناخه وجمال موقعه الخليفة الأموي الوليد بن

- الرصافي ، شاعر العراق :

« لله لبنـان الـذي هضبـاتـه ضحكت مغـازلـة مـع الـوديـان »

- حافظ ابراهيم ، شاعر النيل :

إذا تـأملت في صنـع الالـه بهـا لم تلق في وشيـه صنعـا لانسـان »

ليس شوقي والرصافي وحافظ ، سوى شعراء ثلاثة اطلوا من موكب شعراء طويل ، يبتدئ في المشرق العربي الادنى وينتهي في المغرب الاقصى . التقى جميعهم على حب لبنان والتغني بطبيعته الفنية بالروائع الالهية التي هياته لان يكون فردوسا يطلق السنة واقلام الشعراء العرب بأجمل القصائد والخواطر التي تصور لبنان كقطعة من جنة الخلد . لذا يحق لهذا البلد الصغير ان نطلق عليه لقب « فردوس العرب » .

عبد الملك ، أحد أكثر ملوك العرب ذكاء وتعميرا ، فبنى بين سنتي ٧٠٧ و ٧١٣ « مدينة » لاستجمامه وراحته على مقربة من أطلالها الرومانية والبيزنطية مستعملا بعض حجارة تلك الأطلال لتزيين رؤوس الأعمدة التي رفعها في عماراته .

وأحيطت مدينة الخليفة لحمايتها بأسوار شبه مربعة يبلغ جانب كل جدار منها أربعماية متر . وتسلحت على طولها ببروج مستديرة وفتحت فيها أربعة أبواب ضخمة من الجهات الأربع(٩) .

هذا غيض من فيض مما اسبغت الطبيعة على لبنان من آيات جمالية وموقع جغرافي ممتاز جعلته محط انظار الشعوب على مدار الازمان .

وإن نحن تعرضنا لذكر المدن الآنفة ، فهذا لا يعني بأننا ننفي صفة الاهمية عن بقية المناطق اللبنانية ، لان كل بقعة من بقاع هذا الفردوس تنطق بما لديها من شواهد جمالية وتاريخية على ما كان لها من اهمية حضارية . ■

الهوامش

(١) محي الدين الخضري : البحرين ، الاصدار الثالث ، منشورات مجلة الوعد ، ص ٣١ – ٣٢ .

(٢) ممكن الرجوع في صدد صلات العرب بالساميين وهجراتهم الى : د . جواد علي : تاريخ العرب قبل الاسلام ، بغداد ١٩٥٣ ، ج ١ ، ص ١٤٨ – ١٦٦ . والى محمود كامل : العرب وتاريخهم بين الوحدة والتفرقة – القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٢٣ – ٣٦ . والى رينيه ديسو : العرب في سوريا قبل الاسلام (ترجمة عبد الحميد الدواخلي) القاهرة ١٩٥٩ ، ص ١ – ٢٢ .

(٣) يذكر الاستاذ ابراهيم يزبك المؤرخ اللبناني ، في محاضرة القاها في اليوم الاخير من المؤتمر العالمي الثاني للجامعة اللبنانية في العالم الذي عقد في بيروت في العشر الاخير من شهر آب عام ١٩٦٤ عن الفينيقيين اللبنانيين واصولهم وفروعهم بأن اسم بلاد كنعان بقي مشهورا بين الناس حتى اتصل اليونانيون والكنعانيون بعضهم ببعض ، واليونانيون مشهورون بتحريف الاسماء الاجنبية ، فحرفوا كلمة كنعان وشوهوها حتى جعلوها فينيقية ، وغلب هذا الاسم على الاصل وصار مستعملا في اللغات الاخرى .

(٤) ماسبيرو : تاريخ شعوب الشرق القديم ، ص ٢٨٠ .

(٥) كانت الهجرات السامية تحمل الى لبنان من الجزيرة العربية الكثير الكثير من القبائل العربية التي استقرت وتفاعلت مع سكانه . كما قامت على اطراف هذه المنطقة قبل الفتح دويلات عربية كتدمر والغساسنة والايطوريون والانباط ، ويقول الاب هنري لامنس في هذا الصدد « في كتاب تسريح الابصار فيما يحتوي لبنان من آثار » ، ج ٢ ، بيروت ١٩١٤ ، بأن الايطوريين ليسوا القبيلة العربية الوحيدة التي دخلت في عداد اهل لبنان ، بل نجد قبائل غيرها توطنت ذلك الجبل لا سيما التنوخيين وهذا الامر مهم لمعرفة عناصر اهل لبنان .

(٦) الشيخ انطونيوس ابي خطار : مختصر تاريخ جبل لبنان ، بيروت ١٩٥٣ ص ٤٧ – ٥٢ .

(٧) ابو شقرا : الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية (الراوي) حسين غضبان ، المؤلف يوسف خطار ابو شقرا ، تحرى نصها وعلق حواشيها وملاحقها ووضع مقدمتها وفهارسها ، عارف ابو شقرا ، بيروت ١٩٥٢ ص ٦٥ .

(٨) من محاضرة الاستاذ ابراهيم يزبك المذكورة آنفا .

(٩) انظر في صدد « مدن لبنان والآثار » ، كتاب : لبنان كما يراه العرب » .

Le Guide Du Livre, Lausanne 1967
Imprime En Suisse.

وكتاب د . زاهية قدورة : « تاريخ العرب الحديث » ، الطبعة الثالثة ١٩٧١ . دار النهضة العربية للطباعة والنشر . بيروت – ص ٢٧٣ – ٣١٨ .



وحدة البحر المتوسّط في التقاليد الفرنسيّة

هالة ضياء الدين الكاشف

رغم ان النظرة الاساسية للمتوسط هو انه دائرة واحدة للحركة، ورغم ان الوحدة المتكاملة هي الطابع المميز لتقاليد التعامل السياسي في المنطقة منذ اقدم العصور، الا ان الواقع المعاصر لحوض البحر المتوسط يتميز بعدة خصائص لم يعرفها من قبل.

فالبحر المتوسط اليوم لا تحكمه قوة واحدة كما كان من قبل، بل ومن العجب ان القوى الكبرى المتحكمة فيه لا تنتمي جغرافيا للحوض، فمن جانب الاتحاد السوفييتي حيث الانتماء غير واضح ومن جانب آخر الولايات المتحدة حيث الانفصال الصارخ، ولما كان الطابع المميز لسياسة القطبين هو الشمولية في التخطيط فقد اصبح المتوسط جزءا من استراتيجية عالمية وليس محورا لها كما كان، واصبح في حد ذاته يعبر عن انشطار وعدم تجانس بين جانبيه بعد ان عرف الوحدة المتكاملة هيكليا ووظيفيا في عهد الامبراطورية الرومانية. انشطار خلقه التسلل الشيوعي بمعتقداته الايديولوجية في الشمال والتسلل الصهيوني بوحدته البنائية والوظيفية في الجنوب.

غير ان هذا لا يعني الانفصال التام عن الماضي، فخبرة الماضي هي دائما حقيقة الحاضر ولا يمكن فهم خصائص الحاضر الا من خلال المتابعة التاريخية مع مراعاة ان استقراء الدلائل التاريخية لا بد وان يتم بنسبية معينة وفي اطار ظروف وملابسات لا تتعداها لما في ذلك من تخط لحواجز الزمن.

اشرف على الدراسة: د. حامد عبد الله ربيع.

ولما كان الحاضر يعبر عن استمرارية الماضي، فاننا نجد ان التقاليد الرومانية في التعامل السياسي مع المنطقة والتي استمرت قرابة خمسة قرون، تؤكد الوحدة وتدعمها، ما زالت قائمة حتى الان تمثلها فرنسا والتي لم تختلف تقاليدها في التعامل مع المنطقة منذ عهد شارلمان وحتى ديجول ومن بعده، ولكن إذا كانت الامبراطورية الرومانية قد استندت في تحقيق الوحدة الى فكرة الجنسية والتكامل البنائي والوظيفي فان فرنسا استطاعت ان تفهم قانون التطور الذي يحكم الظاهرة المتوسطية وتستوعبه فانتقلت الى مرحلة الدولة الكوزموبوليتانية دون ان تهمل المرتكز الاقليمي، وعندما اقتضى الامر التخلص من المستعمرين بدأت تطوراً جديداً في شكل دولة عصرية رائدة للسياسة الاستقلالية في اطار جديد يضمن تحقيق الوحدة، وقد ادركت فرنسا ضرورة تطويع ادوات التعامل السياسي وتغيير الاولويات لكي تجعل من الدبلوماسية الاداة الفعالة لتحقيق الوحدة المتوسطية تحت شعار جديد هو شعار الحوار العربي الاوروبي.

وعلى طول تاريخ المتوسط منذ اقدم العصور حتى الوقت الحاضر، نستعرض خصائص التعامل السياسي مع المنطقة المتوسطية وتطوراته بصفة عامة وتقاليد التعامل السياسي الفرنسي بصفة خاصة انطلاقا من منهج التحليل العلمي بعيدا عن اسلوب السرد التاريخي:

١ – تطور مفهوم الوحدة المتوسطية:

عرف المتوسط دائما وحدة جيوبوليتيكية منذ عهد الملوك الفراعنة ومرورا بالتقاليد الفينيقية ثم الاغريقية فالرومانية ثم الاسلامية حتى في العصور الاوروبية عرفت المنطقة وحدة جيوبوليتيكية وان اختلفت التصورات لهذه الوحدة بين فكر الماني تطلع الى ربط افريقيا باوروبا عبر المتوسط وفكر فرنسي يتطلع الى تحقيق الوحدة الوظيفية والبنائية للمنطقة. وفكر بريطاني ينظر للوحدة كجزء من استراتيجية عالمية هي الكوزموبوليتانية.

غير ان هذه الوحدة التي تميز المنطقة المتوسطية لا تعني ثبات المفهوم وجموده، فقد خضعت هذه الوحدة لقانون التطور وهو منطق وطبيعة الاشياء، الا ان التطور السياسي الذي شهدته المنطقة انما هو تطور ذو طبيعة جدلية، بعبارة اخرى فان تاريخ التعامل السياسي مع المنطقة هو تحاور دائم بين فكرتي الوحدة والتعدد الذي لا يلبث ان ينتهي بتأكيد الوحدة ليبدأ من جديد مرحلة انقسام اخرى.

ان متابعة تاريخية بسيطة توضح لنا هذه الحقيقة: ثنائية في العلاقة بين قرطاجة واسبرطة تنتهي بالوحدة تحت سيادة الدولة الرومانية ليبدأ الانقسام بعد ذلك نتيجة للصراع السياسي بين القوى الاوروبية ثم يبدأ وحدة اسلامية لا تلبث ان تتحول الى تعددية بظهور المفاهيم الشعوبية وما ان تظهر الوحدة العثمانية حتى تقفز من جديد فكرة التعددية مع ظهور فكرة التنافس الاستعماري لينتهي بالثنائية بين القطبين – ترى هل يسير قانون التطور الى منتهاه الطبيعي نحو الوحدة المتوسطية من جديد؟ وهل يكون الحوار العربي الاوروبي هو جسر الوصول الى هذه الوحدة؟.

وتقدم لنا الوحدة المتوسطية تصنيفين من نماذج التعامل الوحدوي(١): الوحدة البنائية اولا ثم الوحدة الوظيفية ثانيا واذا كانت الوحدة البنائية تعني الادارة الهيكلية الواحدة فان الوحدة الوظيفية تعني الربط والاتصال للتعدد الحضاري، وما من حضارة قامت في المنطقة الا وكان امتدادها وتوسعها يشمل البحر فيتحول الى بحيرة داخلية فتتحقق بذلك الوحدة البنائية او يتحول البحر الى مركز الاتصال الحضاري فتقوم وحدة وظيفية لا تلبث ان تتبعها وحدة بنائية نتيجة لقيام حضارة واحدة من تآلف النقائض. وفي ضوء هذه الحقيقة عرف المتوسط ثلاث صور للوحدة.

(أ) طغيان البعد الوظيفي على الجوانب البنائية :

وقد عرفه المتوسط في الدور اليهودي في المنطقة والذي قام بوظيفة الربط والاتصال بين الحضارة العربية والاوروبية في ضوء نموذج فريد لخلق التعامل لصالحهم والقيام باتصالات غير مباشرة مثلثة ، اساسها التشويه الفكري والحضاري .

(ب) طغيان البعد البنائي على الوظيفي :

وتمثله تقاليد الدولة الاسلامية التي نظرت الى البحر على انه بحر الروم وليس امتداداً لكيانها العضوي .

(ج) التوازن بين البعدين في الحركة المتوسطية :

ويعبر عنه بنجاح تقاليد الامبراطورية الرومانية التي استطاعت ان تفرض السلام الروماني (Pax Romana) على المتوسط لمدى اربعة قرون متواصلة ، اعظم فترات الوحدة تكاملا .

وعندما يلتقي الجانبان الوظيفي والبنائي تكون الوحدة المتوسطية قد تحققت في ارقى صورها . اما الجانب البنائي وحده فلا يكفي دون تحليل الوظيفة الحضارية المتطورة واما الجانب الوظيفي فهو لا يمكن ان يتحقق بل لا يسعه الاستمرار دون الحماية البنائية القوية .

واذا كان التحدي يهدد الوحدة المتوسطية اليوم متمثلا في انتقال دائرة التحرك بشكل اكثر اتساعا الى القوى الاطلنطية واذا كانت القوى المسيطرة على المتوسط اليوم هي قوى غريبة عن جسده ، فانه لا سبيل لمواجهة هذا التحدي الذي يهدد بمحو الشخصية المتوسطية الا بتحقيق الوحدة المتوسطية بجانبيها البنائي والوظيفي وذلك عن طريق توسيع الدور الوظيفي للعلاقات العربية الاوروبية واداته الحوار المباشر دون وسيط وتوسيع الكيان البنائي الاقليمي واداته في ذلك قيام الجماعة العربية الاوروبية .

٢ - تاريخ التصور الاستراتيجي في التعامل مع المنطقة :

اذا كانت خبرة الماضي هي حقيقة الحاضر واساس المستقبل فان هدفنا من المتابعة التاريخية يصبح الرغبة في اكتشاف تقاليد التعامل السياسي مع المنطقة بالاهتمام او عدمه وابعاد وعمق هذا الاهتمام وذلك بهدف فهم طبيعة العلاقات العربية الاوروبية المعاصرة وادراك امكانية تحقيق الوحدة المتكاملة في ظل ظروف دولية واقليمية تتحكم فيها قوى غريبة عن الجسر المتوسطي - واذا ما حاولت القوى المتوسطية ان تبني اسس وحدة جديدة استنادا الى الخبرة والمتابعة التاريخية فسوف تجد امامها عدة نماذج للتعامل السياسي مع المنطقة .

اولا : الخبرة اليونانية والتصور الاستراتيجي للتعامل مع المنطقة :

ان تاريخ المتوسط هو صراع دائم بين قوة بحرية واخرى قارية تنتهي بسيادة الاولى وتطويع الثانية(٢) ، وقد تمثل ذلك الصراع في التقاليد الهيلينية بين اسبرطة القارية واثينا البحرية ونجحت النخبة الاثينية الديمقراطية من التوسع والانتشار واصطبغت الشخصية المتوسطية بالطابع اليوناني ، الا ان هذا لم يكن يعني الوحدة المتوسطية الحقيقية بمعناها المتكامل ، فقد اتسم الكيان البنائي والوظيفي بالطابع الكونفدرالي وكان كل ما عرفته الشعوب الخاضعة للسيطرة اليونانية هو نوع من انواع التوحد الثقافي ، بل حتى هذا كان يكتنفه كثير من الغموض حيث انتشرت اللغة الاغريقية على نطاق واسع في الشرق وان كانت اساسا لغة المدن والطبقات المثقفة في حين احتفظ الريف والعامة بلغاتهم الخاصة .

ثانيا : الوحدة المتوسطية في التقاليد الرومانية :

ازهى فترات الوحدة المتوسطية هي تلك الوحدة الرومانية التي نجحت بحق في ان تجعل من المتوسط بحيرة رومانية وان تجعل من المتوسط بحرنا (Mare Nostrum) طوال اربعة قرون متواصلة ، وحدة لم يعرفها المتوسط الا من العهد الروماني وان ظل دائما متشوقا اليها .


التوسع الروماني في المتوسط ساهم في وحدته

وقد نتج اهتمام روما بالبحر عن طبيعة توسعاتها القارية[٣]، الامر الذي تطلب قيام تحالفات واتصالات مع المستعمرات اليونانية في الجنوب الايطالي، وسرعان ما تحولت روما الى قوة بحرية دخلت في صراعات دامية مع قرطاجنة على مدى اكثر من ثلاثة وعشرين عاما انتهت بالتوسع الروماني في المتوسط وقيام وحدة اقتصادية اتصلت بالوحدة الثقافية الهيلينية القائمة لتعلن عن ميلاد وحدة سياسية تحت سيادة الامبراطورية الرومانية[٤].

إلا ان الضعف الوظيفي اجتاح الامبراطورية وادت الحروب المستمرة الى اضعاف الزراعة وسادت العقلية الاقطاعية التي كان هدفها نهب الامصار المفتوحة اكثر من التعامل معها، وظهر الخلل في البناء الهيكلي والوظيفي بشكل واضح مع انقسام الامبراطورية بين شرقية «الامبراطورية البيزنطية» وغربية «امبراطورية شارلمان» وكان الانقسام هو بداية النهاية للعصر الذهبي للوحدة المتوسطية الرومانية.

ثالثا: مفهوم الوحدة في الخبرة الاسلامية:

لقد ظل المتوسط في الوعي الجماعي حقيقة واحدة حتى جاء الاسلام فأحدث الفرقة والفرقة مردها ان الاسلام نظر للمتوسط على انه بحر الرومان وكان المحدد الحقيقي لهذه الفرقة يعود الى اختلاف في اطار القيم بين كل من النظامين الروماني والاسلامي

وتؤكد الخبرة التاريخية انه عندما تفاعل الدين بالحياة والفكر الاسلامي بالفكر الاوروبي كانت مرحلة التقرب من ثقافات المتوسط وكانت محاولة ناجحة لتدعيم الكيان البنائي الاسلامي بالوظيفة الاتصالية المباشرة لكن سرعان ما انهارت الناحية الوظيفية لعدة اسباب تمثل اهمها فيما يلي:

(أ) كثرة الجماعات الانشطارية التي كانت تخشى المركزية الاسلامية.

(ب) التسامح الاسلامي ازاء العناصر اليهودية التي برعت في اداء الوظيفة الاتصالية فدأبت على تمزيق روابط الاتصال الحضاري بين العرب واوروبا وادت الى خلق الروح العدائية التي لازمت اوروبا حتى بعد النكسة الصليبية.

(ج) تعرض الدولة للاستيعاب من قبل دول بنائية اقوى وان كانت اضعف وظيفيا مثل المملوكية في شرق وجنوب المتوسط والبربرية في جنوب المتوسط وغربه – وغرقت الابنية الاسلامية وراء الغيبية ولم تلبث ان تحولت هذه الابنية الى مجرد بناء هلامي ضعيف تقلص بعد حين فعبر عن نفسه في شكل البنائية الوظيفية المتخلفة للدولة العثمانية والتي اهملت تماما الجانب الاتصالي والقيم الوظيفية الحقيقية في الاسلام.

رابعا : الدولة وتطور مفهوم الوحدة :

يعد الشعور القومي اقوى عامل في السياسة الحديثة واكثرها غموضا، إذ اثبت هذا الشعور انه اقوى من اي مذهب سياسي آخر. فقد تحطمت تحت وطأة هجماته امبراطوريات كبرى وقامت باسمه حروب وثورات غيرت معالم العالم فاذا به يفتت منطقة المتوسط الشمالية تماما يجزئه الى عدة دويلات لكل منها اطارها القومي الخاص بها.

ويتألف الوعي القومي من امتزاج السعي للوحدة والتعزز والاستقلالية والهيبة(٥) - الا يحمل كل هذا بذور الانغلاق الذاتي وعدم الاهتمام بالمتوسط الا بالقدر الذي يحافظ على الوحدة القومية؟ الا يعني هذا التجزئة النظامية والحركية للوحدة المتوسطية؟ وهل في مفهوم الاستقلالية والتميز ما يؤدي الى تفتيت النظرة نحو الحركة الوحدوية، ام ان السعي الى التفوق قد يؤدي الى السيطرة وبسط النفود على المنطقة كلها فيكون الكيان الاداري والبناء الوظيفي المتطور - وتحيا التقاليد الرومانية من جديد؟! - تساؤلات عديدة اثارها الشعور القومي السائد في اوروبا، غير ان النظرة المتعمقة للوقائع التاريخية تثبت ان الدولة القومية ساهمت في تدعيم مفهوم الوحدة وظلت تنظر للمتوسط من خلال التقليد الثابت الذي عبرت عنه الاستراتيجيات الكبرى السابقة ومن ثم تحولت المنطقة الى دائرة واحدة من دوائر الممارسة السياسية للدول القومية الاوروبية - إن تفسير هذا الاعتصام بالوحدة رغم التفتت البنائي يتطلب التعرض لبعض المفاهيم المتعلقة بالسياسة الامنية :

(أ) - مفهوم الامن القومي :

إن هذا المفهوم من حيث طبيعته ليس الا عقلية تقنين لمجموعة من المبادئ التي تتضمن قواعد للسلوك تمثل الحد الادنى للحماية الذاتية. وفي ضوء هذا المفهوم نجد ان الاهتمام او عدمه بالوحدة المتوسطية انما يتحدد في ضوء القرب او البعد عن الموقع الجغرافي، فكلما كانت الدائرة القومية مطلة على المتوسط شكل البحر دائرة هامة في نطاق سياستها الخارجية وكلما بعدت حدث العكس، وقد ترتب على هذا ظهور علاقة طردية بين البعد عن المتوسط والقرب من الاطلنطي، ولنتذكر كيف ان السياسة البريطانية نظرا لابتعادها عن المتوسط واقترابها من الاطلنطي وكنتيجة طبيعية لعدم تأثر امنها القومي بالوضع في المتوسط كانت ترى في المنطقة مجرد جسر بحري لمناطق ما بعد المتوسط، وذلك على العكس من السياسة الفرنسية حيث ارتباط الامن القومي الفرنسي واضح وصريح بالمتوسط ومن ثم كان اهتمامها بالتحرك البنائي الامبراطوري في اطار وحدة المتوسط البنائية وكرست التحرك الوظيفي لهذا الغرض.

(ب) - مفهوم الامن الاقليمي :

وينصرف هذا المفهوم الى تلك الحالة من الاستقراء التي يجب ان تشمل المنطقة الاقليمية كلها بعيدا عن اي تهديد سواء داخلي او خارجي، وهذا المفهوم ينطوي على ضرورة الارتباط بالمتوسط وتدعيم وحدته بهدف تحقيق الاستقلالية والمحافظة على الشخصية المتوسطية في كيانها المتوسطي المستقل. الامر الذي يسمح بالوقوف في مواجهة القوى الاطلنطية التي تسعى لاحتواء الدائرة المتوسطية.

الخلاصة :

هكذا ظلت النظرة الوحدوية هي محور السياسة والتصور الاوروبي للمنطقة دائما ارتباط ووحدة بين شمال المتوسط وجنوبه وهو ما دفعها الى التحكم في البلاد العربية المسيطرة على جنوب المتوسط بل ان السياسة الامريكية الشمولية بدأت تدرك حقيقة هذه الوحدة واخذت تعرف الخطى الاولى على سبيل القناعة بمثل هذه الفلسفة كأساس للتعامل مع الحوض المتوسطي، في حين فشلت المحاولة العربية الوحيدة في غزو المتوسط - وهي الفتوحات الاسلامية، فشلت في ادراك اهمية ربط شمال المتوسط بجنوبه ولم تلق بالا الى اهمية السيطرة على شماله برغم اتاحة الفرصة لذلك الامر الذي ادى الى انهيار حتى ذلك الجزء من الوحدة البنائية الذي تحقق في جنوبه.

٣ - فرنسا واحياء التقاليد الرومانية :

لعل فرنسا هي من اكثر دول المنطقة قدرة على التأثير في الاوضاع القائمة، بل وفيما يمكن ان تؤول اليه هذه الاوضاع مستقبلا، فقد اكتملت لفرنسا بعض المقومات الرئيسية التي تساعدها على اداء الدور الذي يمكن ان يجعل منها قوة دولية فاعلة ومؤثرة في منطقة المتوسط، فهي اولا احدى دول المنطقة وليست غريبة عنها وتلك في ذاتها حقيقة سيكولوجية هامة، إذ تجعل حساسية الدول الاخرى في المنطقة ازاءها اقل بالمقارنة بالنسبة للدولتين القطبين حيث ان التخطيط السياسي والاستراتيجي الامريكي والسوفييتي محكوم بدوافع ترتبط بمصالحها الامنية وبمتطلبات الزعامة العالمية اولا حتى وان كان في ذلك تصادم مع مصالح وسياسات اعضاء الاسرة الاقليمية مما يدفعهم الى نظرة متشككة، وهي نظرة لا يمكن ان تكون بالنسبة لفرنسا حيث ان الشعور بوحدة الانتماء والارتباط بحوض المتوسط من رابطة جغرافية ومن تاريخ طويل مشترك من مصالح ومعاملات وعلاقات بل وحتى صراعات كل ذلك يؤكد انها ليست غريبة عن دول المنطقة.



سا « ديغول » و « بومبيدو » اكدت انتماءها
ر المتوسط.

وتعتبر فرنسا من اكثر الدول تدعيما لمفهوم الوحدة وتعبيرا عن استمرارية الوحدة المتوسطية، حيث ان السياسة في فرنسا البونابرتية لا تختلف عن فرنسا الديجولية الا من حيث الفترة الزمنية وطبيعة الاطار الذي تتحرك داخله والذي فرضته الظروف الدولية ويظل خطها الاساسي هو احياء التقاليد الرومانية في التعامل مع المنطقة المتوسطية.

ورغم الطابع الوظيفي الذي صاحب بداية التحرك الفرنسي في المتوسط ممثلا في الاتفاقيات على الامتيازات التجارية، فاننا نجد النزوع البنائي كان دائما قائما وان تجسد بصورة واضحة في العهد النابليوني، حيث نجح نابليون في فرض حكمه مباشرة او غير مباشرة على القسم الاكبر من القارة الاوروبية واهتم كثيرا بان يظهر كوريث حقيقي لشارلمان(٦)، واتخذ من روما التي صبغت المتوسط بالصبغة الرومانية مثلا يحتذى به واراد جعل غرب اوروبا كله فرنسيا - وكانت بداية النهاية للامبراطورية النابليونية في المتوسط عندما اهمل نابليون الطابع الوظيفي المتطور واصبح شغله الشاغل هو الأهتمام بالادارة الهيكلية الواحدة، بل حتى هذا الطابع البنائي عرف تدهوره باعتماده على قوة بنائية متوسطية مريضة ضد القوى غير المتوسطية وهي الدولة العثمانية وانتهى الامر بانتصار القوى الكوزموبوليتانية وخضوع فرنسا لمقررات المجلس الاقطاعي الاوروبي، ولعل الخطأ الاساسي في السياسة النابليونية هو عدم ربطها بين اهمية الوحدة الاوروبية واهمية التحرك في المتوسط، وهو خطأ ترتب عليه سلسلة متتابعة من الاخطاء السياسية التي ادت الى تفسخ اركان الامبراطورية النابليونية، حيث كان توجهها للمتوسط كسياسة تعويضية لخسائرها في اوروبا وكان توجها ضعيفاً هزيلا لم يسعه الوقوف في مواجهة الكيانات الكوزموبوليتانية التي عرفت طريقها للمتوسط.

وقد استوعبت اسرة البوربون الدرس الذي تلقاه نابليون في المتوسط وفي اوروبا استيعابا تاما فاعتمدت على الخبرة النابليونية الوظيفية في مصر والجزائر واضفت على امتدادها القاري الاوروبي بعدا وظيفيا متوسطيا

باعتمادها على التواجد الفرنسي المتميز في الساحل الجنوبي للمتوسط. غير ان هذه المرحلة لم تدم طويلا إذ سرعان ما تولت مملكة اورليان الحكم وعاد الطابع البنائي يأخذ الاولوية من جديد مما ادى الى استعادة النفوذ الاطلنطي لقوته وتحديه للتحرك الفرنسي المتوسطي.

إلا ان اهم ما يعنينا من التحرك الفرنسي السياسي هو ذلك الطابع الذي تؤكد به التقاليد الفرنسية استيعاب حركة التاريخ في المتوسط. فتجاوب الاباطرة والملوك الفرنسيين تستلهم تقاليد التجربة النابليونية الاولى وهذه الاخيرة تتفاعل مع التقاليد الرومانية وتأتي تجربة التوسع الاستعماري والتي ظهرت بوضوح في نهاية القرن الثامن عشر وبداية التاسع عشر فتسير على نفس الخط مؤكدة الرغبة في تحقيق الوحدة المتوسطية على غرار الخبرة السياسية الرومانية. ووطدت فرنسا من وجودها المتوسطي مع المد الاستعماري الفرنسي في الجزائر ومع الحضور الفكري والثقافي في مصر منذ حملة نابليون الاولى فكانت الجزائر حجر الزاوية في البناء الامبراطوري



هل تستلهم فرنسا الحالية تجارب النابوليونية الاولى في التوسع ؟

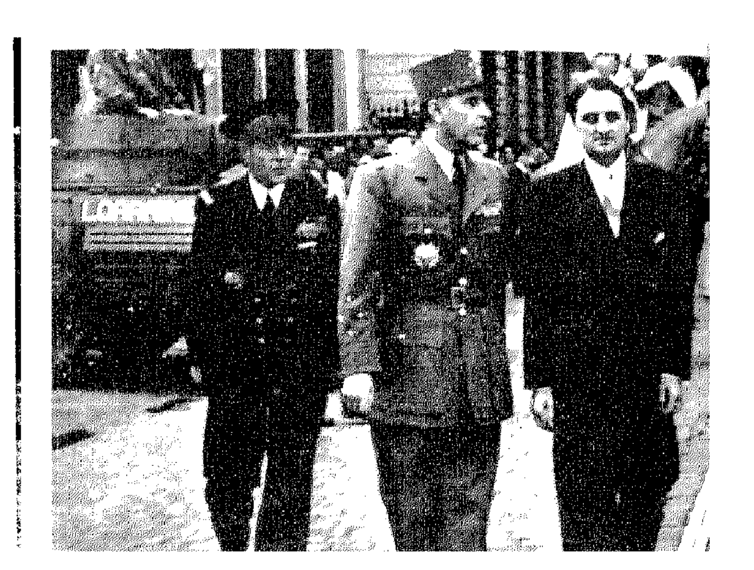


.. عندما نجحت فرنسا في بناء مركز لها مهم في المغرب العربي

ومصر في الدعم الوظيفي والاتصالي وكتبت جريدة «فرنسا الجديدة» (La Nouvelle France) في سنة ١٨٩٨ «سوف نرى سريعا اليوم الذي نجد فيه مواطنينا في الجزائر يزحفون نحو تونس والمغرب ليكونوا امبراطورية متوسطية، والذي سوف يرضي تطلعاتنا ليس هذا فحسب، وانما سوف تشكل ايضا في ظل الظروف الدولية الراهنة المنبع الاساسي لعظمة فرنسا».

وتحققت النبوءة الفرنسية واصبح لفرنسا مركز استراتيجي وسياسي واقتصادي لا يقارن لا سيما بوجودها في ميناء بيزرت التونسي والذي يعتبر مفتاح الدخول للحوض الجنوبي كما يقدم امكانية ايجاد قناة اتصال هامة بين شاطئ المتوسط الشمالي والجنوبي.

وعلى الرغم ما اصطحب عام ١٩٤٥ من تغيرات استراتيجية دولية خطيرة وبروز الولايات والاتحاد السوفييتي كقوى عظمى تسعى للتدخل والتحكم في المنطقة في اطار من استراتيجية شمولية تحتوي العالم بأسره. وعلى الرغم من تقلص النفوذ السياسي الفرنسي والبريطاني وعودتهما الى الحدود الطبيعية إلا ان المتوسط ظل دائما دائرة للحركة الفرنسية وبديلا عن الاطلنطية، وبعيدا عن الذيلية للولايات المتحدة. وان كان هذا الاتجاه قد خبا لفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية الا انه عاد الى دائرة النور وبقوة في اواخر الستينات فكانت



السياسة الديجولية المزدوجة . حصار قاري في شكل الوحدة الاوروبية من الاورال الى الاطلنطي يكمله حصار بحري في شكل الدعوة لتحييد المتوسط ووحدته ، دعوة ذات طابع بنائي تضعف من تغلغل القوى العظمى في المنطقة .

وإذا كانت الوحدة الرومانية قد تحققت بقوة السيف فان السيادة الفرنسية لا بد وان تتحقق بقوة الايحاء والاقناع الفكري بمعنى نقل الانطباع الى دول المنطقة بانها هي التي تتبنى مصالحها وتدافع عنها ، فوضعت اساساً جديداً لعلاقاتها بدول المنطقة . يقوم على بث الثقة والاحترام المتبادلين في اطار من المصالح السياسية والاقتصادية المشتركة ولسنا في حاجة الى ان نسرف في تقديم الامثلة العملية التي تبرهن على عمق هذا التغيير يكفي فقط ان نذكر كيف ان ديجول بما تميز به من واقعية هو الذي عدل من الاحلام الامبراطورية وفتح صفحة جديدة في علاقات بلاده مع المغرب بل هو اول مسؤول فرنسي يؤكد جزائرية الجزائر .

٤ - الوحدة المتوسطية في الفكر الاستراتيجي الفرنسي :

إذا تكلمنا عن الفكر الاستراتيجي الفرنسي فلا بد وان نتذكر الجنرال اندريه بوفر (Bauffre)وهو عسكري كبير لارائه السياسية وافكاره الاستراتيجية تأثير فعال على خطوات السياسة الفرنسية وقد تناولت اراؤه هذه ، الوضع الفرنسي في المتوسط ومدى تأثر السياسة الفرنسية بمجريات الامور في المنطقة .

ويستعرض بوفر الاوضاع الدولية المعاصرة متخذا منها فرضية اساسية يبني عليها نتائجه السياسية ويرسم على اساسها خططه الاستراتيجية وهذه الاوضاع الدولية تتسم بتضافر عدة عوامل كبرى(٧) :

(ا) - سقوط اوروبا بعد حربين عالميتين سبب من جهة انهيار احلام الامبراطورية الاوروبية العالمية ومن جهة اخرى سبب فراغا في اوروبا الوسطى احتله الاتحاد السوفييتي وما زالت اوروبا ضعيفة بالنسبة لقارها القوي .

(ب) - نهوض الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي اللتين اصبحتا الدولتين العظميين العداء الدائم بينهما الى اتخاذ احتياطات امن متبادلة وصلت الى حد اختراع الاسلحة النووية غير ان المنطق الداخلي للمشكلات النووية اضطرهما الى تحقيق توازن عسكري مستقر جدا الامر الذي يوجههما الى اقامة علاقات خاصة من نوع جديد فيما بينهما .

(ج) - اشراف اوروبا على الشاطئ الشمالي فقط من المتوسط ، وقد تتوحد افريقيا الشمالية او تكون معادية جزئيا لاوروبا واذا تحقق هذا الفرض فسوف ترى اوروبا ولادة خطر عبر التاريخ . وفي مظاهر تختلف عن قرطاجنة الى الامبراطورية العربية(٨) .

وفي ضوء تصور هذه الاوضاع يرسم بوفر استراتيجيته فيرى انه من الممكن القضاء على التجزئة الاوروبية وتحقيق الوحدة ذلك انه من الممكن ان يلتقي الغرب المتجه الى الاقتصاد الاشتراكي والاتحاد السوفييتي المتبرجز على صيغ متقاربة انطلاقا من حلول متعارضة ويبقى فقط التنافر الديني الاساس ، وفي هذه الفرضية المتفائلة من الممكن ان تستعيد اوروبا طريق الوحدة تدريجيا ، غير ان هذا الامل في اوروبا الموحدة قد يصطدم باختلاف المصالح القومية وهو لن يتحقق إلا إذا تم ارساؤه على صيغ تحمي الكيانات القومية لفترة من الزمن ومن ثم فمن الممكن ان تكون الوحدة الاوروبية على غرار الوحدة السويسرية وبالنسبة للوضع في المتوسط فالاستراتيجية الفرنسية لا بد وان تقوم على

اساس ممارسة عمل منسق في هذه المنطقة الحيوية من العالم، واذا كان الوضع المعاصر قد فرض تحرر المتوسط فان الوصاية الاوروبية لا بد وان تستمر بأي صورة من الصور حتى ولو كانت في شكل اقتصادي او دبلوماسي وليس استعماري، واذا كانت الاستراتيجية القائمة بين القطبين هي استراتيجية الردع النووي او الشلل المتبادل بينهما فان هذا يعني وجود متسع لحرية العمل وهو ما ادى الى ظهور التيتوية والماوية الصينية الى جانب ظهور السياسة الفرنسية المستقلة التي تقوم بدور القائد في المنطقة فتدعو الى وحدة اوروبا وتحييد المتوسط وهو كل ما يخدم الامل الفرنسي العالق في الاذهان - الامبراطورية المتوسطية بقيادة الشعب الفرنسي - امبراطورية حققها الرومان فهل يعجز عن تحقيقها الفرنسيون؟

هـ- السياسة الفرنسية والوحدة المتوسطية بعد ١٩٧٣ :

لازالت فرنسا تعيش تحت المظلة الديجولية ، وقد اشار بومبيدو في اكثر من مناسبة الى اهمية المتوسط في التقاليد الفرنسية السياسية فالمصالح الفرنسية متنوعة والحضور الفرنسي قائم منذ القدم وسلام المنطقة لا يتحقق الا بخروج الاساطيل الروسية والاميركية منه فيصبح المتوسط بعد ذلك بحيرة اوروبية[٩] .

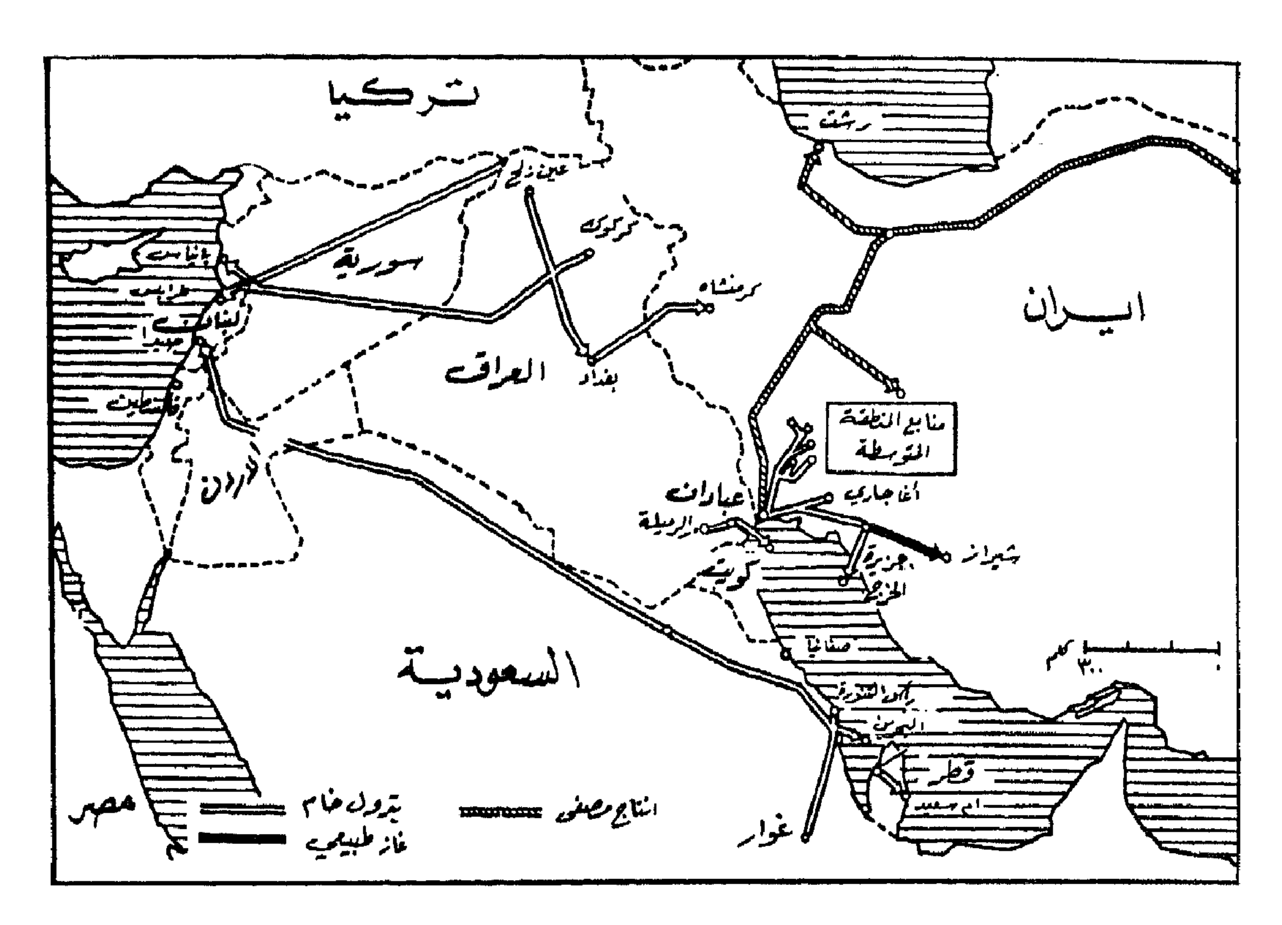
ومع التدعيم في امكانيات وقدرات الصناعة الفرنسية ومع ما حققته من ارتقاء ضخم في مستواها التكنولوجي نستطيع ان نفهم تلك المصالح المتنوعة في المتوسط لا سيما مع الدول العربية ، غير ان هذه المصالح تهددت ولا شك بالوجود الاسرائيلي في المنطقة وبالعداء القائم بينه وبين البلاد العربية وهو الذي دفع بالاخيرة ابان حرب اكتوبر الى رفع ثمن البترول وخفض الكمية المنتجة منه ، الامر الذي تبلورت في ضوئه السياسة الفرنسية بشكل واضح تجاه المنطقة ، وقد ادركت فرنسا انه اذا كان هناك اعتراف كامل باسرائيل في اوروبا فانه لضغط امريكي اي اعتراف اطلنطي . ومن الضروري تصور مخاطر تلك السياسة ليس فقط فيما يتعلق بالاستقلال الاستراتيجي والطاقي (Energitique) والذي يحكم الاستقلال السياسي ، ذلك ان فرنسا ترى ان مستقبلها الاقتصادي ومستقبل اوروبا كلها انما يعتمد على البترول العربي المتوسطي وليس على اليورانيوم الاطلنطي[١٠] .

غير انه من قبيل السذاجة السياسية ان يظن البعض ان فرنسا ترفض المساندة الاسرائيلية في سبيل مصالحها الاقتصادية فكثير من المتحكمين في الاقتصاد والمال الفرنسي من اصل يهودي ، ولكن كل ما هنالك ان فرنسا ترفض الضغط الاطلنطي للاعتراف باسرائيل ، هي تدرك تماما حق اسرائيل في الوجود وتؤمن بحقها في السلام ومطالبتها بالحماية الدولية الطبيعية لها . ولكنها ترفض الحماية الاطلنطية التي قد تدفع باسرائيل الى سلوك هجومي استفزازي انتحاري يضر بالمصالح الاقتصادية الاوروبية .

وقد اعتمدت السياسة الفرنسية على اداة ناجحة لتحقيق مصالحها الامنية والاقتصادية في المنطقة وهي الدعوة للحوار العربي الاوروبي ، فقد تزعمت الفكرة داخل الجماعة الاقتصادية الاوروبية وبدأت منذ ١٩٧٤ ببروكسل عملية التحرك الثابتة نحو تحقيق فكرة الحوار[١١] .

وفي الواقع فان اتجاه الجماعة الاقتصادية الاوروبية للحوار مع العالم العربي جاء نتيجة لتضامن عدة عوامل منها الاتجاه المتوسطي للجماعة والذي تمثل في توافر مجموعة من الخبرات التاريخية في العلاقات الاقتصادية خاصة بين الجماعة وعدد من الدولة العربية . منها ايضا حرب اكتوبر والتي كان من اهم آثارها التهديد لأمن الحدود الجنوبية لاوروبا نتيجة لنشوب العمليات العسكرية في الشرق الاوسط واستخدام سلاح البترول بوسائل مختلفة كالمقاطعة وخفض الانتاج ورفع الاسعار. تلك الآثار التي دفعت بأوروبا وتحت قيادة فرنسا للتحرك في عدة مستويات تتكامل فيما بينها بهدف تلافي هذه الآثار منهاوالتفاوض الجماعي مع العالم العربي من خلال الحوار.

ولكن إذا كانت فرنسا قد تزعمت فكرة الحوار بهدف تحقيق المصالح الاقتصادية الاوروبية والمحافظة على مصالحها الامنية بعيداً عن تدخل القوى العظمى ، الا يدفع هذا بعض



البترول العربي كان من الدوافع التي ساهمت في الحوار العربي الاوروبي .

المراقبين الدوليين الى التساؤل حول ما إذا كانت هذه التطلعات الفرنسية في المنطقة ستتصادم ام ستتوافق في المستقبل القريب مع الاهداف الامريكية ؟ واذا كان الاتجاه هو الصدام فالى اي حد من العنف يمكن ان يصل ؟

إن الاجابة على مثل هذه التساؤلات تتطلب فهما دقيقا لطبيعة العلاقات الاوروبية الامريكية تلك العلاقات التي تأرجحت بين عوامل التبعية والاستقلال فمن ناحية وجدت التبعية الاوروبية جذورها الاولى من الاوضاع الاقتصادية المتدهورة وحاجاتها الى اعادة بناء اقتصادها برؤوس اموال امريكية . ومن ناحية اخرى قاد التطور قوى سياسية مؤثرة في اوروبا ان تجد نفسها في موقع مقاومة السيطرة الامريكية مع عودة ديجول لفرنسا ورغبته في استقلال اوروبا مع التحسين المتزايد من المركز الاستراتيجي لدول اوروبا .

وفي ضوء عوامل الاستقلال ظهرت الدعوة لايجاد اوروبا الموحدة سياسيا والمستقلة وكان لا بد لاميركة ان تتخذ موقفا محدداً تجاه تلك الدعوة فأخذت تسعى الى الفصل بين مفهوم الوحدة والاستقلال حيث ترى ان الوحدة الاوروبية عملا مشروعا من اطار السيطرة الامريكية والعلاقة الخاصة بين اوروبا والولايات . وقد كان هناك قناعة فرنسية بان اوروبا الموحدة سياسيا لا يمكن ان تتحقق دون وجود قوة نووية اوروبية مستقلة وفعالة . وانه طالما لا توجد مثل هذه القوة فان الارتباط الاوروبي يظل اكيداً وذا مصلحة فعالة والمظلة الامريكية للسياسة الاوروبية هي حماية ضرورية لأمن اوروبا(١٢) .

حتى على المستوى الاقتصادي فان فرنسا تدرك تماما ومن خلفها اوروبا الغربية انه لا يمكن اتخاذ مواقف اقتصادية متعارضة مع الولايات المتحدة الاميركية لاعتبارات اهمها :

– ازمة الدولار سنة ١٩٧١ التي كانت بمثابة انذار لاوروبا للتخلي عن عنادها والاعتراف بقوة الوضع الامريكي .

– تغلغل الاستثمارات الامريكية في الاقتصاد الاوروبي .

ولكن اذا كان هذا هو موقف فرنسا من الحماية الاطلنطية فما معنى الدعوة للحوار العربي الاوروبي بعيداً ان تأثيرات القوى العظمى؟ وما معنى الدعوة لتحييد المتوسط؟ كيف نفسر هذا التناقض في السياسة الفرنسية؟

ان تفسير هذا التناقض يبدو في غاية البساطة في ضوء فهم طبيعة السياسة الامريكية وهي سياسة تقوم على مبدأ توزيع الادوار فقد ترحب امريكا بوجود الوحدة المتوسطية وقد ترحب بتزعم فرنسا لمثل هذه الدعوة في حدود لا تسمح بالخروج التام عن التحالف الاطلنطي وهي قد توافق على الوحدة المتوسطية إذا كانت لا تضر بالمصالح الامريكية في المنطقة وقد تغض النظر عن طبيعة الحوار العربي الاوروبي إذا كان لا يعني محاربة المصالح الامريكية في المنطقة. وهي فوق كل ذلك ترى ان فرنسا لن تخرج عن ولائها للولايات ولن تتراجع عن مساندتها في حالة قيام حرب نووية فكلاهما بحاجة الى وضع حد للنفوذ الروسي في المنطقة وكلاهما بحاجة الى استمرار الحصول على البترول بثمن معقول الامر الذي يصبح مشكوكاً فيه اذا تحكم الاتحاد السوفييتي في المنطقة. ومن مصلحة الولايات ان تشجع بناء قوة بحرية غربية ثانية في المحيط الهندي، يتم الوصول اليه عن طريق قناة السويس – حتى يتمكن لهاتين القوتين ان تخففا على قدر الامكان من الآثار السلبية الناتجة عن التزايد السوفييتي في المنطقة.

حقا قد توجد بعض التناقضات المتعلقة بمصالحهما في المنطقة مثل التغلغل في الاسواق وامتصاص القدرة الشرائية الفائضة لكنها لا يمكن ان تدفع الى تناقض سياسي بينهما.

الخلاصة:

ان فرنسا تدرك تماما ان الدعوة للوحدة المتوسطية لن ترى النور الا بضمانة امريكية، والولايات المتحدة تتبع دائماً مفهوم «المقعد الشاغر» في تعاملها مع اوروبا، هذا المقعد الذي يسمح بالمحافظة على الهياكل القائمة للتعاون المستقل بين اوروبا والولايات والذي قد يعطى الاحساس بوجود اوروبا المستقلة دون الاضرار بالمصالح الامريكية. وفرنسا هي خير من يتربع على هذا المقعد في الوقت الحاضر بحكم طبيعة العلاقات العربية الفرنسية. ■

---

(١) انس مصطفى كامل، دراسة عن المضمون السياسي للحوار العربي الاوروبي، ص ٤٩.

(٢) Michel Salomon, Mediteranee Rouge, 1970, P. 33

(٣) مما يثير العجب حقا، هو ان الشعب الروماني لم يتطلع الى البحر ابدا ولم يسع اليه فهم فلاحون ورعاة لم تترهم ابدا القوة البحرية على نقيض الشعب اليوناني.

(٤) Contre Belot, Le Destin De L'Eurose En Mediterannee, 1960, P 56

(٥) فريدريك هرتزل، القومية في التاريخ والسياسة ترجمة عبد الكريم احمد، ص ٢٨.

(٦) كثيرا ما تكرر ذلك في اقواله العامة ومراسلاته السياسية وسعى الى ان يحصل على التاج والشعار اللازمين لتتويجه.

(٧) اندريه بوفر، استراتيجية الردع النووي، ترجمة اكرم ديري، ص ١٣١.

(٨) يرى بوفر ان قلب العالم الثالث سوف ينبعث منه عمالقة كبار ما زالوا في مرحلة الطفولة مثل الصين والهند والوطن العربي.

(٩) Daniel Colard La Politique Mediteran eene De Pomipidou, Politique Etrangere (1978 N 3

(١٠) هو انتصار لأصحاب البترول على اصحاب الذرة، حيث ان في خلال العشرين سنة القادمة اكثر من ٧٠٪ من الطاقة سوف يكون عمادها الاساسي هو البترول وكل المنابع البترولية في يد العرب.

(١١) ذلك رغم معارضة بريطانيا الصامتة وتحفظها الذي يعكس السياسة الامريكية، واتخذت المجموعة الاوروبية قراراً يتضمن كثيراً من العناصر الايجابية في عملية الحوار سرعان ما لقى تجاوبا على الجانب العربي في اجتماع عقد لوزراء الخارجية العرب في تونس.

(١٢) توضع اوروبا في مصاف القوى الاقليمية وهو اتجاه وسط بين العالمية والمحلية وقصد به في ابسط معانيه ان يتجه التأثير السياسي لاوروبا الغربية الموحدة الى ثلاث مناطق خاصة بالنسبة لها: افريقيا جنوب الصحراء وساحل المتوسط والدول العربية ثم اوروبا الشرقية.

سلاح رهيب ساهم في هزيمة هتلر :

علم التنجيم



ترجمة :
محمد أمين فرشوخ

هل تؤمن بالتنجيم؟ وهل تؤمن بأن البروج واوضاع النجوم والكواكب في السماء هي التي تحدد مصيرك ومستقبلك؟ قد نتفق في الرأي وقد نختلف، ولكن شيئاً واحدا كان ثابتا في بداية الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩، وهو ان هتلر كان يؤمن ببروج الحظ وبأنه كان يستشير «نجومه» بواسطة خبراء علم التنجيم الالمان ليأخذ رأيهم في حملاته العسكرية الصاعقة التي سيطر فيها على اوروبا في السنوات الاولى للحرب سيطرة تامة.

ولكن هتلر، وقد اشهر سلاح التنجيم ضد الحلفاء، لم يكن يدري بأن «النجوم» لن تبقى الى جانبه حتى نهاية الحرب، بل انه لم يكن يدري - لان ذلك ربما اخفي عنه بأن النجم «زودياك» سيكون سبب هزيمته وسقوطه. فهل حاربت السماء هتلر فعلاً؟

حرب التنجيم:

بينما كانت الحرب في اوروبا تجري على اشدها عام ١٩٤٠، وجيوش المانيا الهتلرية تكتسح اوروبا الغربية وتمزق جيوشها شر ممزق كان يجري في لندن حديث من نوع غريب بين رجالات الدولة من عسكريين ومدنيين.

- «هل هذا صحيح - بأن قسما خاصا بالتنجيم قد انشئ في وزارة الدفاع، وان احد علماء التنجيم يدير شؤونه»؟. سأل احد الجنرالات البارزين محدثه انورين بيفن الخصم اللدود لتشرشل فأجاب:

- لا شك ان هذا الطفل الهرم قد اصبح مخبولا. (يقصد تشرشل)

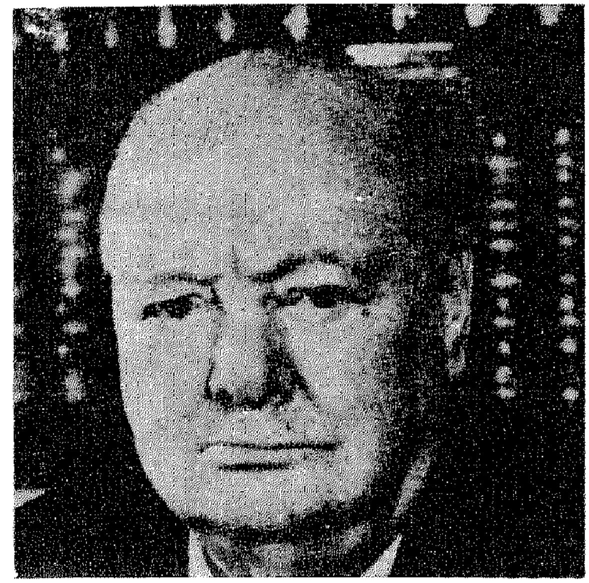
وهنا تدخل بينهما احد رجال السياسة المرموقين.

- «ان استخدام احد علماء التنجيم في مجلس الحرب قد يكون جنونا، ولكنني اعتبره خطرا محققا».

في الواقع، وخلال الحرب العالمية الثانية، ولاول مرة في التاريخ الحديث تنشب «حرب التنجيم».

كانت حجة تشرشل، على جانب من البساطة: هتلر يؤمن بعلم التنجيم، ووكالة الاستخبارات البريطانية قد تأكدت بأن الفورر كان محاطا بخمسة من علماء التنجيم على اقل تقدير، ونادرا ما كان يتخذ قراراته العسكرية دون استشارتهم. اذن معرفة ما يقولونه لهتلر سيكون مفيدا للحلفاء. اذن «لماذا لا نحاول؟» قال تشرشل، «سيكون ذلك طريفا».

بين منتصف ونهاية شهر ايار - مايو - ١٩٤١، ضوعفت الحراسة على كل مراكز خفر السواحل في الجزر البريطانية ومصابيح بطاريات المدفعية المضادة للطائرات تجوب السماء بحثا عن طائرات عدوة دون توقف، ومنع الفلاحون من العمل في اراضيهم القريبة من السواحل، خوفا من هجوم مفاجئ. وجرى التدقيق في الهويات في المرافئ الكبرى، مجموعات من رجال البوليس تبرز فجأة في مناطق الساحل: الهدف من كل ذلك: البحث عن رجال المظلات او عملاء سريين المان.



تشرشل

هذا الاضطراب الذي قلب حياة الجزر البريطانية سببه تصريح لرجل ذي قامة مديدة ومنكبين عريضين، يلبس بزة عسكرية جديدة برتبة كابتن في الجيش البريطاني، ويحمل نظارات ذات اطار اسود اللون، نظرته حادة، ولكن وجهه المملوء يوحي بطيبة القلب.

هذا الكابتن يقيم في شقة كبيرة من اوتيل «كروسفينر» تحمل الرقم (أ ٠٥٥) وكان مديرا لقسم خاص جدا في وزارة الدفاع هو القسم المتعلق بعلم النجوم.

انه الكابتن لويس دو وول الذي يتقن اللغة الانكليزية ولكن بلكنة هنغارية. تلك كانت جنسيته الاصلية. وقد اختار العالم لويس معسكر الحلفاء والتجأ الى لندن عارضا خدماته وباحثا في احد العلوم التي يؤمن بها هتلر اشد الايمان: علم التنجيم.

من هو؟

ان حالة القلق والاضطراب التي عشتها بريطانيا في اواخر شهر ايار (مايو) تعود الى تحذير اطلقه وول في تقاريره اليومية ويقول «هتلر سيقوم بعملية انزال في جزيرة... هذا ما يقوله برج... يستحيل تحديد الجزيرة المقصودة بالغزو.

ان له كل الحظوظ المتوفرة للنجاح، لان مجموعة نجومه في وضع مناسب تماما،



لويس وول

جوبيتر، المريخ ونبتون تظهر في وضع جيد في برجه، هذا الانزال المنتظر سيحدث بين ٢٠ و٣١ ايار (مايو) ١٩٤١».

والواقع ان هذا التعاون الغريب بين وزارة الدفاع البريطانية، والاسطول البريطاني وهذا العالم المقيم في الغرفة أ٥٥٠ يعود الى حوالي سنة تقريبا (١٩٤٠).

فان بعض المقربين من وول يصفون اللقاء الذي تم بين اللاجئ الهنغاري (الذي هرب بسرعة من برلين عقب حكم الحزب النازي بينما كان غوبلز يحاول اقناعه بوضع خدماته في تصرف الحزب) وبين احد الموظفين البريطانيين الكبار في الاستخبارات، وقد تم اللقاء في احدى الشقق في لندن.

الضابط البريطاني كانت لديه تعليمات محددة، لذلك كان يتكلم بنبرة حادة، وبعد سماعه لعرض العالم الهنغاري قال:

– «السلطات البريطانية مهتمة بمعلوماتك التنجيمية، كم تطلب من اجل هذا العمل؟»

– لا شيء، اريد فقط ان ارتدي البزة العسكرية اخدم في صفوف الجيش البريطاني ضد هتلر.

– هذا مستحيل، القوانين المعمول بها تمنعنا من ان نجعل من اجنبي ضابطاً بريطانيا، ان جنسيتك هنغارية، ودولتك انضمت الى صفوف المحور، حتى وان لم تكن في حالة حرب مع بلدنا؟

– اذن، امنحني الجنسية البريطانية، يا كولونيل.

– مستحيل ايضا، القوانين البريطانية تمنع اية عملية تجنس خلال اوقات الحرب.

– في هذه الحالة، اطلب مليونا من الجنيهات الاسترلينية، لدى جداول البروج الفلكية (اوروسكوب) الخاصة بهتلر، واعلم جيدا كيف اقوم على تحليلها.

وهنا ساد الصمت، ولكن اخيرا، قرر رجل الاستخبارات البريطانية القبول:

– «اذا كان الامر كذلك، فسوف اسعى لجعلك ضابطا بريطانيا.

وهكذا كان..

ويقول العالم وول محددا دور النجوم السماوية: «ان كينتين رينولدز قد قال بشأن موضوع الحرب العالمية الثانية مشيرا الى شمول وول العالم كافة: «ان النجوم وحدها كانت على الحياد»، ولكنه كان مخطئا فالنجوم كانت مشتركة في الحرب بصورة فعلية ويتابع قوله. منذ عام ١٩٣٠ وانا مهتم بهذا الاعتقاد الغريب الذي يعود الى ستة آلاف سنة بأن هناك علاقة وثيقة بشكل من الاشكال بين اوضاع الاجسام السماوية وبين تصرفات وميول الانسان على الارض، فكان هدفي هو البحث عما اذا كان هناك «شيء ما» من هذا القبيل، لذلك عكفت على دراسة مختلف انظمة الابراج في المانيا، في الهند وفي بريطانيا لمدة سنوات عديدة.

مفتاح الحظ

في عام ١٩٣٥، «عرض علي مندوب ارسلته الحكومة الالمانية استخدام معرفتي في الابراج الفلكية ووضعها تحت تصرف الفورر، فطلبت فرصة للتفكير... ثم غادرت برلين مسرعا في اليوم التالي».

في المانيا، الجميع يعرفون ان هتلر كان يستخدم علم التنجيم، فقد كان احد المنجمين الهواة عام ١٩٢٣ قد حذره من ان يأتي بأي «عمل» هام في ذلك الخريف، فلم يستمع اليه


هتلر المؤمن بعلم الفلك

هتلر واشترك بالانقلاب الفاشل الذي حصل ضد الحكومة الالمانية، فاعتقل وسجن.

حول ايمان هتلر بالتنجيم، فانه كان يعتقد بأن الانسان في حياته يكون محظوظا اوْ لا يكون في بعض الفترات، وان علم التنجيم هو الذي يعطيه سر هذه الفترات، فاذن يجب وضع مخطط بالاعمال والقيام بها فقط حين تدله بروجه الفلكية بان الحظ الى جانبه، وتجدر الاشارة هنا الى ان هتلر كان معجبا بشخصية نابليون التارخية خاصة وان نابليون كان يؤمن ببرجه الفلكي.

بعد سنوات قليلة من وصول الفورر الى الحكم، اخذ العالم بأسره يتحدث عن مخطط عمل لهتلر، ولكن دون معرفة المبدأ الذي يقوم عليه هذا المخطط، لحظ الناس بأن اعماله الضخمة في اوروبا (قبل الحرب) كانت في تواريخ منظمة ووفق منهجية ظاهرة، بعض المراقبين لاحظوا ايضا ان تحركات هتلر تصادف بدء الشهر القمري بصورة ثابتة، ولكن في الواقع، فان عمل هتلر المستند الى بروجه الفلكية كان يعتمد على اعتبارات فلكية لم يكن يلعب فيها ظهور القمر الا دورا ثانويا.

وفي الواقع فان قاعدته الاساسية كانت:

«عند ظروف الحظ المؤاتية فلكيا نتحرك الى الامام، وعند الظروف السيئة فلكيا، نأخذ جانب الهدوء.»

وطبق هتلر هذه القاعدة في معظم اعماله، باستثناء مرة واحدة: في اول ايلول (سبتمبر) ١٩٣٩ عندما بدأ الحرب بغزو بولونيا وابراجه الفلكية لا تدل ان «الحظ» بجانبه، الا انه اعتمد على تأكيدات روبنتيروب من ان كل الدول الكبرى غير مستعدة لخوض الحرب من اجل بولونيا وان عامل الحظ قليل الاهمية في حرب ضد بلد واحد وضعيف مثلها.

علم الفلك ضد هتلر

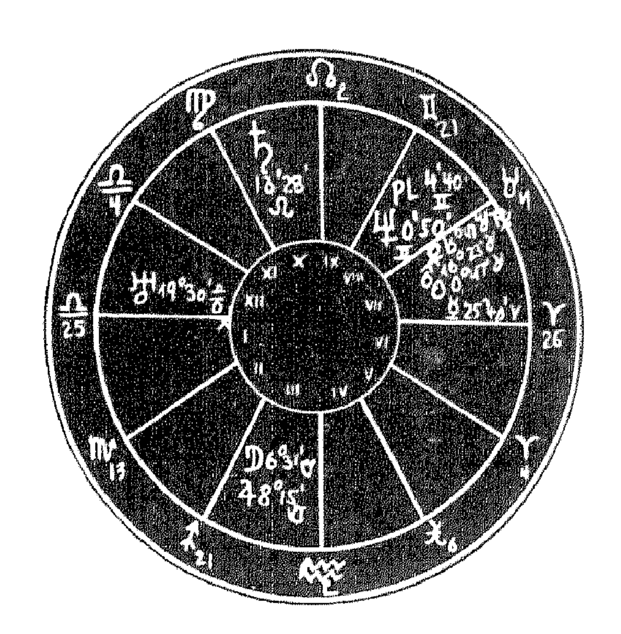
«لم اعرف بالضبط ماذا حصل لكبير علماء الفلك الالمان، ولكن ما اعرفه هو ان هتلر استدعى السويسري كارل كرافت، وهو اشهر علماء الفلك في اوروبا، الى برلين (يقول لويس وول) وقد عرفت ذلك في حزيران (يونيو) عام ١٩٤٠ خلال وجودي في لندن وبعد هربي من برلين.

في لندن قابل وول الوزير الروماني ف. ف. تيلايا واخبره بأن كارل كرافت سبق وكشف له عن بروجه الفلكية، وانه - اي الوزير - تلقى منه في الفترة الاخيرة رسالة سياسية مطولة بواسطة الحقيبة الدبلوماسية، وقر قرأها وول، وكان الاتفاق تاما بين الرجلين بأن هذه الرسالة ليست سوى احدى كمائن الدعاية النازية. ولكن ما يهم هو اما كرافت يخبره فيها ان الحكومة الالمانية استدعته الى برلين، وذهب الى حد انه الح بمعرفته شيئاً عن الخطط الحربية الالمانية.

«وفجأة، لمعت الفكرة في رأسي، بكل وضوحها، فتمتمت،» يقول وول للوزير: «يجب ان نستخدم علم التنجيم ضد هتلر، يجب ان نستدرجه الى الفخ، وبواسطة السلاح نفسه الذي يستخدمه».

وهنا ضحك الوزير تيلايا قائلا: «هل ستطلب من الجنرالات والاميرالات الانكليز ان يؤمنوا بعلم التنجيم»؟ اجاب وول بثقة:

لا، هذا ما سأقوله لهم: «ربما تظنون



بروج ونجوم هتلر الفلكية

انتم ان علم التنجيم هو هباء وعبارة عن اباطيل، او انه على الاقل ليس علما، ولكن هذا لا اهمية له البتة لان المهم هو ان هتلر نفسه يؤمن بأنه علم فعلماؤه حتما قد درسوا نجومه وبروجه الفلكية وحظه، وهذا قائم على اساس بحت من الرياضيات وصدف انني اعرف الشخص الذي درس بروجه، واعرف الاسلوب الذي اعتمده في ذلك، فاذا قمت بالعمليات الحسابية نفسها التي قام بها هو فاننا سنعرف بالتأكيد ما هي النصائح التي سيسديها الى هتلر، وهذا ولا شك سيكون نقطة ايجابية في صالحنا» فهل تعتقد بأنهم سيقبلون؟

فأجاب الوزير مؤكدا: انه منطق صائب، اعتقد انهم سيقبلون.

وقد «قبلوا» بالفعل، فقد قام تيلايا بتعريفي الى كبار المسؤولين البريطانيين الذين ناقشت واياهم هذه الفكرة، فتم تأسيس «مكتب الابحاث النفسية» الذي لم يكن يعمل فيه سوى شخص واحد، هو كابتن في الجيش الانكليزي ولم يكن من التابعية الانكليزية وهو لويس دو وول.

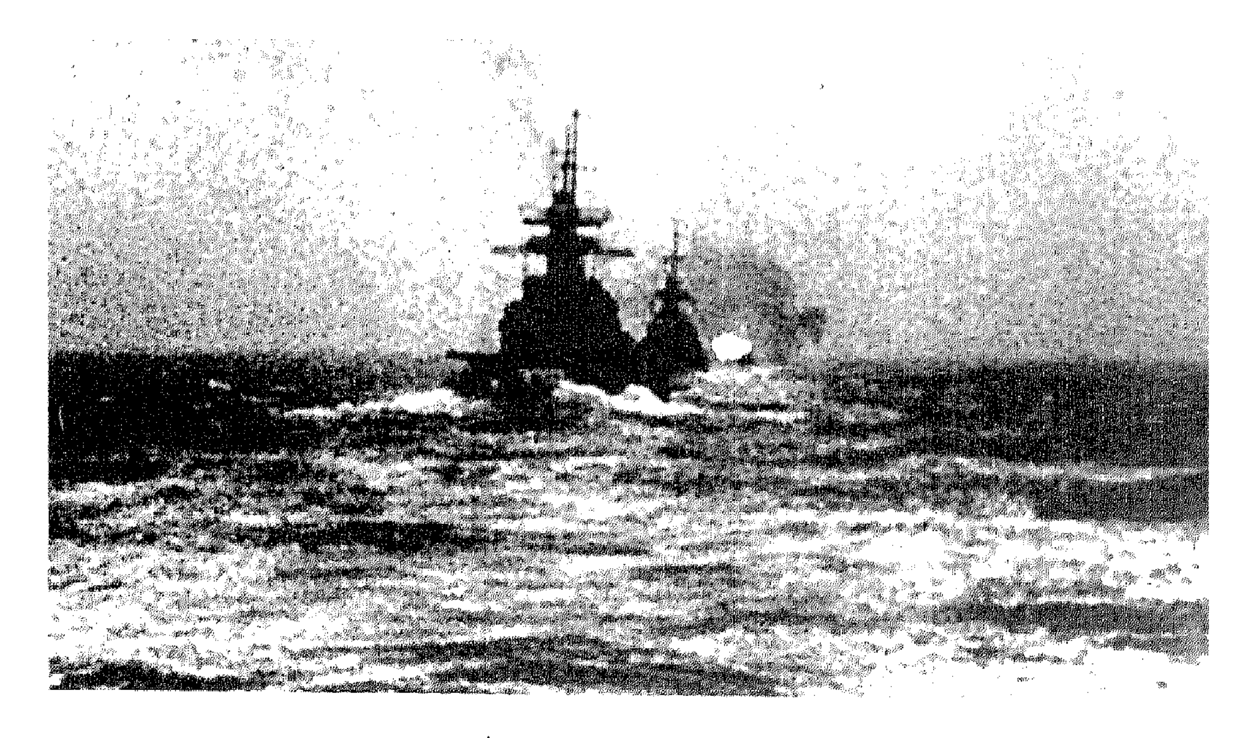
كان عمل المكتب المذكور يدخل في نطاق «الحرب النفسية»، وقد اعطى مسؤول الاستخبارات الانكليزية للعالم وول قوائم طويلة، بناء على طلبه، بأسماء وتواريخ ولادة جنرالات الجيش واميرالات البحرية الانكليز والايطاليين والالمان، لان هتلر لم يكن يتبع بروجه الفلكية الخاصة به فحسب بل كانت لديه معلومات عن البروج الفلكية لكل الشخصيات التي يعتبرها مهمة، وكان لا يكلف احد الجنرالات بقيادة جيش من الجيوش الالمانية الا حين يتأكد بأن بروج الحظ «ستواكبه» في المستقبل القريب، وكان بالامكان بهذه الطريقة التنبؤ اين ومتى سيجري الهجوم الالماني القادم.

ولكن، في نهاية عام ١٩٤٠، كانت المشكلة الكبرى غزو بريطانيا العظمى، فقد رفعت (يقول وول) الى رؤسائي تقارير في شهر ايلول (سبتمبر) ١٩٤٠ بأن بروج خط هتلر تفيد امكانية «نصر ساحق خلال هجومه على جزيرة» في اواخر شهر ايار (مايو) ١٩٤١. وهنا تكمن حدود علم البروج الفلكية: في صعوبة تحديد الجزيرة المقصودة بالغزو، ولكن هتلر لم يحاول اجتياح بريطانيا العظمى التي هي جزيرة.

في ايار (مايو) ١٩٤١، وطبيعي، يضيف وول، ان مستشار هتلر الفلكي قد وصل الى النتائج نفسها التي توصلت اليها انا، وطبيعي انه اخبر هتلر بذلك، ولكن في تلك الفترة كانت الجزيرة التي اجتاحها هتلر بنجاح هي.. جزيرة كريت.

في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٠، كنت اعد تقريري الشامل لعام ١٩٤١، وكان علي ان اقوم بتحليل البروج الفلكية لحوالي ٣٥٠ شخصية، وبعد ان القيت نظرة على الجداول وبالضبط ليوم ٢٧ آذار (مارس) يضاف اليها ان هذا اليوم يصادف بداية الشهر القمري الجديد، وقد تيقنت بان مستشار الفورر الفلكي لن يفلت منه هذا التاريخ كيوم ذي اهمية كبيرة بصفته واقعا تحت التأثير المزدوج للمريخ ونيتون (نيتون اله البحر لدى الرومان) فاستنتجت بأن معركة بحرية ضخمة قد يدور رحاها في ذلك اليوم.

تفحصت جيدا سجلات بروج الحظ لقواد الاساطيل في كل من المانيا وبريطانيا وايطاليا، ايهم هو (الاوفر حظا) في يوم ٢٧ اذار



(مارس)؟ ولم يكن من بينهم سوى واحد هو الاميرال سير اندرو كونينغهام، فعرفت ويعرف ايضا مستشار هتلر الفلكي بأن السير اندرو هو قائد الاسطول الانكليزي في المتوسط، الموجود في الاسكندرية، في مصر، فاذا كان لا بد لمعركة بحرية ان تقع، فانها حتما مع الاسطول الايطالي وليس مع الاسطول الالماني الموجود معظمه خارج المتوسط.

بروج الحظ الخاصة بالسير اندرو تبرز سمات «ايجابية» في حين ان بروج حظ الاميرايين الايطاليين كافا نياري وريكاردو تبرز سمات «سلبية»، وتحليلي النهائي للموضوع اظهر وجود علامات «ملائمة» في جداول فلك ملك انكلترا جورج السادس وتشرشل، وعلامات «غير ملائمة». في جداول ملك ايطاليا فيكتور عمانوئيل وموسوليني.

وفي ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٠ بعثت الى قيادة البحرية البريطانية بتقرير مفاده ان مستشار هتلر الفلكي سيقول لسيده بانه في ٢٧ اذار (مارس) سيكون للسير اندرو الحظ الاكبر بتوجيه ضربة ساحقة للاسطول الايطالي في المتوسط.

النبوءة... تتحقق.

«الحظ» كان عاملا اساسيا بالنسبة للانكليز في صراعهم ضد الايطاليين فالاسطول الايطالي كان بمعظمه يحوي قطعا سريعة الحركة، ربما من اجل تفادي صدامات غير مضمونة احيانا، وربما لانها تفتقر الى التسليح المناسب والكافي فكانت السرعة في الحالتين مفيدة للغاية، قطع الاسطول الايطالي كانت تحوي طرادات من نوع «فيتوريو فينيتو» التي تصل سرعتها الى ٣٠ عقدة، فكان الاميرال الانكليزي كونينغهام بحاجة الى حظ كبير لكي «يجابهها» بواسطة سفنه البطيئة والقديمة، فكان عليه والحال كذلك ان يظل في حالة تأهب دائمة وفي وضع قتالي مستمر.

ماذا سيفعل هتلر؟ لا ادري تماما، يقول وول، ففي يوم ٢٧ اذار (مارس) الصقت اذني بجهاز الراديو، لا شيء، يوم ٢٨، لا شيء ايضا، بدأت احدث نفسي عن جدوى ما اقوم به لدرجة انني ظننت نفسي طفلا امام عبقرية عالم البروج الفلكية مستشار هتلر.

في يوم ٢٩ اذار (مارس)، بدأت ضجة ما تبرز، وفي ٣٠ اذار (مارس) صدرت الصحف بعناوينها العريضة «كونينغهام يسحق الاسطول الايطالي في معركة ماتابان» كانت المعركة البحرية الاولى التي تجري في الليل، وفي الواقع فان الاسطول الايطالي قد كشفت مواقعه منذ ٢٧ اذار (مارس) بواسطة طائرات الاستكشاف .... ثلاث طرادات ايطالية تم اغراقها في حين لم يصب اي من سفينة كونينغهام ... وانتصر علم التنجيم، او قل علم التنجيم المضاد.

تنشر مجلة تاريخ العرب والعالم هذه القصة - الوثيقة كصورة من صور التاريخ للسلاطين العثمانيين من زاوية الحياة الشخصية، هذه الزاوية التي غالبا ما تغفل في التحليل التاريخي، تبرز في هذا العرض بأشكال تبدو غير مهمة، وسطحية... وبالرغم من ذلك يبقى فيها شيء من الطرافة وجزء من الحقيقة التاريخية التي قد تهم قطاعاً من القراء.

سيرة السلطان عبد الحميد

من نشرة وثائقية عربية صدرت في عدة اجزاء وبعنوان «عصر السلطان عبد الحميد ١٨٧٦-١٩٠٩»



من هو السلطان عبد الحميد؟

هو السلطان الرابع والثلاثون والخليفة السادس والعشرون من خلفاء بني عثمان وثاني انجال ساكن الجنان السلطان عبد المجيد خان ولد في ٢١ ايلول سنة ١٨٤٢ وتوفي في مدينة مغنيسيا من اعمال الاناضول في اثناء الحرب الكبرى في ١٠ شباط سنة ١٩١٨ فكانت مدة حكمه ٣٢ سنة، و ٥ اشهر و ٢٦ يوما ومدة حياته ٧٥ سنة و ٤ اشهر و١٩ يوما وهو من السلاطين العثمانيين القلائل الذين عمروا كثيرا وحكموا طويلا.

يعنى الغربيون في كتابة سير ملوكهم بقيد ملاحظاتهم عن تاريخ ملكهم في زمن طفولته وشبابه وانما يفعلون ذلك لانه يفيد في تعرف احواله ويساعد على تفهم حقيقة امره لان

القارئ إذا رافق الملك في طفولته وصباه ووقف على عاداته يستطيع ان يفهم فهما صحيحا حكمة تصرفاته في مقتبل الحياة كما يفهم الصديق صديقه والاخ اخاه وعلى هذه الخطة المثلى رأينا ان نسير في بحثنا هذا فتدون فيه ما اطلعنا عليه من الاخبار الموثوقة عن نشأته وطفولته .

وشخص عبد الحميد يكاد يكون تاريخاً مستقلا قائما بذاته جامعا في فصوله لأهم الوقائع التي تعاقبت على الامبراطورية العثمانية في ايامه فاننا بدراستنا شخصيته منذ اول نشأته والوقوف على حياته الخاصة نكون قد درسنا حياته السياسية ايضا واطلعنا في الوقت ذاته على احوال الدولة في عهده الذي استغرق ثلث قرن .

هل كان عبد الحميد مولودا غير شرعي ؟

لقد ذاعت اخبار متناقضة عن صحة نسب عبد الحميد فادعى البعض مستندين الى علائم واسارير وجهه انه من ابناء السلطان عبد المجيد غير الشرعيين فهو ثمرة غرام احد مستخدمي القصر الارمن فمنهم من قال ان اباه ارمني الجنس ومنهم من زعم ان امه هي الارمنية والصحيح انه من ابناء عبد المجيد غير الشرعيين من جارية معروفة تدعى (جاندير) توفيت بداء السل سنة ١٨٤٩ تاركة ابنها في السابعة من عمره .

وقد اتخذ الاحرار الذين فروا الى اوروبا وجاهدوا فيها في سبيل استرداد الدستور قبل اعلان الحرية بخمسة عشر عاما هذه الاخبار المتناقضة سلاحا بيدهم حاربوا به عبد الحميد فاذاعوها على صفحات الجرائد هناك وادعوا ان سلطانا مشبوه النسب لا تصح خلافته ولا شك في ان تلطيخ الاحرار سمعة سلطانهم بمثل هذه الشائعات في صحف الغرب عمل لا يشرفهم كثيرا .

وحنق السلطان عبد الحميد حنقا شديدا على مروجي هذه الشائعة وانزل العقاب الصارم بالمشتبهين في حقيقة نسبه داخل البلاد . اما المشتبهون في خارجها فلما كانت يده لا تصل اليهم اكتفى بالرد عليهم بنشرة في تقويم الدولة الرسمي السنوي (السالنامة) صورة فرمان ولادته الذي وجهه والده يوم ميلاده الى الصدر الاعظم في ذلك الزمان محمد رؤوف باشا حسب التقاليد المرعية عند السلاطين حين يرزقون اولادا . واستمر في نشر صورة هذا الفرمان في صدر التقويم الرسمي للدولة لمدة اثنتي عشرة سنة وهاك صورته :

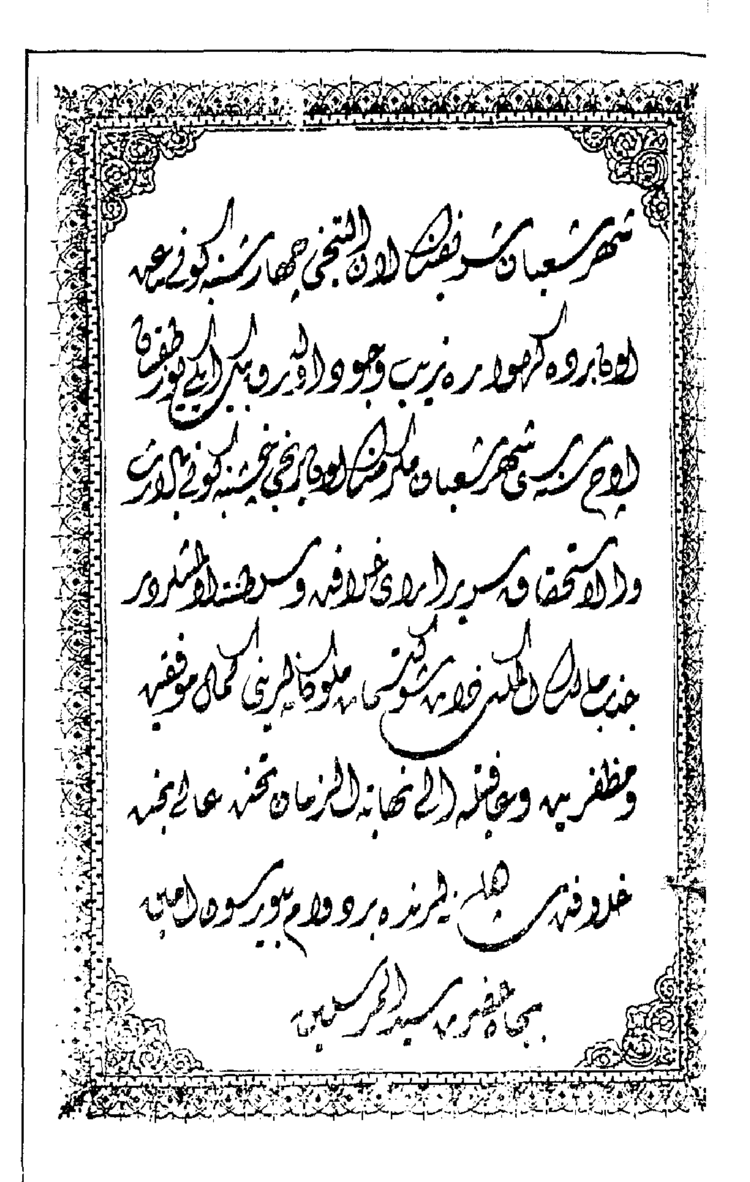
صورة فرمان ولادة السلطان عبد الحميد :

الى وزيري سمير الصداقة محمد رؤوف باشا :

« بعد حمد الله خالق البرايا على الطافه

الصفحتان الاولى والثانية من تقويم الدولة الرسمي السالنامة

وانعامه العالية نقول: لقد سطرنا خطنا الهمايوني هذا وسيرناه اليكم مع رئيس حرمنا الخاص حاملا لكم ولجميع عبيد سلطتنا السنية بشرى قدوم امير من صلبنا النقي الملكي وقد تبسم له ثغر الوجود امس يوم الخميس الواقع في السادس عشر من شهر شعبان الحالي حوالي الساعة الحادية عشرة فدعوناه السلطان (عبد الحميد) وانا نتضرع الى واجب الوجود ان يمد في حياته ويجعل قدومه على ذاتنا الشاهانية وعلى كافة عباده قدوم يمن وسعادة آمين. وعليكم بالايعاز الى من يلزم بشأن اطلاق المدافع في الاوقات الخمسة لمدة سبعة ايام لاذاعة هذه البشرى السعيدة على كافة الانام لكي ينالوا نصيبهم من هذه المسرة وعلى الوزراء الفخام وجميع رجالنا الصادقين وسائر الراغبين ايقاد القناديل والمصابيح في ليالي الايام المذكورة واقامة معالم الزينات ونسأل رب العالمين في الختام ان يديم سلالتنا الطاهرة الى الابد ويمن على عباده بالامن والرفاه بحرمة سيد رسول الثقلين».



كان يصدر دوماً بفرمان ولادة عبد الحميد.

عبد الحميد

كيف عامل عبد الحميد الام التي تبنته:

تقدم القول ان والدة عبد الحميد توفيت في ريعان الصبا بداء السل فتبنته زوجة عبد المجيد الثانية (برستو) خانم التي لم ترزق اولادا واحبت ربيبها حبا خالصا فتنازلت له عن ثروتها في حياتها وعاشت الى الايام الاخيرة من سلطنته وهي تلقب بلقب (والدة السلطان) غير ان هذه السيدة التي كان يحترمها جميع سكان القصر قابل عبد الحميد عطفها وحنانها بالجحود والنكران فاهانها مرارا واتهمها بوجود علائق غرامية غير مشروعه بينها وبين احد موظفي القصر واخبر السلطان عبد العزيز بذلك وازاء هذه التهمة الشنيعة عز على (برستو خانم) البقاء مع نجلها الذي تبنته فغادرته وانسحبت الى قصرها الكائن في (نشانطاش) إلا انها بعد مدة عادت وتصافت مع عبد الحميد وترددت الى قصره ولكنها بقيت ساكنة في قصرها بنشانطاش منذ جلوسه الى حين وفاتها.

لم يكن عبد الحميد ميالا الى الدرس والمطالعة في صغره فكان مربيه (كمال باشا)

واساتذته عمر افندي وشريف افندي وادهم باشا والمسيو غاردي ونامق باشا يشكون دائما من تلميذهم ويقدر ما كان اخوه الاكبر مراد افندي مجتهدا منكبا على الدرس كان عبد الحميد متهاونا، متكاسلا لا يعنى بامر دروسه ولهذا لم يتعلم لغته نفسها وبقيت املاؤه مشحونة بالاغلاط.

عبد المجيد يتشاءم من ولادة ابنه عبد الحميد:

كان عبد المجيد يكره ابنه عبد الحميد كرها شديدا ولم يعرف بالتأكيد سبب هذا الكره ويروى ان بشرى ولادة ابنه وصلته وهو في الحمام فلما اراد ان يكافئ الرسول المبشر ولم يجد شيئا معه لوجوده عاريا في تلك اللحظة تشاءم بهذا المولود وتنبأ ان ابنه هذا سيتولى في المستقبل العرش ولا يكون عهده سعيدا.

السارق:

ومن اغرب ما يروى عن الفتى عبد الحميد ان شقيقيه رشاد وكمال الدين كانا في احد الايام يلعبان مع اختهما السلطانة (سنية) في الجنينة فركضوا حتى اعياهم التعب فدخلوا إحدى قاعات القصر واستلقوا على الارائك الموضوعة في زواياها ليأخذوا نصيبهم من الراحة وإذا بالنعاس يتغلب على جفونهم فيغرقون في نوم عميق وكان اخوهم عبد الحميد على مقربة منهم يلاحظهم ويراقبهم فلما تيقن من نومهم دخل القاعة وهو يمشي مشية اللصوص وجرد اخته وشقيقيه من حليهم واخفاها في محل لا تصل اليها يد وقد اتهم الخصيان والخدم بالسرقة ولاقوا جزاءا صارما دون ان يبوح عبد الحميد بجرمه ولكن برستو خانم عثرت على الحلي المسروقة في إحدى خزائن ولدها الامير ولم تتجرأ على إعلام السلطان بالامر خوفا على الامير من غضبه. وانما اكتفت بتعنيفه تعنيفا شديدا فحقد على مربيته الخانم لاكتشافها جريمته وكانت برستو خانم تأمل ان يزول حقد الامير عليها مع الزمن ولكن عبد الحميد بقي حاقدا مدة طويلة ولما ترعرع قليلا رأى من حسن السياسة ان يستر شعوره الحقيقي لان مربيته كانت تتمتع بنفوذ لدى السلطان لذلك تجنب الحرب المكشوفة وتظاهر باللطف والكياسة فاكتسب بذلك رضاء والده الذي ظن ان ابنه وطد العزم على اصلاح ما اعوج من اخلاقه فراح يحيطه بضروب العناية غير ان الضغينة كانت قد تمكنت جذورها من قلب الامير الفتى.

اخلاقه وصفاته:

روى عنه المسيو (دوريس) في مؤلفه الذي وضعه عن حياة (عبد الحميد) الخاصة انه كان غلاما سقيما سكيتا يميل الى العزلة والانفراد يفرض رغائبه على الذين حوله كأنها قانون، بينه وبين اخوته واخواته فرق عظيم في الاخلاق والعادات فكان يتهرب دوما من اخوته لا يشاركهم في العابهم بل ينتحي ناحية ويأخذ في مراقبتهم وملاحظة ضحكهم ولهوهم بنظرات حزينة يتخللها في بعض الاحيان بريق يدل على الخوف والحذر.

وتألم عبد الحميد في طفولته كثيرا فكان مكروها منبوذا من والده واخوته وهذا الالم هو الذي جعل منه في المستقبل رجلا داهية ومع صغر سنه لم يخف عليه نفور والده منه فكان يقابل هذه البرودة من ابيه بقلب كالجليد محتفظا بكل شيء في قلبه. فالسلطان عبد المجيد والده كان يحيط بقية اولاده: مراد وهو البكر ورشاد وكمال الدين وجميلة وسنية ومديحة بالعناية الفائقة مقيما الدليل على اهتمامه الشديد بدروسهم وصحتهم وسعادتهم ما عدا عبد الحميد الذي كان يكرهه وينفر منه لسوء طباعه.

ويروى ان السلطان عبد المجيد كان في احد الايام يتناول الطعام مع اولاده فلاحظ ان ابنه عبد الحميد بعد فراغه من الاكل تناول قطعة البطيخ الباقية في صحن الاثمار وانطلق بها الى الخارج فتأثر السلطان من سلوك الامير الصغير وقطع كل امل في اصلاح هذا الابن دون ان يوبخه ولكنه خاطب (مهران دوزيك) الذي كان حاضرا في تلك الساعة في غرفة الطعام واقفا على قدميه وقال له: لست

بخائف على اولادي هؤلاء ولكنني خائف على ذاك - يريد عبد الحميد - لان احواله تدل على انه سينشأ شريرا وقد نفضت يدي منه منذ الان...

وتحدث السلطان عبد المجيد مرة الى نديمه (دلي بو غوص) عم (مهران بك) الآنف الذكر فشكا ميل ابنه عبد الحميد الى المكر والخداع ولما انبرى النديم الى الدفاع عن الامير الفتى واراد ان يبين للسلطان من طرف خفي ان ما يشكو منه ناجم عن حصره كل محبته ببقية اولاده وإهمال عبد الحميد اجابه السلطان: لقد اعياني امر هذا الغلام ثقوا بكلامي انه محتال عظيم لا يستحق الملاطفة ابدا.

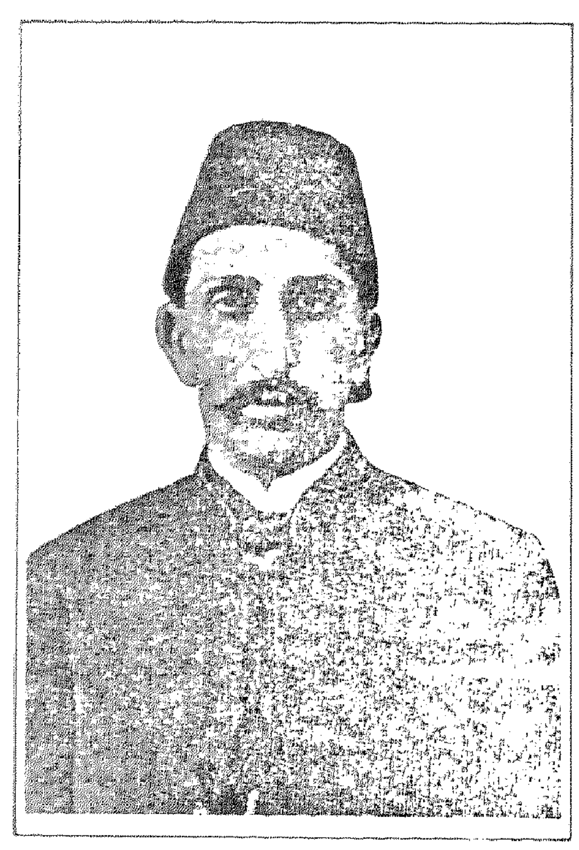
وموقف ابيه السلطان هذا ساعد على انماء ميول الامير المعوجة التي كانت تلقي تشجيعا آخر من حلم مربيته الثانية «ناوبك مثال» فكان يقضي الساعات الطوال ممددا على العشب في جنائن القصر مصوبا عيونه نحو الغيوم التائهة مستعيدا بمرارة ما يعتور حياته اليومية من شجون واكدار وكان يردد دائما هذه العبارة «سأجعلهم يدفعون الثمن غاليا» «سأريهم»! وفي هذه السن التي لا يفكر فيها الطفل بغير لهوه وسروره كان عبد الحميد يفكر بالحقد والانتقام.

كما ان نجاح اخيه مراد في دروسه وثناء الاساتذة عليه كانا يثيران في نفسه حسدا شديدا ولم يكن ذكاء عبد الحميد بأقل من ذكاء اخيه مراد ولكنه كان يصرفه في غير الدرس والمطالعة.

وقبل ان يتم الخامسة عشرة من عمره حدث له حادث كان له الاثر الحاسم في حياته وتفصيله:

انه بينما كان راجعا من نزهة برفقة معلمه تقدمت منه في باب القصر عرافة غجرية عرضت عليه ان تكشف له عن مستقبله فدفعها عنه بيده وحاول الاستمرار في السير ولكن الغجرية تمسكت بتلك اليد وقبلتها قائلة: انني احيي فيك سلطان المستقبل!

سر عبد الحميد لكلامها ونفحها بدينار وطلب اليها ان تستمر في كلامها وهنا لمعت عينا



الامير عبد الحميد افندي ولي العهد.

العرافة الواسعتين واخذت يد الامير بين يديها ثم تطلعت الى وجهه كمن يقرا شيئا على جبينه وقالت:

انني ارى العدد الكثير من الاموات، ثم جدارا عاليا تتسلقه فيخلو لك الميدان وسيكون المجد حليفك إذا استطعت تحدي من يلف حولك.

وهنا تدخل المعلم وطردها بقوله انك تقصين اشياء سخيفة فانحنت بخضوع وتواضع وتمتمت: لا شيء يستطيع تحويل ما خطه القدر فما كتب قد كتب..

سار عبد الحميد وراء معلمه وقد اطرق مفكرا: يا لها من نبوءة سعيدة ايصبح هو السلطان! اضاء الافق حوله فجأة وجعل يردد عبارته «سأريهم جميعا عندئذ».

مواقف الغير منه:

قلنا ان الفتى عبد الحميد كان مكروها من اخوته غير ان اخاه مراد افندي المطبوع

على الشهامة وكرم الاخلاق لم يكن يحقد عليه ابدا بل كان يعامله برفق ويوصي بقية اخوته ايضا ان يعاملوه بلطف وعطف .

ولم يكن هنالك من يحب عبد الحميد في القصر او يعطف عليه سوى امراة طاعنة في السن وهذه الامراة كانت والدة السلطان عبد العزيز (برتونيال خانم) التي عرفت بشدة تعصبها وبميلها الى الخرافات السخيفة والاعتقادات الباطلة وقد وجدت عبد الحميد قريبا الى عقليتها وطباعها فعطفت عليه وانقلب هذا العطف الى محبة شديدة توثقت عراها بينهما مع الايام ومنذ تعرّف عبد الحميد الفتى على صديقته العجوز انقلبت حياته من طور الى طور وكأنه خلق من جديد فأخذ يتردد عليها ويقضي الليالي والساعات الطوال ساهرا عندها وفي خلال هذه الزيارات المتواصلة وقف على اسرار السحر والطلمسات وعلم التنجيم .

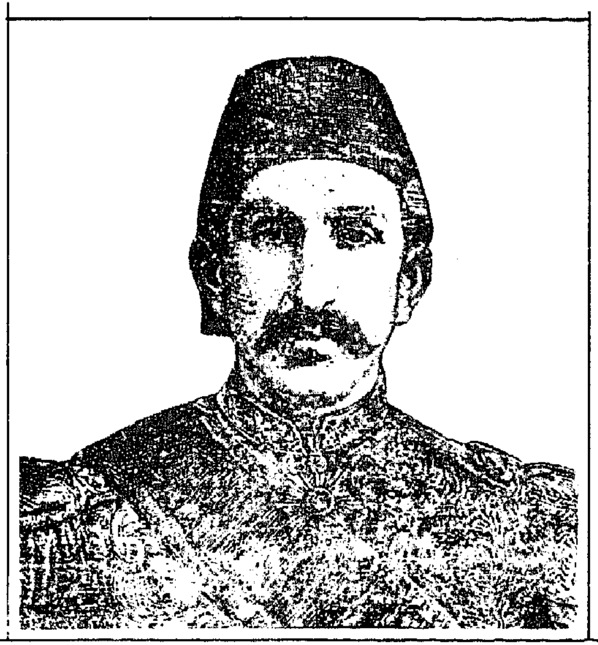
عبد الحميد الشاب :

كان عبد الحميد في التاسعة عشرة من عمره يوم توفي والده وارتقى العرش من بعده عمه عبد العزيز سنة (١٨٦١) واصبح مراد وليا للعهد فجعل السلطان الجديد يبعده عن المجتمع بقدر الامكان ثم شدد الرقابة عليه خوفا من خطره كما ذكرنا في حينه .

اما عبد الحميد فكان على النقيض من ذلك يتمتع بالشيء الكثير من الحرية فقد تمكن بما عرف عنه من الدهاء من اكتساب ثقة عمه عبد العزيز حتى عهد اليه بالتجسس على اخيه مراد .

وكان مراد يعطف عطفا خاصا على عبد الحميد ويشعر نحوه بحب اكيد لم يخامره شك في نوايا اخيه لذلك كان يستقبله دوما ويباحثه في كثير من الشؤون دون ان يخفي عنه شيئا من ميوله الحرة فكان عبد الحميد يتلقى هذه الاخبار وينقلها الى عبد العزيز حرفيا فيغدق هذا عليه بالهدايا والصلات ويستزيده منها .

لم ينفك عبد الحميد عن التفكير بمجده العتيد منذ ان انبأته العرافة الغجرية على ابواب سراي طولمة باغجة بأنه سيعتلي العرش



السلطان عبد الحميد الشاب بعد ارتقائه العرش

يوما ما وبما انه استعذب كلام المنجمة طفق يستشير العرافين والمنجمين وجميع هؤلاء اجمعوا على انه سيصبح يوما ما السلطان القاهر المطاع ويدوم حكمه عهدا طويلا .

اشتدت فيه رغبة الحكم بعد هذه التنبؤات التي وافقت مزاجه وارتاح اليها كثيرا فأخذ يكثر من التفتيش على مهرة المنجمين واستطلاع رأيهم في ايامه المقبلة وما زال كذلك حتى توفق الى التعرف على منجم مشهور يدعى الشيخ عبد الرحمن السين .

عبد الرحمن السين !

هو شيخ هرم كان في زمانه اشهر المنجمين على الاطلاق استقدمه عبد الحميد من جزيرة قبرص وكان ساكنا فيها لاستطلاع رأيه في مستقبله وقد توصل اليه بواسطة نجيب باشا احد وزراء الدولة في ايام السلطان عبد العزيز ولهذا الشيخ حكاية مع نجيب باشا لا بأس من ايرادها فقد حدث مرة ان السلطان غضب على الوزير نجيب باشا وامر بنفيه الى جزيرة قبرص وهناك التقى الباشا المغضوب عليه بالشيخ عبد الرحمن فتنبأ له الشيخ بالعفو العاجل وبالعودة الى بيته وقد صدقت نبوءته وعاد الباشا الى الآستانة واخذ يمدح الشيخ

عبد الرحمن حتى اتصل خبره بعبد الحميد فاستقدمه كما تقدم القول.

وفي احد الايام ذكر الشيخ عبد الرحمن هذا لعبد الحميد انه سيصبح سلطانا في القريب العاجل باذن الله فاعترض عليه عبد الحميد قائلا: ان هذه النبوءة بعيدة التصديق لان عمي عبد العزيز الجالس على العرش لا يزال في مقتبل حياته وولي عهده اخي مراد حي بعد يتمتع بعافية جيدة ولكن الشيخ اصر على قوله وصرح انه يشعر بقوة خفية تدفعه الى تأكيد هذه النبوءة ولا بد ان تتحقق.

دار الزمان دورته واذا بعبد الحميد يجلس على العرش فتذكر إذ ذاك شيخه المنجم عبد الرحمن السين واراد ان يكافئه فاستقدمه الى القصر وانعم عليه بالصلات السنية واخذ يستشيره في كل امر يقدم عليه.

عبد الحميد يدس الطلاسم في معطف اخيه:

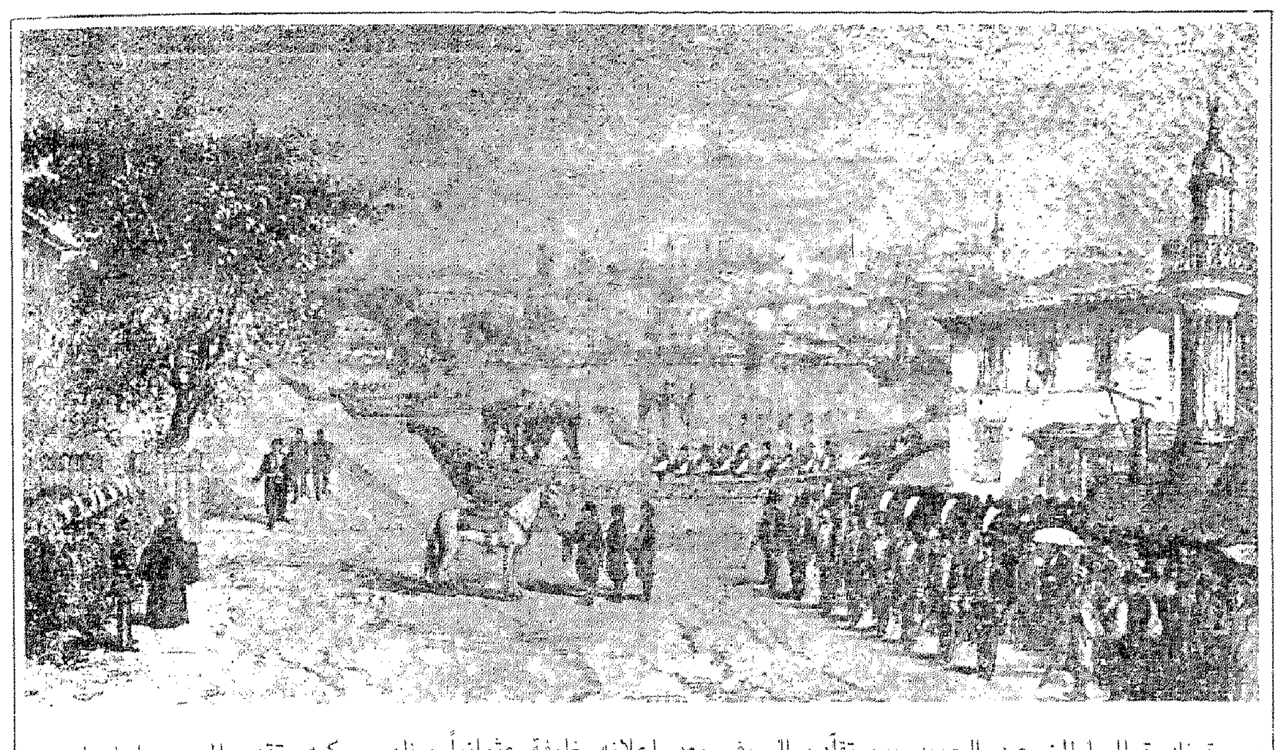
كان للمنجمين تأثير كبير على عبد الحميد ولما اسند العرش الى اخيه السلطان مراد إنصرف الى عمل الطلاسم السحرية قصد إسقاطه عن العرش وهناك من يؤكد ان عبد الحميد اصطنع تمثالا صغيرا من الشمع لاخيه مراد وغرز فيه الابر بيده وزاد على هذا المسيو دوريس انه اوصى الخياط الارمني جمبزيان بعمل معطف ولما انتهت خياطته اخذه الى المنجمين والسحرة وبعد ان دسوا فيه الطلاسم امام عينيه وقرأوا عليه انواع القراءات السحرية قدمه هدية الى اخيه السلطان مراد!

بخله في شبابه:

نشأ عبد الحميد بخيلا يحب المال كثيرا فأحسن إدارة املاكه ومزارعه وعرف كيف يتصرف بمواردها ولهذا لم يضطر الى الاستدانة من احد خلافا لبقية الامراء الذين كانوا مدينين لهذا او ذاك. فقد كان يناظر املاكه ويضبط حساباتها بنفسه ويلاحظ النفقات بدقة زائدة ويعتني ببيع غلال مزارعه ومنتوجات مواشيه في الاسواق بأسعار حسنة مراقبا مراقبة دقيقة كل ما يتعلق بموارد املاكه. ولم يحدث ان جازف بمبلغ من ماله مهما كان ضئيلا بل كان يحرص على ثروته قانعا بعيش بسيط لا يجود بالمال إلا لدفع خطر يهدد حياته وقد حدث مرة ان رئيس خدامه موسى آغا اعطى من قن الدجاج مقداراً من البيض الى دائرة حرم الامير مراد فانتهره عبد الحميد انتهارا شديدا على فعلته هذه وطرد في احد الايام خادما من خدمه لانه سبب ضياع بضع دجاجات من قن القصر وضرب مرة حلاب غنمه ضربا موجعا لارتكابه خطأ في حساب الحليب ادى الى ضياع بعض الدريهمات من اصل الحساب!

وكيل خرجه الالماني:

وكان وكيل خرجه رجلا الماني الجنس يدعى كارل باتسن وقد دخل هذا الشخص الى قصر عبد الحميد في بادئ امره عاملا بسيطا في معمل النجارة ولكن الحظ ساعده فاخذ يتقرب من عبد الحميد ويتودد اليه حتى نال حظوة في عينيه واصبح من الاشخاص المقربين الذين لهم شأن يذكر في القصر ويقال ان كارل هذا هو الذي رغب سيده في صناعة النجارة حتى بات شغوفا بها يقضي الساعات الطويلة من نهاره في معملها. ولم يكتسب كارل ثقة سيده ويبلغ هذه المنزلة التي بلغها في مدة قصيرة إلا بفضل اقتصاده وحسن تدبيره وهما خلتان كان عبد الحميد يقدر صاحبهما. وقد رفع عبد الحميد هذا الالماني الدخيل من عامل بسيط في معمل النجارة الى رئاسة المعمل وعينه فضلا عن هذا وكيلا لخرجه لشدة اعتماده عليه. وكان يعهد اليه من حين الى آخر ببعض المهام فيقوم بها خير قيام على منوال يوجب إرتياح سيده وقد رغب فيه عبد الحميد اكثر ما يكون لابتياعه الحاجات من جنسها الفاخر باسعار معتدلة للغاية ولهذا فوضه بشراء لوازم القصر فاثبت كارل في مواقف عديدة انه جدير بالثقة التي وضعها فيه معلمه عبد الحميد وما زال نفوذه في ازدياد يوما بعد يوم حتى توثقت الصلات بينه وبين سيده وبات من الاشخاص الذين لا يمكن لعبد الحميد ان يعيش بدونهم وكان سيده مرتاحا جد الارتياح لحصوله على هذا العامل



صورة نادرة للسلطان عبد الحميد يوم تقلّده السيف بعد اعلانه خليفة عثمانياً ويظهر موكبه يتقدم إلى « ساحل ايوب »

الامين فخصص له دائرة خاصة في القصر وعين له مركبة وفي احد الايام سر منه غاية السرور لشرائه حاجة نفيسة بثمن بخس للغاية ففتح خزانة كانت بجانبه واخرج منها حلة ثياب فاخرة انعم بها على كارل وكيل خرجه المحبوب .

شغفه بجمع الاسلحة القديمة :

اشتهر عبد الحميد في شبابه بمهارته في استعمال السيف والعاب الفروسية وببراعته في الرياضة البدنية ولم يكن جميلا في شبابه حتى ان اناسا كانوا يلقبونه بصاحب الانف الكبير وكان شغوفا بالحيوانات الاليفة لا سيما الطيور منها وكثيرا ما صرف ساعات في ملاعبة احد طيوره . وعني في اخريات ايام شبابه باقتناء مجموعة نفيسة لانواع الفراش وندر ان يترك فرصة تفوته دون ان يغتنمها لاقتناء الاسلحة القديمة وقد انشأ من مجموعة هذه الاسلحة متحفا صغيرا هاما في احد قصوره .

انغماسه في الملذات :

ولما بلغ دور الشباب اندفع كغيره من امراء القصر وراء المسكرات والملذات وقضى حياة مليئة من انواع التهتك والفسق في اشهر احياء الآستانة على مرأى من الناس مع عشرائه اولاد الباشوات وكانت حالته إذ ذاك اشبه بحالة المتشردين لا يفكر إلا في اشباع شهواته . ولكن طبيبه الخاص (ماوروباني باشا) لما لاحظ ما آلت اليه صحة الامير من التأخر والانحطاط من جراء انغماسه في حياة الفجور نهاه وحذره من الاستمرار على هذه الحال مبينا له العاقبة الوخيمة التي تنتظره إذا هو لم يرتدع عن سلوكه فرجع عبد الحميد الى نفسه وعمل بنصيحة طبيبه وتاب توبة حقيقية بتغييره فجأة طراز معيشته فقد انقطع عن المسكرات والملذات التي انهكت قواه واعتنق حياة جديدة شعارها القناعة والزهد والبساطة في العيش . وانقلب على اثر هذه التوبة الى تقي ورع فأخذ يكثر من التردد على الشيوخ والعلماء ويباحثهم في مسائل العقائد والدين .

وقد حدث هذا الانقلاب في حياته في اثناء خلع عمه وكان يقيم إذ ذاك في مصيفه الكائن في (طرابيه) مع زوجته وابنه البالغ من العمر ست سنوات وابنته الصغيرة التي لم يكن لها من العمر سوى ثلاث سنوات لا يعاشر من

نساء القصر الكثيرات سوى جارية واحدة عدا زوجته ولما اشتد المرض على اخيه السلطان مراد وبدأت المفاوضات تدور بينه وبين الوزراء حول اسناد العرش اليه انتقل الى قصره الكائن في (مصلق) ليتمكن من استقبال زواره بحفاوة اعظم .

قلنا ان عبد الحميد كان طفلا نحيلا سقيما لان والدته توفيت بمرض السل وكذلك والده كان مصابا بهذا الداء الخبيث وان قالت النشرة الرسمية يوم وفاته ان الموت نشأ عن نزلة صدرية وبفضل عناية (برستو خانم) المتسمرة وتدابيرها كأم حنون ابعدت ذلك الداء الخبيث عن الطفل النحيل المودع الى عطفها وحنانها ومن اجله رفضت الاقتران بالسلطان عبد العزيز بعد وفاة عبد المجيد مفضلة ان تصرف اوقاتها في العناية به .

ميل عبد الحميد الى العلم وهو شاب :

ذكرنا ان عبد الحميد لم يتعلم في صغره ولكنه بعد عودته من اوروبا زادت رغبته في العلم فأحب من فروعه الجغرافيا وفن تخطيط البلدان والمساحات واجتمع لديه مجموعة جميلة من المصورات البديعة الوضع وكان يحب الرسوم الجميلة ويزين بها جدران غرفته الخاصة .

اوصاف عبد الحميد الخلقية والجسدية :

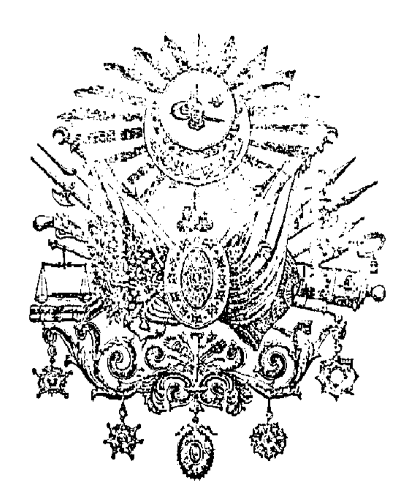
لم يكن عبد الحميد يشبه اباه في الملامح والهيئة فقد كانت هيئته غريبة عنه تختلف اختلافا كليا عن هيئة الجنس التركي المعروف وفي وسعنا ان نحصر اوصافه الجسدية في العبارات الآتية :

عبد الحميد رجل مزاجه عصبي صفراوي معتدل القامة نحيف البنية يكاد يكون كتلة من الاعصاب اسمر اللون اسود العينين فاحم اللحية وكثيفها طويل الوجه والاذنين صغير القدمين انفه كبير منحني من الوسط منحرف انحرافا قليلا الى الجهة اليسرى محدودب الظهر كبير الفم متفرق الاسنان شفته السفلى اقوى من العليا وفي وسطها شق ظاهر يختلف حاجبه الايسر عن الايمن بارتفاعه قليلا وباستدارته يداه نحيفتان جافتان إذا تناول ورقة بيده شوهدت مرتجفة صوته رنان جذاب لهجته شديدة نظره نافذ كالمثقب . رجلاه صغيرتان اشبه بأرجل النساء .

هذه هي اوصاف عبد الحميد الجسدية بقي علينا ان نعرف اوصافه الخلقية . جمع عبد الحميد في شخصه شيئا كثيرا من التناقضات حتى اصبح لغزا من الالغاز قال احد ندمائه المقربين الذين عاشروه زمنا طويلا لم اتمكن حتى الان من فهم شخصية عبد الحميد فهو ذكي وجاهل وشجاع وجبان وعاقل ومجنون في وقت واحد على ان الاوصاف الغالبة فيه هي :

دهاء مفرط ، ذكاء خارق ، اعتقاد شديد بالقضاء والقدر ، وقد كان لهذا الاعتقاد التأثير العظيم في مختلف نواحي حياته ، حذر شديد ، تبصر في عواقب الامور ، والاعتزاز بكثرة الخدم وبهرجة الملك ، حب البساطة في عيشته الشخصية ، الميل الى التحري عن الحقيقة التقلب في الافكار ، الانتقال السريع في التصورات ، الحزن العميق ، تعظيم الامور التافهة الزهيدة ، مقت الحروب ، كره اللون الاحمر ، النكث بالمواعيد ، العناد وحب الانتقام ، تنازع البخل والكرم ، الانقياد الى الهواجس الاهتمام بمعرفة كل ما يقال عنه ، سرعة الكلام ، حسن الاصغاء ، قدرة فائقة على الاقناع ، الحرص الشديد على الحياة ، حب العمل واستيعاب الامور بلمحة سريعة .

وبالجملة فان عبد الحميد كان ذا رهبة لا يستطيع الجالس في حضرته الا ان يتهيب ويخاف . ■





كتب وردتنا

حرية الصحافة في لبنان

منذ العهد العثماني حتى اليوم

محمد أبو مرعي

رئيس دائرة الصحافة في وزارة الاعلام

قدم لهذا الكتاب القيم نقيب الصحافة الاستاذ رياض طه بقوله: «هذا الكتاب، على ما اعلم، هو الاول من نوعه. لا في موضوعه فحسب، بل كذلك في السبيل الذي سلكه الاستاذ محمد ابو مرعي نحو معالجة ذلك الموضوع. فهو دراسة «قانونية مقارنة» تناول فيها حرية الاصدار وحرية النشر، في فصول متعددة، وعرض في كل منها بالتفصيل شروط الاصدار وشروط النشر وما يترتب عليها من حقوق وواجبات، معالجا حرية الصحافة وحرية الصحافي، في اطار القوانين اللبنانية، منذ العهد العثماني حتى اليوم» اما الاستاذ محمد ابو مرعي فقد اهدى كتابه:

الى كل صحافي يتقي الله في مهنته، فلا يخط قلمه الا الكلمة التي يختار مما يترسخ في ذهنه وقناعته، ليبقى هذا العلم، كما اراده الله جل شأنه، وسيلته «لتعليم الانسان ما لم يعلم».

وفي المقدمة يؤكد المؤلف بأن حكاية الصحافة في لبنان مع الحرية ليست ابدا بالحكاية المستجدة. انها قديمة قدم نشأة هذه الصحافة بحيث لم تكن حقبة من حقبات تاريخها الحافل لتقدم رواية فصل من فصولها... تارة بصوت خافت يكاد لا يسمعه الا من يعاني ويكابد، يوم كانت تغلب على امرها، فتخار قوتها ويهن منها العزم الى حين.. وطورا بصخب وجلبة يتردد صداهما على اكثر من صعيد، يوم تعاود بأسها، ويتهافت الكثيرون على «خطب» ودها والتقرب اليها رغبة او رهبة..

كتاب الاستاذ محمد ابو مرعي كتاب قيم يقع في ٤٧٠ صفحة والسعر ٤٠ ل. ل...

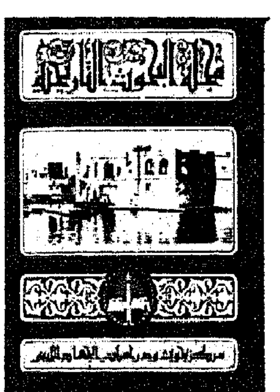
مجلة البحوث التاريخية

وصلنا العدد الاخير من «مجلة البحوث التاريخية» (السنة الثانية – العدد الاول – يناير ١٩٨٠) التي تصدر عن «مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية».

في الافتتاحية التي كتبها الدكتور محمد الطاهر الجراري، رئيس التحرير، تأكيد بأن المجلة لم تحقق بعد جميع اهدافها.. ولكن هناك اصرار وتصميم من ناحية اخرى على الاستمرار وعلى رفض التبعية الفكرية الخانقة. وفي صفحة محتويات العدد نجد الكثير من الدراسات التاريخية القيمة منها:

● مجلس الادارة في ليبيا في العهد العثماني : عبد الله علي ابراهيم .

● ظروف وابعاد امتداد الادارة العثمانية الجديدة لغدامس سنة ١٨٤٢ كما ترويها رسالة غدامسية : حبيب وداعة الحسناوي .



● ليبيا من خلال كتابي اليعقوبي التاريخ والبلدان في القرن الثالث الهجري : احمد الياس حسين .

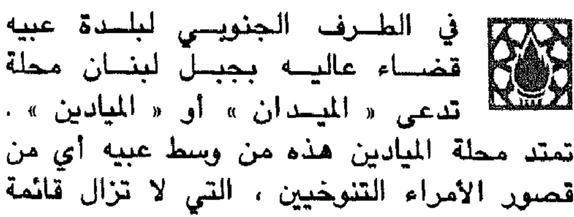
● إمارة عربية اندلسية في جزيرة اقريطش (كريت) : د . امين الطيبي .

● الحياة الفكرية في العالم الاسلامي في القرن الثاني عشر هجري (١٧٠٠ – ١٨٠٠) م : د . م . منعم مزاوي .

● الصلات التاريخية والحضارية للعرب قبل الاسلام : د . عدنان يوسف اسكيك .

● وهناك بالاضافة الى هذه الدراسات باب مراجعات الكتب وباب اخبار المركز واخبار المؤتمرات العالمية ، واخيرا المراجع او « البيبليوغرافيا » المغربية وقوائم الكتب المنشورة باللغتين العربية والاجنبية خلال الاعوام ١٩٧٠ – ١٩٧٩ .

نتمنى للزميلة « مجلة البحوث التاريخية » كل تقدم ونجاح لتستطيع تأدية رسالتها القومية . ■



ميدان الأمير فوارس التنوخي في عبيه يشهد مختلف ضروب الفروسية

شوقي نسيب الحلبي

في الطرف الجنوبي لبلدة عبيه قضاء عاليه بجبل لبنان محلة تدعى « الميدان » أو « الميادين » . تمتد محلة الميادين هذه من وسط عبيه أي من قصور الأمراء التنوخيين ، التي لا تزال قائمة عامرة إلى يومنا هذا ، إلى حدود بلدة عبيه الجنوبية حيث مدخل بلدة كفر متى الشمالي والتي يفصلها عن البلدتين ساقية ماء تدعى « ساقية الحد » .

وكانت للميادين شهرة واسعة منذ عهد الأمراء التنوخيين الذين انشأوها إلى أيام الأسرة النكدية العريقة حيث كانت ملعباً لفرسانهم وحلبة لأبطالهم يمارسون فيها مختلف ضروب الفروسية من سباق للخيل ، إلى ضرب الجريد إلى غيرها من الألعاب الشائعة في تلك الايام الغابرة .

وقد ورد ذكر هذا الميدان في كتاب : « أخبار الأعيان في جبل لبنان » لطنوس الشدياق ، حيث يقول بالحرف الواحد : « وسنة ٨٠٧م توفي الأمير فوارس بن عبد الملك بن مالك (الارسلاني التنوخي) في إعبيه وله أولاد منهم عبد المنعم وكان شهما عزوما كريما وقورا بنى حصنا عظيما في إعبيه وجعل حذاءه ميادين وملاعب للخيل ورمي السهام »(١) .

كما ذكره ابراهيم الأسود في كتابه : « ذخائر لبنان » بالحرف الواحد : « وبنى الأمير فوارس تنوخ في عبيه قصراً منيعاً لم تزل آثاره باقية إلى الآن وقد أصبح هذا القصر بعد قليل مقر ولاية الأمراء التنوخيين ثم انبثت روح الحسد في نفوس بقية الأمراء فجعلوا يتنافسون في بناء القصور والقلاع وانتقاء الأبطال والفرسان ورشق الجريد على ظهور الخيل حنانا في نفوسهم إلى ما رضعوه مع الألبان من العادات من ثدي البداوة فامتاز بذلك الأمير فوارس تنوخ وبنوه الأحد عشر فاتخذوا في عبيه ميدانا فسيحا لذلك كانت تقصده الأمراء من سائر الأنحاء ولم يكن بينهم من كان يستطيع أن يثبت في الميدان أمام الأمير فوارس وبينه »(٢) . ومنذ نيف وخمس وسبعين سنة خلت لم يكن في وسط هذا الميدان الفسيح بناء

أو عمار بل كان سهلا مستويا ، أما بعد هذا التاريخ فقد انشئت في وسطه البنايات والبيوت والجنائن والشوارع والطرق وأصبح آهلا بالسكان يحمل اسم (حي الميدان) الى اليوم .

« أما ألعاب الميدان أو الفروسية التي كان يبرع بها الأمراء والأعيان فهي السباق على الخيل ، ولها فروع كثيرة منها « اللعب بالرمح » على ظهر الجواد فيتناول الفارس رمحين بيديه ويلعب بهما ألعابا غريبة فيرخي لفرسه التزكين (العنان) حتى يصير الرمحان بيديه دولابين لا يعرف أين طرفهما لشدة ادارتهما . وفي آخر الشوط يوقف الجواد والعنان في فمه ثم يتكئ على الرمحين ويدقهما في الأرض ويهمز الجواد فيقفز من تحته ويبقى هو مستنداً على الرمحين فيترجل عليهما إلى الأرض . ومنها التقاط تفاحة ونحوها بسنان الرمح على الأرض والجواد يعدو . ومنها « نيشان البارود » وهو أن يطلق بندقيته على نيشان (غرض) فيصيبه ثم يرميها في الجو ويدور على فرسه ويتلقفها وهي منحدرة .

ومنها « البقلمة » وهي أن يهمز جواده في المضمار ثم يضرب الجريدة على الأرض ثلاث مرات ويتلقفها والجواد يعدو بأشد سرعته ، ومنها « ضرب الجريد » عن ظهر الجواد أو عن الأرض حتى يصيب الغرض ولو كان صغيراً مثل ريشة على رأس ولد ونحوه . ومنها « اصعاد الجواد واحداره » في سفح جبل شديد الانحدار وهو راكب عليه وقد يصعد على شبه درج من أدراج اليوم . ومنها « لعب السيف » وأهم أنواعه وضع عصا صلبة بين كأسين أعنقين (طويلي العنق) من زجاج مملوءين ماء وضرب العصا بالسيف وكسرها بضربة واحدة دون اراقة الماء أو صدع الكأس . وكذلك لف قضيب فولاذي في لبدة (لباد) وقطعه بضربة واحدة بسيف قاطع يسمى «شنتيان» باصطلاحهم . ووضع ورقة رقيقة على حشيّة (مخدة ونحوها) مملوءة بنخالة الحنطة أو التبن وقطعها بضربة سيف أو رمي قطعة حريرية ونحوها رقيقة وضربها به فتقطع شطرين . « ولعب الحكم » أو المثاقفة وهو اللعب بالسيف والترس .

إلى غير ذلك مما لهم فيه فنون بديعة عرفوا بها منذ القدم . ولكل منها أصول وآداب يتعلمونها تلقنا وتمرناً »(٣) .

وكان قد أخبرنا غير واحد من معمري أبناء عبيه المشهود لهم بصحة الرواية وصدق اللهجة ما ورد ذكره آنفاً . واستطرد أحدهم وهو أبو أسعد سعيد أسعد حمزة في روايته بأن قال أنه شهد أيام طفولته سباقاً للخيل فوق الميدان المذكور أيام المشايخ النكديين . وهذا السباق كان يجري أحيانا بشكل فردي أي كل خمسة فرسان على حدة . وأحيانا بشكل جماعي ينتظم فيه الفرسان صفاً واحداً ويتسابقون . وكان أبناء عبيه والقرى المجاورة يأتون لحضور ومشاهدة حفلات السباق الرائعة والممتعة التي لم تكن تجري مثلها في غيرها في ذلك الوقت سوى في « بيت الدين » . وكان يخصص للسباق يوم واحد في كل أسبوع . وقد ذكر من أسماء الفرسان في عصره الشيخ حسين أمين الدين الذي كان يحسن ركوب الخيل واشتهر بضرب الجريد . كما كان رؤوف بك النكدي يحسن ركوب الخيل . وكان سعيد بك النكدي من الفرسان المشهورين يجيد ركوب الخيل وما يتبعه من أبواب الفروسية .

وأخيراً اشتهر هذا الميدان باسم « ميدان علي نجم فرج » . ثم انتقلت ملكيته بالشراء منذ تسع وثمانين سنة (١٨٩١) الى جدنا محمد أحمد الحلبي فاشتهر منذ ذلك الحين باسم « ميادين الحلبي » قبل أن تمر فيه وتخترقه طريق العربات عبيه – كفرمتى . وأخيراً بيع هذا الميدان من الدكتور محمد خالد من بيروت على أمل أن ينشئ فيه مستشفى خاصاً . ولكن الدكتور المذكور عدل عن رأيه وقسمه قطعا برسم العمار وبيعت كلها . وهكذا لم يبق من الميدان الذي شهد ضروبا وفنونا من الفروسية منذ عهد التنوخيين مروراً بالمعنيين فالشهابيين فالنكديين ، فآل أمين الدين ، إلى عهد قريب ، سوى اسمه فأصبح اسمه « حي الميدان » بعد أن امتلأ بالبيوت والعمار . ■

الهوامش

(١) اخبار الاعيان في جبل لبنان . طنوس الشدياق . الجزء الثاني . صفحة/٤٩٧/طبعة ١٩٧٠ .
(٢) ذخائر لبنان . تأليف ابراهيم الاسود . صفحة/١٣٩/طبعة ١٩٧٠ .
(٣) لبنان مباحث علمية واجتماعية . تأليف لجنة من الادباء بهمة اسماعيل حقي بك . الجزء الأول . صفحة ١٧٢ – ١٧٣ . طبعة ١٩٦٩ .

مواعيد رحلات طيران الشرق الاوسط إلى

الخليج

الكويت : يوميّاً ماعدا السبت الإقلاع السّاعة ١٨،٣٠

الظهران : يوميّاً ماعدا الثلاثاء الإقلاع السّاعة ١٨،٢٠

*البحرين : يوميّاً الإقلاع السّاعة ١٧،55

*الدوحة : يوميّاً الإقلاع السّاعة ١٧،55

*دبي : يوميّاً الإقلاع السّاعة ١٨،١٠

*ابوظبي : يوميّاً الإقلاع السّاعة ١٧،٤٠

*مسقط : أيّام الاثنين ـ الاربعاء والجمعة الإقلاع السّاعة ١٨،١٠

*رأس الخيمة : يومي الثلاثاء والسبت الإقلاع السّاعة ١٨،١٠

للاستعلامات والحجز راجعوا وكيلكم للسفر المعتمد لدى «اياتا» أو مكاتب الشركة :

مركز جفينور ت : ٣٦٨٠٠٠ صيدا ت : ٧٢١٤٦٠

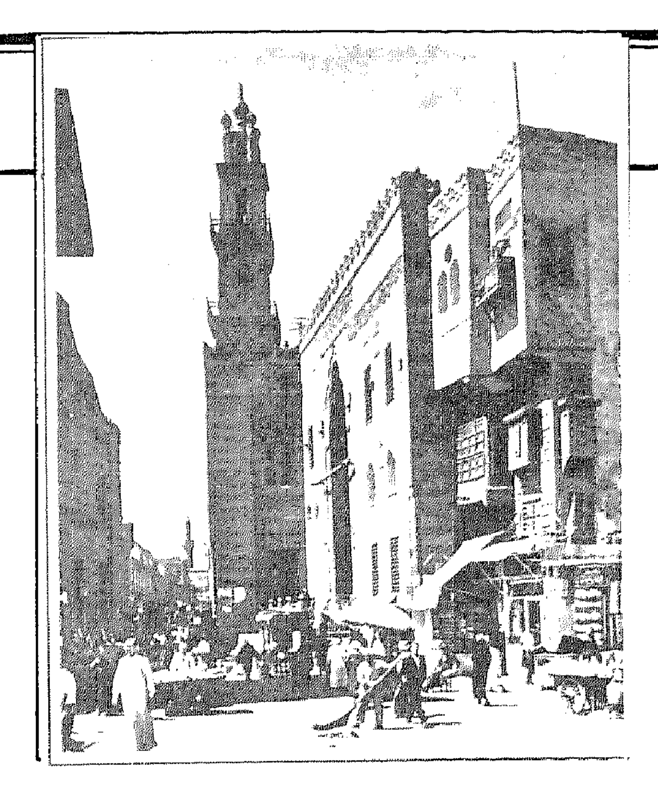
مكتب المبيعات في الادارة العامة ت : ٣١٦٣١٦ طرابلس ت : ٦٢٧٢٧٥

أوتيل الكسندر ت : ٣٣٩٩٣٠ بحمدون ت : ٥٦٠٥٠٥

مكاتب الحجز تفتح ليلاً نهاراً ت : ٢٧٤٣٣٠ / ٢٩٢٢٢٠



*بالإشتراك مع طيران الخليج



تاريخ وأسماء ومعالم القرى والأحياء في الوطن العربي

إلى القراء الأعزاء :

ترغب مجلة « تاريخ العرب والعالم » أن تفتح بابا خاصا للقراء ، لا سيما للطلاب في الثانويات والجامعات ، تدعو فيه الى الكتابة المختصرة في موضوع : « تاريخ وأسماء ومعالم القرى والأحياء في الوطن العربي » . والمجلة إذ تفتح باب هذا الموضوع تخصص مكافأة قدرها ١٠٠ ليرة لبنانية ، أو ما يعادلها للفائز الأول ، واشتراكا سنويا في المجلة للفائز الثاني ، على أن تتضمن المساهمة المقدمة معلومات جديدة وشيقة عن القرية أو الحي أو المعلم وعن تاريخه واسمه وظروفه ، أو ما يحتوي من آثار عمرانية قديمة أو مظاهر حضارية ، وإذا أمكن صورة فوتوغرافية مأخوذة للحي او القرية أو لأي مظهر عمراني أو أثري فيها ، كذلك على أن لا تتجاوز المساهمة الـ ٢٠٠ كلمة .

هذا ، وإذ تشدد المجلة على جدة المعلومات الواردة ، تطلب من الكتاب الأعزاء ان يتقيدوا بأصول الكتابة العلمية وأن يشيروا الى مصدر الاقتباس ، وتترك لهيئة التحرير حقها في اختيار المساهمات الصالحة للنشر ، وكذلك اختيار المساهمات الفائزة ؛ إذ من حصيلة ما يصل الينا ستختار هيئة التحرير ثلاث مساهمات للنشر في كل عدد بينها المساهمتان الأولى والثانية الفائزتان بالمكافأة .

نرجو من المشترك ان يكتب اسمه وعنوانه بخط واضح في نهاية مقاله وأن يرسله الينا بالبريد على العنوان التالي :

مجلة « تاريخ العرب والعالم » بيروت ص . ب . ٥٩٠٥
« مسابقة القرى والأحياء في الوطن العربي » .

تعتبر المواد المرسلة ملكا للمجلة ، إذا نشرت او لم تنشر .

من الرسائل الكثيرة التي وردتنا استجابة للمسابقة تختار رسالة الآنسة نسرين فيصل محمد شقير عن تدمر للجائزة الاولى وننوّه برسالة محمد الفاكياني عن آثار بصرى ونشكر حيدر مجيد ياسين على صورته عن اطلال سامرّاء

تدمر

«عاصمة الزباء»

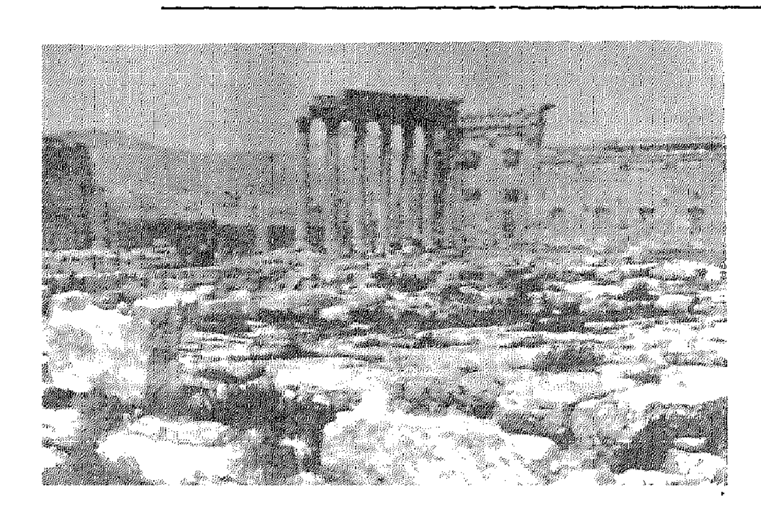
دلت الحفريات في كهوف تدمر على ان اول تجمع بشري عاش على حياة القنص والصيد فيها كان قبل خمسين الف سنة ، وان اول اشارة تاريخية لمدينة تدمر تعود لمطلع الألف الثاني قبل الميلاد .. هذه هي بداية تدمر(١) .

ولقد ذكر ياقوت الحموي عن تدمر ما يلي

تدمر ، بالفتح ثم السكون وضم الميم : مدينة قديمة مشهورة في برية الشام ، بينها وبين حلب خمسة ايام ، قال بطليموس : مدينة تدمر طولها احدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة ، داخلة في الاقليم الرابع ، بيت حياتها السماك الأعزل تسع درجات من الجدي بيت ملكها مثلهامن الحمل عاقبتها من الميزان وقد قال صاحب الزيج : طول تدمر ثلاث وستون درجة وربع وعرضها اربع وثلاثون درجة وثلثان ، قيل : سميت بتدمر بنت حسان بن اذينة بن السميدع بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح . عليه السلام ، وهي من عجائب الابنية ، موضوعية على العمد الرخام ، زعم قوم انها مما بنته الجن لسليمان ، عليه السلام، ونعم الشاهد على ذلك قول النابغة الذبياني :

الا سليمان ، ءاذا قال الإله له :
قم في البرية فاصدرها عن الفند
وخيس الجن ، إني ق، أذنت لهم
يبنون تدمر بالصفاح والعمد

وفتحت تدمر صلحاً ، بعد ان حاصرها خالد بن الوليد حيث قال لاهلها : « يا اهل تدمر والله لو كنتم في السحاب لا ستنزلناكم ولاظهرنا الله عليكم »(٢) .



وبسبب اضطراب احوال بلاد ما بين النهرين في القرن الاول ق .م سيطرت على التجارة بين سورية وتلك وازدادت اهميتها بعد استيلاء الرومان عليها . ويحتمل ان جرمانيكوس ضمها للامبراطورية الرومانية في سنة ١٧ م . وكان اعظم حكام اسرة سبتميوس في القرن الثالث : سبتميوس اورناثوس ، الذي هزم الفرس ، وجعل من تدمر دولة قوية مستقلة ، وبعد وفاته بسطت ارملته زنوبيا رقعة الدولة بفتح مصر واكرانيا الصغرى ، لكن اطماعها اثارت الامبراطور اورليانوس الذي هزمها وخرب تدمر ٢٧٣ م ، ولم تقم قائمة لها بعد ذلك ، وسحقها تيمورلنك(٣) .

أما في العهد الاموي ، فقد نالت اهمية كبيرة نظراً لتوسطها بين قصري الخليفة هشام بن عبد الملك - الحير الشرقي والحير الغربي ، ولقد حاصرها الخليفة مروان الثاني وهدم اسوارها حين ثار عليه اهلها . ولقد حل بتدمر زلزال كبير في اوائل القرن العاشر الميلادي ، واخضعها سيف الدولة الحمداني عندما ثارت عليه ، وقد ذكر المتنبي ذلك :

تذكرت ما بين العذيب وبارق
مجر عوالينا ومجرى السوابق
فليت أبا الهيجا يرى خلف تدمر
طوال العوالي في طوال السمالق

وبعد أن لف الاهمال تدمر بعد غزو

تيمورلنك، ضاعت أخبارها ، الى ان تطرقت للرحلات الاستكشافية ابتداء من رحلة داوكنز وود الانكليزيين سنة ١٧٥١ م ، وفي عهد الاستقلال أولت الدولة هذه المدينة عناية خاصة(٤) .

ومنذ عدة سنوات أفلح المسؤولون في نقل جميع المساكن الحديثة من المناطق الأثرية ، فأصبحت مدينة تدمر اليوم تقوم إلى الشرق من اطلال تدمر الامس(٥) .

آثار تدمر باختصار :

معبد بل ، معبد نبو ، معبد بعلشمين ، قوس النصر ، الحمامات ، المسرح ، مجلس الشيوخ ، الميدان ، صالة الموائد ، المصلبة ، حوض عرائس الماء ، هيكل الموتى ، معسكر ديوقلسيان ، سور زنوبيا ، القلعة العربية ، عمود تذكاري ، مدفن جامبليلا ، مدفن ايلايل ، نبع افقا ، فندق زنوبيا ، مدفن مارونا ، مدفن عيلمي بن زبيلا ، المتحف ، بيت ، الباز يليكية ، الساحة البيضوية ، هيكل اللات(٦) .

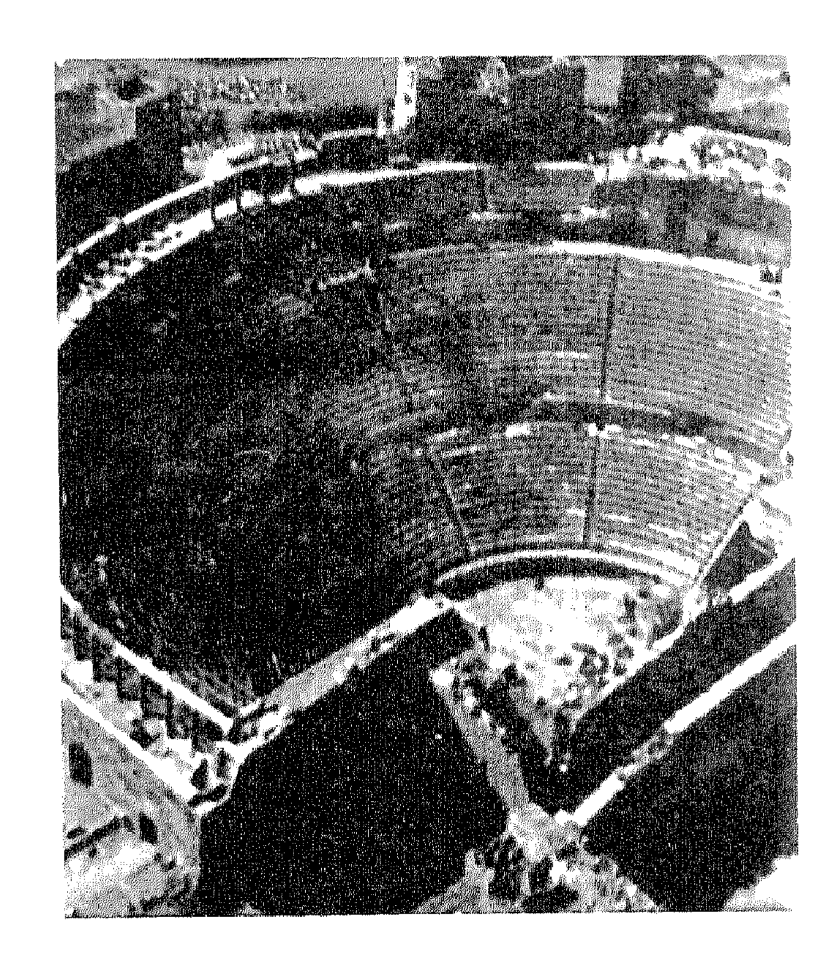
ولقد هرب الكثير من آثار تدمر إبان الاحتلال العثماني إلى العديد من المتاحف الأجنبية .

نسرين فيصل محمد شقير

المصادر

(١) مجلة الفيصل السعودية ، العدد ١٨ ، ذي الحجة ١٣٩٨ هـ ، الرياض ، « الغلاف الأخير » .
(٢) ياقوت الحموي : معجم البلدان ، المجلد الثاني، ص ١٧ - ١٩ .
(٣) الموسوعة العربية الميسرة ، المجلة الأول ، ص ٥٠٠ .
(٤) عدنان داعوق : تدمر ، مجلة الفيصل ، العدد ١٩ ، ص ٤٧ ، ٤٨ .
(٥) لؤي عجان : تعال معي إلى تدمر ، مجلة الدوحة القطرية ، العدد ٤٦ ، ص١٠٣
(٦) عدنان داعوق ، مصدر سابق ، ص ٤٩ .





اشتهرت بصرى بأسوارها المحصنة واشجارها الكثيفة ومحصولاتها الزراعية الوافرة ، وقد استوطنها الاموريون والكنعانيون منذ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد .

وفي القرن الاول قبل الميلاد اصبحت بصرى من المدن الهامة التي تتجه اليها قوافل التجار الانباط القادمة من الجنوب . وفي أواخر القرن الاول بعد الميلاد أصبحت عاصمة للانباط في ايام الملك رابل (رائبال) الثاني . وفي هذا العهد جددت اسوار المدينة . وشيد فيها عدد من المباني الدينية والمدنية . وعند تشكيل الولاية العربية عام ١٠٦ بعد الميلاد جعلوا بصرى عاصمة الولاية الجديدة التي تألفت من محافظة السويداء ، ودرعا ، والقنيطرة ، وقسم

من فلسطين والاردن بكامله . فتحت المدينة وتطورت بصورة سريعة بعد ما ربطت بشبكة طرق جديدة تربطها بانطاكية في الشمال واليمن والحجاز في الجنوب ، والعراق شرقا وميناء حيفا غربا . وفي العهد البيزنطي اصبحت بصرى مقراً لرئيس اساقفة البلاد العربية . وفي اواخر العهد زارها عثمان بن عفان وقد وحاصرها العرب في عام ٦٣٥ م حين قام سكانها بثورة على الحامية البيزنطية بالمساعدة مع ابناء امتهم في طرد البيزنطيين من البلاد . وفي اثناء الحرب الصليبية هاجم بصرى بودان الثاني عام ١١١٩ م وفشل في احتلال المدينة . وعندما اصبح الملك العادل شقيق صلاح الدين والياً على بصرى قام بانشاء المباني العسكرية منها والمدنية .

اما باب المدينة : فقد شيد في القرن الثاني بعد الميلاد وهو متصل ببعض اسوارها التي تعود للعهد الكنعاني والعهد النبطي ، والعهود التي تليها .

اما الكهوف : فهي اسوار ارضية والذي يعود تاريخها للعهد الروماني ولم يتم اكتشافها كاملة . هذا ويعود تاريخ بناء قوس النصر للقرن الثالث بعد الميلاد . اما الحمامات فقد شيدت في القرن الثاني بعد الميلاد .

ان المسرح والمدرج والقلعة ومتحف للتقاليد الشعبية : يعود تاريخها إلى النصف الثاني من القرن الثاني بعد الميلاد . وان هذا المسرح هو الوحيد من نوعه في العالم حسب الاكتشافات الاثرية ، واما المدرج فانه يتسع لاثنى عشر الف متفرج ويبلغ قطره حوالي (١٠٢) متراً وارتفاعه حوالي (٢٦) متراً ، والمدرج بني على اسلوب الهلنسي وتتمثل فيه ذروة التطور هذا النوع من الابنية المدنية . ويعود بناء القلعة إلى زمن الحروب الصليبية ، وقد تم انشاء ابراجها خلال قرن كامل في عهود الاتابكة والايوبية .

وفي العهد الايوبي تم انشاء بحيرة للماء ، كما انشى على زاوية البحيرة من الجهة الشرقية الشمالية مدرسة للتعليم . وكانت هذه البحيرة تزود خندق القلعة بالماء كما تزود قوافل الحجاج الذاهبين والقادمين من الديار المقدسة .

اهم المباني في منطقة بصرى

يعتبر قصر الوالي من اهم المباني في ذلك العصر ويعود تاريخ بنائه للقرن الثاني بعد الميلاد اما السقاية والسوق فهمامن مباني القرن الثاني والثالث بعد الميلاد .

اما المسجد العمري - فيعد من اقدم المساجد وتعد مئذنته من اقدم المأذن في العالم .

ودير بحيرا - يعد من كنائس القرن الرابع . اما الكاتدرائية - فبنيت فوقها اول قبة من الحجر على طراز هندسة بيزنطية .

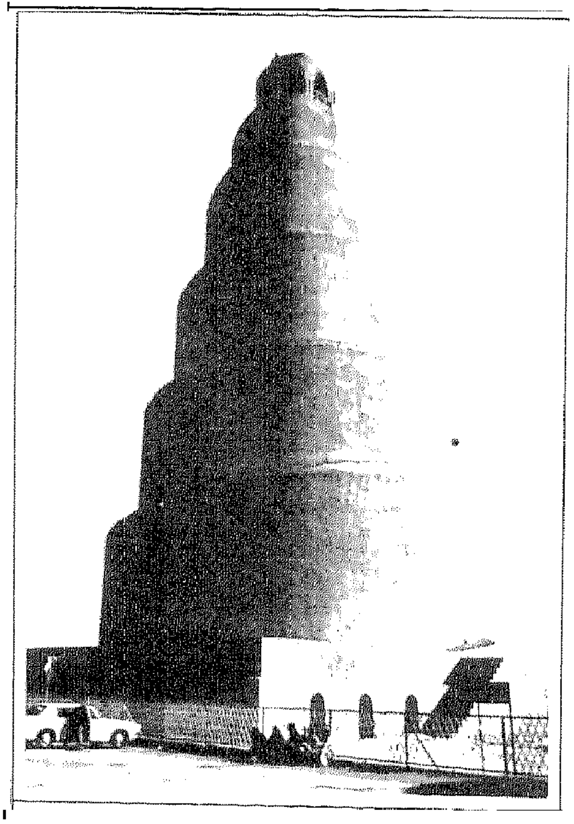
جامع المبرك - يعود بسبب تسميته لانها بركت على ارضه اول ناقة حملت على ظهرها القرآن الكريم .

هذه لمحة تاريخية عن محافظة قديمة اثرية من محافظات دمشق وتسمى اليوم ببصرى الشام . ■

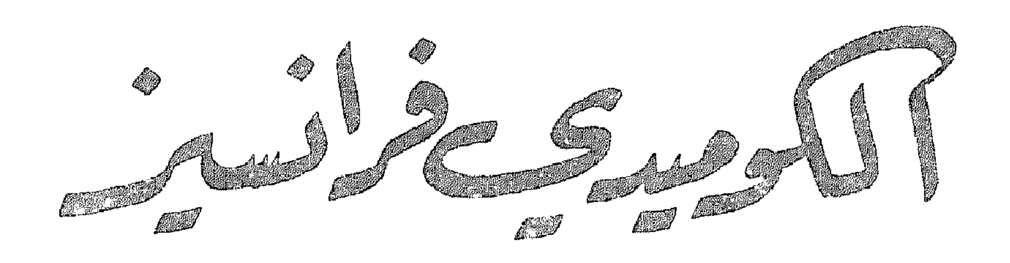
محمد الفاكياني
دمشق - سورية

المراجع

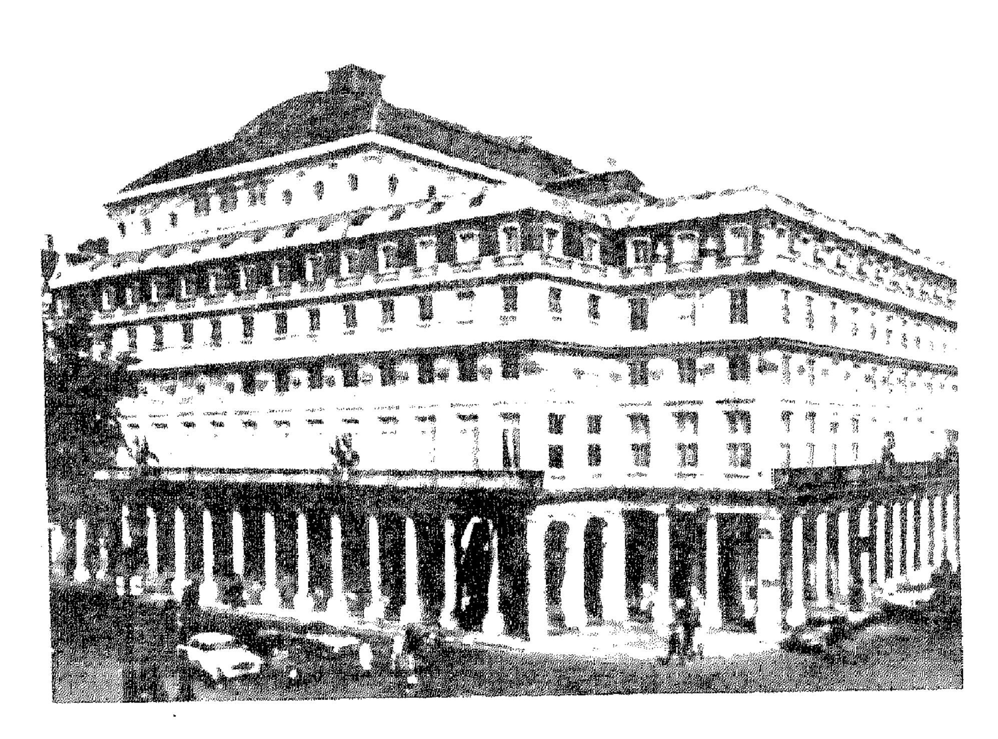
دليل السياحة : صبحي الصواف
نشرات وزارات السياحة والاصطياف .
مجلة الحوليات .



اطلال سامرّاء - هدية من الصديق حيدر مجيد ياسين .



تكونت عام ١٦٨٠ وكانت أول ميزانية لها ١٢ الف جنيه
« البخيل » لموليير من أولى المسرحيات التي قدمتها الكوميدي فرانسيز



بعد وفاة موليير في فبراير ١٦٧٣ انقسمت فرقته الى قسمين انضم قسم منهما الى فرقة اوتيل دي بورجوني ، وضم القسم الاخر اليه ١٠ من ممثلي وممثلات فرقة ماريه واطلق على نفسه اسم فرقة جينيجو . وفي ٨ اغسطس ١٦٨٠ اظهر الملك لويس الرابع عشر رغبته في ضم فرقتي اوتيل دي بورجوني وجينيجو ، وتنفيذا للرغبة الملكية انضمت الفرقتان في ١٨ اغسطس من العام نفسه واصبحتا فرقة واحدة قدمت اولى حفلاتها بعرض مسرحيتي « فيدرا » و « عربات اورليان » في مسرح شارع مازارين .

وفي ٢١ اكتوبر ١٦٨٠ اصدر الملك لويس الرابع عشر وثيقة تحمل امضاءه وامضاء الوزير كولبير بأن تكون هذه الفرقة تابعة للدولة والوحيدة التي تقوم بعرض الكوميديات في باريس ، ثم اصدر قائمة تحمل اسماء ٢٧ ممثلا وممثلة اختارهم بنفسه لتتكون منهم الفرقة الجديدة التي اطلق عليها فيما بعد اسم الكوميدي فرانسيز .

وخصص الملك لهذه الفرقة راتبا سنويا قدره ١٢٠٠٠ جنيه .

وفي ١٩ اكتوبر ١٦٨٠ (قبل صدور مرسوم تكوين الفرقة بيومين) مثلت الفرقة امام الملك وحاشيته في فرساي مسرحية « سليمان » من تأليف دي لاتويلري ومسرحية « كونتس اسكاريانيا » لموليير .

وفي ٢١ اكتوبر ١٦٨٠ قدمت الفرقة مسرحية « البخيل » لموليير في مسرحها بشارع مازارين .

وفي الفترة من ٢٥ اغسطس الى ٣١ ديسمبر ١٦٨٠ قدمت الفرقة ٦٦ مسرحية منها ٨ لكورني و٨ لراسين و٢١ لموليير . ومن أجل ذلك اطلق على الكوميدي فرانسيز لقب « بيت موليير » الذي لا يزال عالقا بها حتى الان .

وفي ١٦٨٧ انتقلت الكوميدي فرانسيز الى شارع « فوسيه سان جرمان دي بريه » والمعروف الان باسم شارع « الكوميديا القديمة » .

وفي ١٧٧١ انتقلت الفرقة مرة اخرى الى قصر التويلري حيث ظلت تعرض رواياتها مدة ١١ سنة .

وفي ١٧٨٢ انتقلت الى المكان الذي كان منشأ عليه « اوتيل دي كونديه » والذي سمي بمسرح « الاوديون » وقد استبدل في السنوات الاخيرة باسم الاوديون ، اسم قاعة اللوكسمبورج .

وفي خلال القرن ١٨ نشطت الكوميدي فرانسيز نشاطا كبيرا اسهم فيه من الممثلين الرجال تالما ، وازينكور ، فليري ، بريفيل ، سان فال ، مولى ، اميل كونتا ، ومن السيدات والانسات لاليرون ، ادرين ليكوفرير ، روكر كونتا ، سوين تينار .

وقد عرضت الفرقة مسرحيات لماريفو وفولتير وبومارشيه .

وقبيل نشوب الثورة الفرنسية انقسمت الفرقة الى فرقتين متنافستين :

الاولى وعلى رأسها تالما الذي كان من انصار التجديد ، أما الثانية فكان يرأسها فليري الذي كان من انصار التمسك بالقديم .

واثناء الثورة الفرنسية اعتقل الكثير من هؤلاء الممثلين وحكم عليهم بالاعدام ، ولكن احد هواة التمثيل الذي كان يشغل منصبا كتابيا في حكومة الثورة اخفى ملفاتهم فلم تستطع المحكمة تنفيذ الحكم فيهم .

وفي ١٧٩٩ اجتمع شمل الفرقة من جديد ، وفي ١٨٠٢ استقرت في المكان المعروف الان بقاعة ريشيليو ، وقد احترق جزء كبير من هذا المسرح في ٨ مارس ١٩٠٠ ولكن اعيد بناؤه بعد ذلك .

وفي عهد الامبراطور نابليون توطدت مكانة الفرقة وكانت تعرض التراجيديات التي كان يلعب فيها ادوار البطولة تالما ومدموازيل جورج ، ولكن بعد ١٨١٥ بدأ يتلألأ نجم مدموازيل باريس في ادوار البطولة .

وحوالي ١٨٣٠ طغت الرومانسية فلاقت مسرحية هرناني لفيكتور هيجو نجاحا منقطع النظير وتلتها مسرحيات كثيرة من اهمها شاترتون لالفريد دي فيني .

وفي ١٨٣٨ تلألأ نجم مدموازيل راشيل التي اعادت عهد التراجيديا الكلاسيكية ومن اشهر الممثلين والممثلات بفرقة الكوميدي فرانسيز في القرن ١٩ مونى سيلي ، سيلفان ، البير لامب الاب ، ساره برنار من ابطال المأساة ، ورينيه ، سامسون ، بريسان ، لي بروهان ، ماريا فافارت من ابطال الكوميديا . وكان معظم انتاج الفرقة من تأليف الفريد دي موسيه ، او جييه ، ساردو ، الكسندر ديماس الابن .

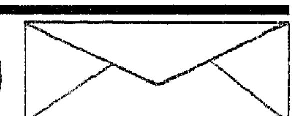
وفي اوئل القرن ٢٠ ضمت الفرقة اليها الممثلين والممثلات : جوليا بارتيه ، والاخوان مونيه ، وكوكلان الكبير والصغير ، وعرضت مسرحيات هنري بيك وادمون روستان .

واثناء الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ - ١٩١٨) انكمش نشاط الكوميدي فرانسيز ، ولكن بعد انتهاء الحرب ضمت الفرقة ممثلات وممثلين جدداً وبدأ عهد المسرح المعاصر .

وقد ادخل على الكوميدي فرانسيز كثير من التعديلات في نظمها بواسطة مراسيم وقرارات من الدولة من اهمها « مرسوم موسكو » الذي اصدره نابليون في ١٨١٢ اثناء انشغاله بالحرب ضد روسيا ، والمرسوم الذي صدر في ١٩٠١ ملغيا لجنة القراءة بالفرقة ، ولم يستمر العمل به اكثر من ٩ سنوات اذ اعيدت لجنة القراءة بقرار جمهوري في ١٩١٠ .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية اعيد تنظيم الكوميدي فرانسيز بقرار صدر في ١٩٤٦ وبناء عليه انقسمت الفرقة الى شعبتين دائمتين تعمل الاولى منهما في قاعة ريشيليو وتعمل الاخرى في قاعة اللوكسمبورج (الاوديون سابقا) ولا يزال هذا النظام معمولا به حتى الان .

■



بريد القراء

● محمد الفاكياني - دمشق - سورية .

اتقدم بالشكر لكم ولأسرة مجلة « تاريخ العرب والعالم » وأشكر كل من ساهم في التحرير والاخراج في مجلتنا العربية « تاريخ العرب والعالم » . كما نشكر لكم مبادرتكم الرائدة بفتح باب جديد لنشر معلومات عن قرى ومدن وأماكن اثرية في الوطن العربي .

الواقع ان هذه المبادرة الجميلة هي الاولى من نوعها وتساعد المواطن العربي بعد فترة وجيزة للحصول على دائرة معارف عربية . وثانياً تصبح المجلة سفيراً ومعجماً تاريخياً ثقافياً لكل مواطن وكل طالب وكل مطلع .

■ نشكر للأخ محمد الفاكياني عواطفه الطيبة ونعده بمزيد من الابواب الثقافية الرائدة في اعدادنا المقبلة .

● طارق غندر منتك - اربيل - العراق

■ نرجو من الاخ طارق ان يرسل مواده في المرة القادمة مطبوعة على الآلة الكاتبة . ونشكره في الوقت نفسه على مساهمته .

● حيدر مجيد ياسين - بغداد - العراق

■ شكراً لمساهمتك ونرجوكم مراجعة جوابنا للأخ طارق .

● محمود رجا زعرورة - مخيم نهر البارد طرابلس - لبنان .

اود ان انتهز هذه الفرصة لأمد يدي لأضغط على ايديكم جميعاً من اداريين ومحررين ومشرفين على هذه التحفة الفريدة التى اغنيتم بها المكتبة العربية وأثريتم بها عقول قرائها وانني لفخور جداً ان اقول لكم اني من قراء هذه المجلة منذ صدور عددها الاول . فهنيئاً لجيل العروبة المعاصر لصدور هذه المجلة ،وهنيئاً لكم جميعاً على جهودكم المخلصة في سبيل توعية وتنوير المواطن العربي .

■ نشكر الاخ محمود على عواطفه الطيبة ونعده بأن مجلة « تاريخ العرب والعالم » ستبقى مستمرة بتأدية رسالتها ما دام هناك اصدقاء يدعمونها ويشجعونها .

● السيد حسن صالحة غرز الدين - بيروت - لبنان .

استلمنا رسالتك الثانية ونشكر لك اهتمامك بالمجلة ونطلب منك للمرة الثانية الاتصال بادارة التحرير بخصوص موضوع « رأس المتن » . اما بالنسبة لاعداد السنة الاولى فيمكنك الحصول عليها من قسم التوزيع في المجلة .

● مصدق حسن ١٣ - ٥٤ - اكر وماعي الدشيرة - انزكان - المغرب .

تحية حارة لجميع العاملين بالمجلة وتقديري لهذه المجلة الثقافية الرائدة التي احتلت مكاناً بارزاً خلال فترة قصيرة جداً من الزمن .

■ نشكر للاخ مصدق حسن عواطفه الطيبة تجاه المجلة والعاملين فيها . ونطلب منه طبع رسائله على الآلة الكاتبة حتى نستطيع نشرها في المرة القادمة . ونشكره على الصور التي ارسلها وسننشرها في أول فرصة تسنح لنا . ■

مجلة

دراسات الخليج والجزيرة العربية

تصدر عن جامعة الكويت

رئيس التحرير
الدكتور عبد الله الغنيم

مدير التحرير
عبد العزيز السيد أحمد

صدر العدد الاول في كانون ثاني (يناير) ١٩٧٥
تصل اعدادها الى ايدي نحو ٠٠٠ر١٠٠ قارىء

يحتوي كل عدد على حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على :

- مجموعة من الابحاث تعالج الشؤون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب المتخصصين في هذه الشؤون .
- عدد من المراجعات لطائفة من اهم الكتب التي تبحث في المناحي المختلفة للمنطقة .
- أبواب ثابتة : تقارير — وثائق — يوميات — بيبليوجرافيا
- ملخصات للابحاث باللغة الانجليزية

ثمن العدد : ٤٠٠ فلسا كويتيا أو ما يعادلها في الخارج .

الاشتراكات : للافراد سنويا ديناران كويتيان في الكويت ، ١٥ دولارا أمريكيا في الخارج « بالبريد الجوي » .

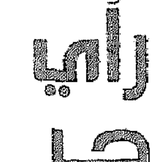
للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية : ١٢ دينارا كويتيا في الكويت ، ٥٠ دولارا امريكيا في الخارج (بالبريد الجوي) .

العنوان : جامعة الكويت — كلية الاداب والتربية — الشويخ — دولة الكويت

ص.ب : ١٧٠٧٣ (الخالدية)

هاتف : ٨١٦٨٠٧—٨١٦٧٩٩—٨١٦٨٢٤

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير



بقلم :
محمد الصغير الأخضري

لقد وجد العرب في مكان جغرافي له أهميته الاستراتيجية في العالم القديم والحديث ، لذلك كانت هذه المنطقة هدفا للاستعمار منذ بداية التوسع الامبريالي في القرن الثامن عشر .

ولهذه الأهمية كان التفاهم الأوروبي على تقسيم المنطقة العربية بين الدول الاستعمارية خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وعندما جاءت الجيوش الأوروبية الغازية إلى بلادنا لم تستقبل بالورود والزغاريد وإنما كان لأجدادنا مواقف بطولية في رد المعتدين الغزاة سجلها التاريخ بكل فخر واعتزاز ، وشهد بها حتى الأعداء أنفسهم ، إلا أن الغلبة كانت للتفوق الحربي ، ولم يستسلم آباؤنا أبدا للمعتدين وإنما كانت الثورات طوال فترة الاحتلال إلى أن تحقق النصر وتحررت البلاد العربية سياسيا وعسكريا بعد الحرب العالمية الثانية .

وقد حاولت الدول الأوروبية أن تجعل من بلادنا أماكن نزهة واستثمار لأبنائها وأن تقيد أهل البلاد بالقوانين الاستعمارية الجائرة وأن تكبل عقولهم بما يسمى بالثقافة الأوروبية كما تريدها هي لا باعتبارها ثقافة انسانية ولكن الروح القومية هي التي كانت دائما تدفع إلى التمرد والثورة فهي التي كانت دائما تذكر المواطنين ، أنه مهما طال مكوثه الاستعمار لا بد أن يجيء اليوم الذي تتحمل فيه الأجيال مسؤوليتها التاريخية وأن تقوم بطرده . هذه هي الأساطير الشعبية التي كانت الجدات والأمهات يتنفسن بواسطتها وهن يرددنها على مسامع الأبناء ليغرسن في نفوسهم البطولة وحب الوطن حتى يهبوا لتحريره ، وقد كان لهن ما أردن وتحررت البلاد ولكن الأجنبي الذي خرج فعلا ويئس من البقاء العسكري وأصبح يعتقد أنه لا مجال لسيطرة جنوده على تراب البلاد ، لم ييأس من السيطر بوسيلة أخرى هي وسيلة العلم والثقافة التي تنبعث من هياكل وطنية غرس في نفسها الاستعمار ما يريد عندما كان كل شيء بيده وهي اليوم تتحدث عن مصلحة الوطن ولكنها تعبر عن مصلحة المستعمر بحسن نية أو بسوء نية لأنها لا تستطيع أن ترى الأشياء بغير المنظار الذي وضعه السادة أمام أعينها . إنه ليس في إمكانها أو ليس في إمكان مصلحتها أن تسمح لها برؤية الحقيقة كما هي .

وأنه بالرغم من تاريخنا قبل الاحتلال وبالرغم من تجربتنا في مقاومة المحتل ونجاحنا فيها ما يزال الكثير يرى الخير كل الخير في اتباع طرق أولئك الذين كانوا يستعبدوننا بالأمس ، وأنه لا مجال للوصول إلى ما وصلت إليه الانسانية من الحضارة والتقدم إلا باتباع ذلك الطريق ، ولكن هؤلاء الذين يدعون إلى هذا الاتجاه ينسون حتى بسائط الأمور المستمدة من التجربة العادية في حياتهم وحتى إذا جوبهوا بالحقيقة يلجأون إلى المغالطة والتبرير لاثبات دعواهم في نجاح التجربة الاستعمارية ولو بعد الاستقلال .

وإذا نحن حاولنا أن نعرف مدى صدق هذا الرأي فانه لا بد من الرجوع إلى تاريخنا لنرى ماذا فعل الاستعمار في بلادنا ، وقد كانت كل الامكانيات المادية والبشرية يسيطر عليها المستعمر ويتصرف فيها كيفما يشاء .

ومع ذلك إذا نحن حاولنا فتح الحساب نجده لم يقم بأقل الواجبات الانسانية في الاصلاح العمراني أو البشري لفائدة المواطنين ، وإذا كانت قد وجدت بعض المظاهر الحضارية المادية فان ذلك كان لفائدة أبناء المستعمر ولخدمة مصالحه الاقتصادية والعسكرية .

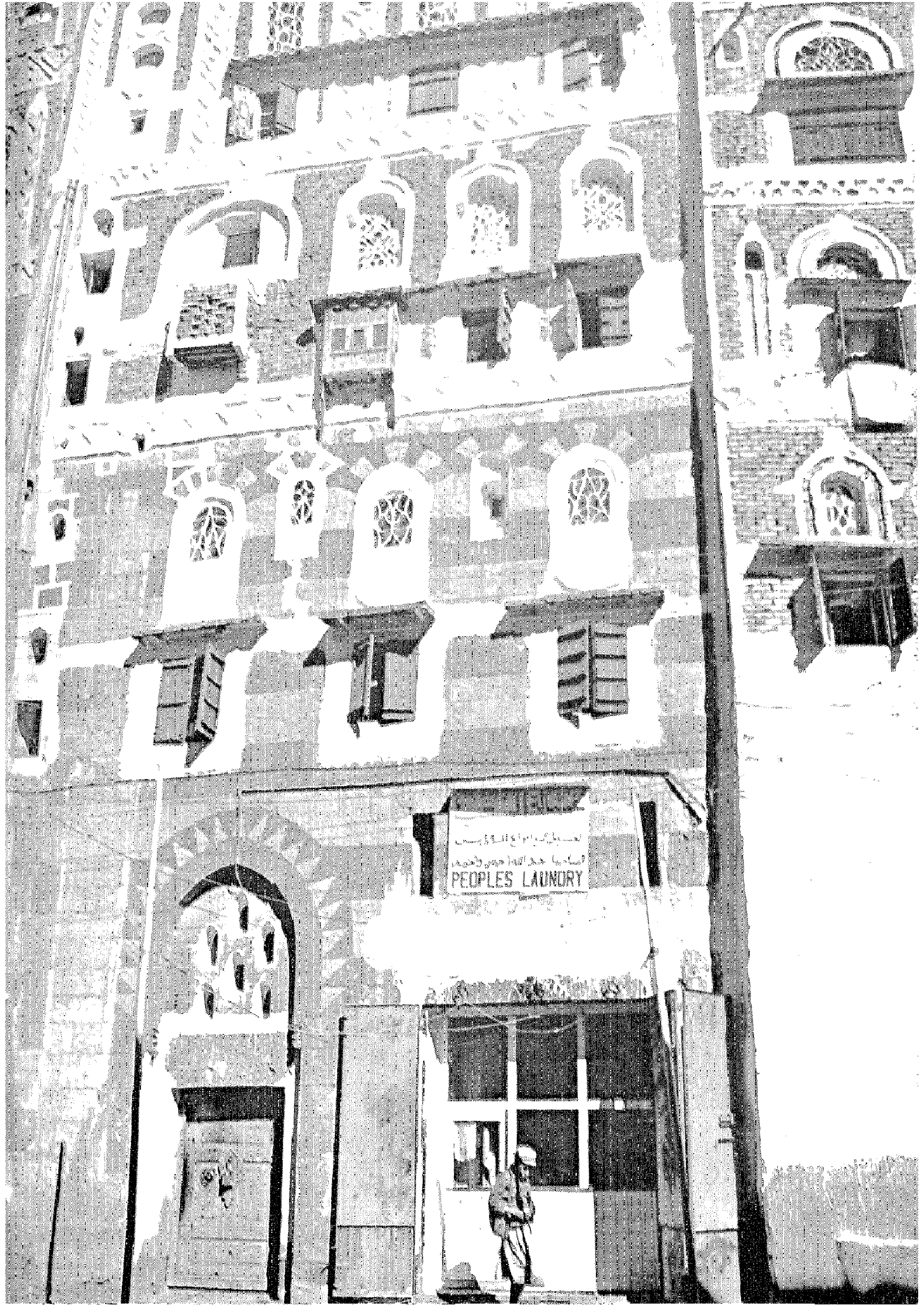
وإذا كانت هذه هي تجربتنا مع المستعمر طيلة بقائه في بلدنا وهي حقيقة ظاهرة للعيان في كل المجالات وأن أبسط المواطنين إدراكا يشعر بهذا السلوك من المستعمر ويلمس آثاره اليوم وغدا في العمران وحتى في نفوس البشر وتربيتهم ولما كانت هذه هي الحقيقة المرة التي خلفها المستعمر في بلادنا فكيف يمكن أن نتبع أسلوبه في العمل في أرضنا بعد أن تحررت منه بالدماء والأرواح ، وكيف نحاول الربط وندوس على اشلاء قتلانا الذين ضحوا بأرواحهم ليتحرر الوطن وينتهي التغرير . ■

في العدد المقبل

ملف الوطن العربي

سيناء : القديسة كاترينا




PEOPLES LAUNDRY